



« في الأسر »

إحدى صور «التاريخ الطبيعي» في معرض التصوير الضوئي لجمعية تحبي الفنون الجميلة وهي من أصور بديع فهمي

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع والتسعين

١ فبراير سنة ١٩٣٩

١٢ ذي الحجة سنة ١٣٥٧

النوم والارق

بحث علمي عملي جديد

الأرواح والجبل

منذ عهد قريب ذهب رجل شيخ الى مستشفى لتعمل له عملية جراحية في الجبل الشوكي. وبعد اجراء العملية ، وضع في حجرة خاصة في طابق يسوده السكون ليقضي فيها فترة الشفاء والنقاه . ولكنه على الرغم من سكون الحجرة كان يقضي ليالي متوالية أرقاً . فعولج بالعقاقير المنومة إلا أنه لم تنقُض أيام حتى ظهرت عليه أعراض تنذر بالخطر ، إذ كان يصاب في ساعات البقطة بضرب من الجبل . وفي مثل هذه الحالات يعرض المصاب على الطبيب العقلي . ففحصه وأمر بالتوقف عن معالجته بالعقاقير المنومة . وانقضى يوم ونصف يوم قبل أن زالت آثار العقاقير . ثم قال له الطبيب العقلي « لانهف ، ان العقاقير كان تقسرك على أخذ قسط من النوم اكبر مما أنت في حاجة اليه . أنك في الثامنة والستين من العمر ، والرجل في مثل عمرك لا يحتاج إلا الى بضع ساعات من النوم . وأنت ملق في سريرك أربع وعشرين ساعة ، لا تنفق جهداً عقلياً أو عضلياً ، بقتضي منك الراحة التي تصيها في النوم . أعمل ذهنك . اقرأ متى شئت . اقرأ في الساعة الثالثة صباحاً اذا طاب لك ذلك . اشعر بالحاجة الى النوم تم نوماً طيباً هائلاً »

فقال المريض دهشاً . ان في قولك شيئاً جديداً لم أفكر فيه من قبل . فلما زاره الطبيب صباح اليوم

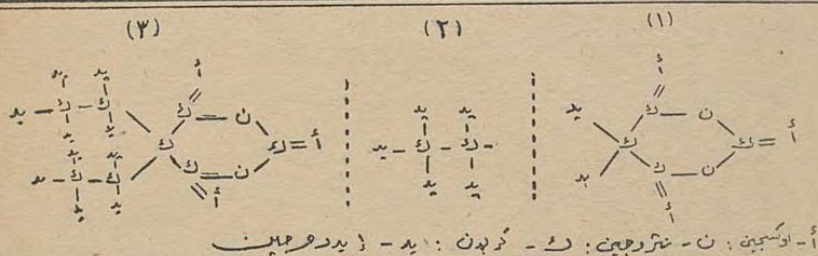
التالي وجد أنه كان قد نام سبع ساعات، وقضى بعد ذلك أياماً في المستشفى لم يصب في خلالها بأرق ما وليس ثمة ريب في أن أحد العوامل في إطالة الارق اعتقاد المصابين به أن في الارق خطراً على الصحة قد يؤدي بالعقل الى الجبل . لهم يؤرق الانسان ، فاذا أدرك أنه مؤرق تفاقم همّه . بل لقد أشار أحد نطس الاطباء الانكليز الى ذلك بقوله ان المصابين بالأرق تنتابهم مخاوف عظيمة حتى ليأبون أن يعرضوا أنفسهم على طبيب خشية أن يؤيد مخاوفهم . اما من حيث الخطر الذي يجلبه الأرق على العقل فقد قال هذا الطبيب انه لم ير بعد مغبولاً يرتدّ خبله الى الأرق . ومن الذين عني بهم أناس لم يناموا إلا بضعة ساعات كل ليلة مدى سنوات ومع ذلك لم يصابوا بالجبل

ويروى عن الفيلسوف پامر Palmer استاذ الفلسفة سابقاً في جامعة هارفرد أنه كان يقول لطلبته أنه لم ينم ليلة كاملة منذ شبابه . وقاما نام أكثر من ساعتين متواليتين . وبعد ذلك بأربع ساعات أو ساعتين . ثم ينام . ولكنه تعلم بالاختبار أن يسترخي في ساعة الأرق ويحتجّب التفكير في ما يشغل البال ، فيقضي الليلة بين النوم واليقظة من غير أن يصاب بتعب ما ، ثم ينهض في الصباح وافر النشاط كأنه نام نوماً هائلاً طوال الليل . وقد عاش على ذلك حتى بلغ الحادية والتسعين إلا أن الأرق اذا اصاب رجلاً عصياً المزاج مرهف الاحساس شديد الأفعال ، فعندئذ يتعرّض ذلك الرجل لما يضعف صحته ، لان قلة النوم في هذه الحالة ليست اساس المشكلة التي تواجهه . واما اساسها تلك الساعات التي يقضيها يقظاً في سواد الليل . وقد كتب طبيب من هذا القيل يصف ارقه فقال : اذا كنت وانا طبيب اعتقد ان فكرة الارق خرافة يجب ألا تقتضي همّاً وغمّاً ، فقد تبدّد ذلك الاعتقاد في خلال السنوات التي اصبحت فيها بارق شديد فعلمت حينئذ انه من اشد ما ينزل بالانسان ، حتى ولو كان عقله يملئ عليه ان قلة النوم وحدها لا تضر كثيراً . اني اعلم ان الطبيب يشير على المؤرق بأن يضبط نفسه في ساعة الارق ويحجب عن ذهنه الافكار التي تعي المفكر فيها ، وانا ذو مشيئة صلبة واعرف قيمة هذا النصح الطبي وطالما اشرت به على من اعالج ، ولكنني لم اكن ادري ما افعل بعد ان اقضي يوماً كاملاً في مؤرطبي وساعة في القاء محاضرة والمناقشة فيها ، ذلك انني كنت عند ما آوي الى فراشي ، احس فكري ساقاً الى اشياء ومعانٍ لاحية لي في حجبتها عنه وكنت احاول ان اقنع نفسي بأن المسائل التي تركز فيها عناية فكري من المسائل التي استطيع ان انظر فيها في غد ومع ذلك كان فكري يأبى الا أن يقيمها في المركز من وعي

ان رجلاً من هذا القيل في حاجة الى عقار « الباريتورات » اذا شاء ان ينهض بعماله على الوجه الذي يرضيه في اليوم التالي

الارق والعقاقير

لا بدّ لحديث الارق من ان يتصل عاجلاً ام آجلاً بحديث العقاقير . والغالب ان يسعى المؤرق الى التغلّب على ارقه باساليب مختلفة لانه سمع في الاندية والمجتمعات ان فلاناً اصيب بضعف في قلبه بعد تناوله المساحيق المنومة . او ان آخر استعبدته عادة الاعتماد على هذه العقاقير ففدا هو وعبد المورفين او عبد الكوكايين سواء . او ان آخر اخذ من أحد هذه العقاقير جرعة كبيرة فقضت عليه . والروايات التي من هذا القبيل كثيرة ، وهي لا تخلو من نصيب من الصحة . الا ان الدكتور سومافيس Weiss الاستاذ بكلية هارفرد الطبية قرأ رسالة من عهد قريب (١٩٣٦) في الجمعية الطبية الاميركية ، بين فيها الاضطرابات المختلفة التي قد تنشأ عن تناول العقاقير المنومة ولكنه عزاها الى اساءة استعمال تلك العقاقير . قال : اذا احسن استعمالها وكان الطبيب عارفاً معرفة تامّة بخصائصها الصيدلية والسميّة ففوائدها ترجح مساوياً



ان حديث كشف المواد المختلفة التي تحدث هذا التأثير حديث طويل . واقدمها يرتد الى ألوف من السنين عندما تبين الانسان التأثير المنوم للكحول والافيون . ثم اضيف اليها بعد ذلك مواد طبيعية وكيميائية متنوعة تشترك على تفاوت بينها ، في تأثيرها المنوم . فمن اربعين سنة كان مواد البرومور Bromides أكثر هذه العقاقير استعمالاً في الطب لهذا الغرض . اما الآن فقد أخذت مواد « الباريتورات » Barbiturates تحل محلها

هذه المواد تصنع من الحامض الباريتوريك^(١) وهو ليس بالحامض الجديد في علم الكيمياء . جزئته لا يرى بالجرهر لصغره ، ولكن الكيميائيين توصلوا الى معرفة تركيب الذرات فيه فاذا هو كما ترى في الشكل الاول

ان الجزء الخاص من هذا الجزيء الذي يهمننا بوجه خاص في هذا المقال هو ذرّتا

(١) الحامض الباريتوريك Barbituric Acid مركب عضوي مبلور ابيض قوامه اربع ذرات من الكربون واربع من الايدروجين وذرتان من النتروجين وثلاث من الاوكسجين وجزيئان من الماء و (C4 H4 N2 O3 2H2)

الايدروجين المفردتان . ففي مستهل هذا القرن ، كان الكيميائي الالماني اميل فيشر يجرب التجارب بحزيء هذا الحامض محاولاً ، ان يحذف ذرتي الايدروجين ليحل محلها ذرتي (او مجموعتين من الذرات) مادة اخرى لعلها يتوصل الى تركيب مادة جديدة ، لها خاصة النوم ومع ان الحامض له ليس له هذه الخاصة رأى فيه فيشر اساساً لمادة جديدة منومة وقد تحقق ما يبغيه فيشر في سنة ١٩٠٣ اذ تمكن من ان يحل محل كل ذرة من الايدروجين مجموعة من الذرات ، توجد في الايثر . وكانت كل مجموعة مؤلفة من خمس ذرات ايدروجين وذرتي كربون (ترى رسمها وتركيبها في الشكل الثاني) فلما تم الحذف والتركيب ، اصبحت ذرة الحامض المذكور ، وهي كما تراها (الشكل الثالث) ، اي انها غدت ذرة مادة جديدة كان فيشر يتوقع ان تكون المادة المنومة المتوقعة

كان فيشر يتوقع ان تكون هذه المادة الجديدة ذات تأثير مخدر وذلك بما لها من ألفة للعادة الدهنية (ليبود) في خلايا الدماغ فتجعل أغشيتها الخارجية أفقق مما هي . وقبل أن يتمكن من الفصل في هذه المسألة دعي الى رحلة فقام معاونه بالتجارب وانبأه بنجاحها . وكان فيشر عند بلوغه نبأ نجاحها في مدينة فيرونا الايطالية فدعا هذه المادة الجديدة « فيرو نال » Verona . هذا العقار يعرف في الاقرباذين الانكليزي باسم « باريتون » Barbitone وفي الاقرباذين الاميري باسم « باريتال » Barbitol . وهو الأول من سلسلة من العقاقير المنومة المستخرجة من الحامض الباريتوريك وذلك بحذف ذرتي الايدروجين من جزيئه واحلال مجموعة من الذرات محل كل منهما . فاذا أحلنا محل ذرة واحدة مجموعة من نوع الاثيل Ethyl ومحل الأخرى مجموعة من نوع الفينيل Phenyl كان المادة ذلك العقار المعروف باسم لومينال luminal وهو عقار يؤثر تأثيره المنوم في بعض الناس في نصف الوقت الذي يستغرقه القيرونال . وعلى هذا النسق صنعت عقاقير أخرى منومة مثل « النيونال » و « الافيال » وهي لا تتفاوت في تركيبها فقط بل تتفاوت كذلك في سرعة تأثيرها ومدى النوم الذي تحدثه

هل استعمال هذه العقاقير ينطوي على خطر وكيف تتفاوت من حيث تأثيرها في مختلف الناس ؟ ان التجارب التي أجريت للإجابة عن هذه الاسئلة وغيرها مما هو من قبيلها ، أجريت على الأرانب والخنازير الهندية . ولكن اجراء التجارب على هذه الحيوانات لا يمكن أن يحسب دليلاً أكيداً الى الحقيقة ، لان الأحوال النفسية تؤثر أعظم التأثير في شؤون الأرق والنوم ، بل ان الانفعال الناشئ من رؤية ولد وحيد أصيب بحادثة اضطدام يؤثر في احوال الجيم الكيميائية ، ومن هنا لا يمكن الاعتماد كل الاعتماد على نتيجة التجارب بالحيوانات . ولكن المشاهدات السريرية تبين للباحث بوضوحاً شاسعاً بين الناس من ناحية تأثرهم بأحد هذه العقاقير .

فالجرعة السليمة من « الفيرونال » تتفاوت بين ٣ قححات و ١٠ قححات . ولكن أحد اطباء لندن عرف قحاة شفيت بعد تناولها ٩٠ قححة وعرف كذلك شاباً توفي بعد تناوله ١٥ قححة . ثم يختلف الناس من حيث كبر الجرعة التي يحتاجون اليها لكي يناموا . بل هناك من يحدث فيه أحد هذه العقاقير تهيجاً بدلاً من التخدير . وهذا الضرب من التأثير يغلب في النساء . ويقول الدكتور « الفاريز » أحد اطباء عيادة مايو باميركا انه لا يذكر انه رأى رجلاً تأثر بالباربيتورات على هذا النمط

من الصفات التي تغلب على المرهفي الاحساس المعرّضين للأرق الشديد تعرضهم للكابوس عندما ينامون ، اول الاحساس ان بعضهم أعضاءهم مصاب بتخدير شديد او بورم ومنهم من يبقى ساعات وأياماً وهو متنبه الذهن يقظ الشعور على حين ان السواد من الناس يكون قد نام إعياء . ومن المعروف ان التأثير الأول للتخدير قبل العمليات الجراحية هو التهيج . ولتفسير ذلك يذهب « الفاريز » الى ان المخدر البطيء الفعل عندما يصل الى الدماغ ويحدث تأثيره الأول وهو التهيج ، يجتاز المصاب فترة صعبة جداً قبل ان يرين الكرى عليه ويستولى التخدير على أعصابه . ولعل الجهاز العصبي يتأثر بهذه الفترة فيظل تأثير المخدر بفعل كيمياوي حيوي . فيبقى الشخص متنبهاً فقط . ويقيم الفاريز الدليل على رأيه هذا بقول ان « الكلورال » من خير العقاقير لمعالجة هذا الطراز من الناس وذلك لأنه سريع الفعل جداً فيحدث التخدير او التثويم قبل ان يجتاز الانسان تلك الفترة الصعبة التي تحفز الجهاز العصبي الى إبطال فعل المخدر . على ان السواد من الناس يتأثر بالعقاقير المنومة كالفيرونال والشاذ منهم يحتاج الى عقار من قبيل « الكلورال » وهناك نوع من الأرق يصاب به صاحبه بعد نوم قصير . أي انه لا يجد صعوبة ما في أن ينام ولكنه بعد قليل يستيقظ ويتقلب في فراشه . وخير علاج لهذه الحالة هو عقار منوم لا يستمر فعله أكثر من أربع ساعات . ولكن الطبيب الذي يصفه يجب ألا يصفه إلا بعد ان يتبين تركيب المرء العصبي ونوع الأرق الذي يصاب به ، لأن الغرض من وصف العقاقير المنومة هو حل المرء على أن يتعود النوم الصحيح بغير أن يتعود تناول العقار فلا يستغني عنه

وكان زعم الباحثين في مبدىء الأمران المركبات المستخرجة من الحامض الباربيتوريك لا تثنى عادة الادمان في تناولها . ومما لا ريب فيه أنها في طبقة من العقاقير تختلف عن طبقة المورفين والكوكايين والافيون . ولكن هناك مدمنون للفيرونال بمعنى أنهم أصبحوا لا يستغنون عن برشان الفيرونال قبل النوم كل ليلة . وقد روي ان أحد الاطباء وضع في البرشان مسحوق سكر اللبن بدلاً من مسحوق الفيرونال فأحدث تناول هذا البرشان التأثير المنوم المطلوب في شخص تعود أخذها كل ليلة . ولكن ليس جميع مدمني الفيرونال من هذا النوع القائم على الوهم . ومع ذلك

فعدد هؤلاء المدمنين قليل . ويقول الفاريز انه لم يَرَ أكثر من سبعة مدمنين من هذا الطراز خلال ثلاثين سنة من الممارسة الطبية . ويقول جلسبي Gillespie انه لم يعثر في جميع الرسائل والمؤلفات الطبية المنشورة في ربع قرن قبل سنة ١٩٢٩ على أكثر من اربعائة مدمن من هذا النوع والخلاصة ان هذا النوع من العقاقير قد يولد عادة الادمان في الضعاف المصابين بجهاز عصبي مضطرب ولذلك يحذر بالطبيب ان يستوثق من ان تناول العقار سيقتضي خاضعاً لسيطرته وامره قبل الاشارة باستعماله ، وان يقع المصاب بان تناول له من تلقاء نفسه ينطوي على خطر

مركز النوم في الدماغ

يتفق الشعراء في جميع اللغات على وصف النوم بأنه ضرب من الموت او هو «الموت الاصغر» ومع ان الكتب الطبية لا تحتوي على ذكر امرىء مات بقلة النوم او انتفائه فالصينيون والاسكتلنديون كانوا — على ما يقال — يعاقبون المجرم بفرض اليقظة الدائمة عليه حتى يموت . اما التجارب في الحيوانات فقد اثبتت ان كلاباً نفقت بعد ١٤ يوماً من اليقظة الدائمة المفروضة عليها والارانب بعد ثلاثة أسابيع

ولعل هناك فرقاً بين اليقظة المفروضة على الكائن الحي من الخارج بمنبهات دائمة واليقظة الذاتية التي ندعوها «الأرق» . ومما يروى في هذا الصدد ان العالم الهولندي هرمان بوير هاف الاستاذ في جامعة ليدن في مستهل القرن الثامن عشر ، قضى مرة ستة أسابيع دائماً اليقظة لانشغاله ببحث خطير مهمه . ويروي «فوربز ونسلو» قصة رجل كان يسير على قدميه مسافات طويلة في النهار ثم يشغل ليلاً في مناقشات محترمة مع أشخاص موهومين ، وانه قضى على ذلك ثلاثة أشهر لا ينام . وفي مذكرات احد الاطباء ان رجلاً أصيب بالأرق خمسة عشر يوماً متوالية فكان نهض من فراشه في الليل ويسوق مركبة تجرها ثلاثة جياد حتى ينهكها إعياء لعله بذلك ينهك جسمه فينام . يقابل هذا ان الدكتور هرترزلر — مؤلف كتاب «طبيب العرب والحجوات» أي طبيب الريف — يروي عن نفسه انه دعي في احدى الليالي وهو متعب جداً لعلاج حالة طارئة فاستقل عربته وحقنية أجهزته وعندما وصل الى الكوخ الذي دعي اليه أعد مبضعة لشق خراج خبيث ثم ران الكرى فجأة على عينيه ، فاعاد المبضع الى الحقيقة وعاد الى داره ولم يتذكر إلا في الصباح ان الخراج لم يشق وكذلك نرى من هذه المقارنة في مسألة النوم ان النوم يأخذ بأجفان أناس وهم في أشد الحاجة الى اليقظة ويحجب عنهم وهم في أمس الحاجة اليه

وليس ثمة ريب في ان احدى الفجوات الكبيرة في علم الحياة الانسانية ، جهلنا سر النوم . فنحن نعلم علماً لا بأس به أساليب التنفس ودوران الدم والهضم والاتصال العصبي في الجسم

واسرارها. اما النوم فلا نجد رأياً واحداً في تفسيره وفهمه يفوز باجماع العلماء او بما يقرب من اجمعهم في الآراء المطروحة على بساط البحث رأي يعزو النوم الى تغير في مقدار الدم او محتوياته. ولعل القول بان سبب النوم هو فقر وقتي في دم الدماغ من اقدم الآراء في فهم النوم وقد وصفه « الكيون » اليوناني من ٢٥٠ سنة بقوله « ارتداد الدم من الدماغ الى الشرايين ». الا ان جماعة من الاطباء في مستشفى مدينة بوسطن الاميركية حاولوا من عهد قريب قياس ما يجري من الدم من الدماغ الى الأوردة . فوضعوا في جمل الوريد الداخلي — وهو الوريد الذي يفرغ فيه الدماغ دمه — اجهزة كهربائية دقيقة لا تسبب لصاحب الوريد المسأماً ، فاسوا بها سرعة جريان الدم من الدماغ الى الوريد مدى ساعتين . واخذ الكرى بمعاقد احفان الرجل في خلال التجربة ، فلم يحدث تبدل ما في سرعة جريان الدم لا في بدء النوم ولا في اثنائه ولا قبيل الافاقه منه . وقد اعيدت التجربة في غيره فاسفرت عن النتائج نفسها

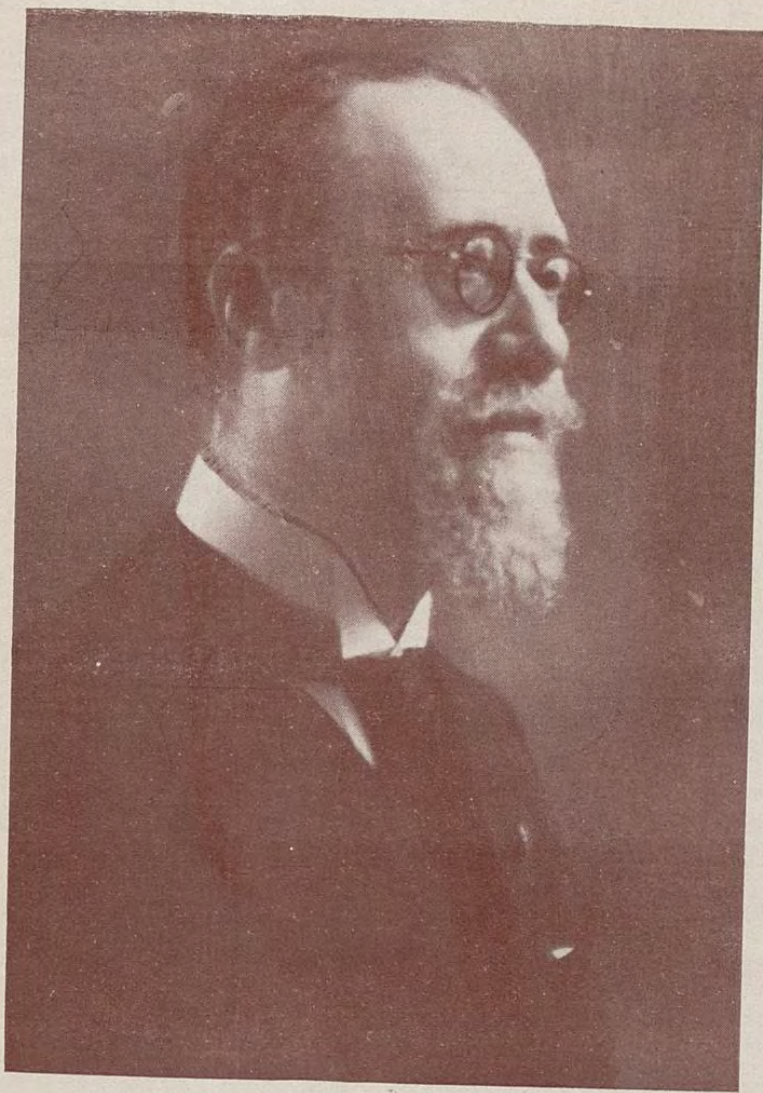
واذن ليس في الوسع ان يقال ان هناك سنداً للرأي القائل بوجود صلة بين مقدار الدم في الدماغ والنوم . ولكن هناك ما يدل على وجود صلة بين النوم ومحتويات الدم . فمن سنوات ذهب احد علماء الفسيولوجيا الى ان الدم المأخوذ من الاوردة المحيطة Periphera في اثناء النوم يحتوي على مقدار من الكلسيوم اقل من مقداره في دم الأوردة نفسها في اثناء اليقظة . فحفر هذا القول العلماء الى البحث وهم يسألون ، ترى هل يتجمع الكلسيوم في اثناء النوم في الدماغ ؟ وكان من ابرع من تقدم لبحث هذا الموضوع عالم سويسري يدعى ديمول Demole فحقن ملحاً من املاح الكلسيوم في ادماع الهرة وجعل الحقن في جذر الدماغ المعروف باسم المهاد (عن شرف: thalamus) فران النوم على الهرة . ووجد ديمول بالتجربة انه يستطيع ان يجعل مدة النوم متفاوتة من دقائق الى ساعات بزيادة مقدار الحقنة او نقصها . وعرف بالاختبار انه في مكنته ان يوقظها من نومها هذا ولكنه عرف كذلك انها اذا استيقظت من تلقاء نفسها بدا عليها النشاط والانتعاش كأنها نامت نوماً طبيعياً

واجريت تجارب اخرى من قبيل تجارب ديمول فثبت منها ان املاح الفلزات لها فعل منوم كفعل ملح الكلسيوم اذا حقن في « مهاد » الهرة وهناك ما يدل على ان الكلسيوم تأثيراً في منطقة الدماغ التي تحت المهاد (التالاموس) ومن المعروف ان الكلسيوم تأثيراً خاصاً في الخلايا الحية . اذ يلوح انه يجعل جذرانها اقل شفوفاً واشد مقاومة فتغدو اقل تنبهاً او تأثراً بالمنبهات . واذن يمكن ان يحسب الكلسيوم ضابطاً (فرملة) كيميائياً حيويّاً وهذا يفضي بنا الى ان نقول ما قاله جلوسي في رسالته « النوم » ان العقاقير المنومة (المخدرة) تؤثر باضعاف شفاف الاغشية الخلوية في الجهاز العصبي المركزي

وتدل الدراسات المختلفة على ان الجسم يتلقى من هذه المنطقة في قاعدة الدماغ الأوامر العصبية الخاصة بالنوم واليقظة

ومن بضع سنوات قام الاستاذ هيس العالم الفسيولوجي المشهور بجامعة زوريخ ببحث طريف اذ غرز أقطاباً كهربائية دقيقة كالابر في أدمغة الهررة وأحدث بوساطتها صدمات كهربائية فسبب ذلك النوم في الهررة . وعني ايكونومو النمسي العالم بالأعصاب بدراسة أدمغة المتوفين بالتهاب الدماغ السحائي (مرض النوم) عندما فشا هذا الوباء في أوروبا خلال الحرب الكبرى فوجد التصاقات او كتلاً من النسيج المؤوف في المنطقة التي عند قاعدة الدماغ في كل حادثة تولاهها بالبحث . ومن عهد قريب قام جماعة من علماء شيكاغو ببحث دقيق ثبت لهم منه أن الجزء الخاص الذي يصاب في قاعدة الدماغ هو الجزء المعروف باسم «هيبوتالاموس» (وهو الجزء الذي تحت المهاد اي تالاموس) . فوجدوا ان هيبسج هذا الجزء من الدماغ في الهررته يسيراً يفضي بالهر الى رفع رأسه واتساع بؤبؤه وازدياد تنفسيه ونشاطه حالة ان هيبسج مناطق أخرى من الدماغ لا يفضي الى مثل هذه النتائج . يقابل ذلك انه اذا أصيب هذا الجزء من دماغ الهرر بآفة او باصابة أحدث ذلك سباتاً في الهرر ، فاذا هيج بعد حدوث النوم يحز الهيبسج عن ايقاظ الهرر من سباته وتحولت جماعة شيكاغو بعد ذلك الى حيوان اعظم نشاطاً وأقل نوماً من الهرر فاتخذوا نوعاً من القرد لا يستقر على حال عندما يكون امام الناس ، فحدثوا التصاقات في ذلك الجزء من دماغه المعروف باسم (هيبوتالاموس) فتحول هذا الحيوان الصاحب الذي لا يستقر الى حيوان مترارخ يقابله الناس فيغلبه حتى لقد رين النوم عليه وهو يتناول طعامه . ولم يندر ان تستمر هذه الحالة بضعة اسابيع . فاذا عاد القرد المعالج بهذه الطريقة الى اليقظة التامة كان أكثر استقراراً وأنساً منه قبلها . واللائح ان الآفة التي أصيب بها «الهيبوتالاموس» غيرت من طبيعته الانفعالية ، وهذا يتفق والنتائج التي أسفرت عنها مباحث العلماء الآخرون ، وهي ان «الهيبوتالاموس» هو مركز الانفعالات وقد تناولت تجارب جماعة شيكاغو عدداً كبيراً من الهررة وخمسة وخمسين قرداً ، فكانت النتائج التي اسفرت عنها يؤيد بعضها بعضاً . ذلك بان الاصابة في الهيبوتالاموس تقضي الى النوم . اما اذا كانت في جزء آخر من الدماغ فانها لا تقضي اليه . ومما يجب ذكره في هذا الصدد ان الالتصاقات التي كانت تصيب هذا الجزء من الدماغ لم تمس مسالك الاعصاب الرئيسية الممتدة من الجسم الى الدماغ ومن ذلك خالص رئيس هذه الجماعة الى القول بأن النوم في هذه الحيوانات لم ينشأ عن قطع سبل الرسائل العصبية الحسية السائرة من الجسم الى قشرة الدماغ . ومهما يكن من امر فهو مقتنع بأن «الهيبوتالاموس» متصل اتصالاً وثيقاً بتنظيم اليقظة والنوم وان كونه مركز الانفعالات يجعله عاملاً فعالاً في المحافظة على اليقظة

[ملخص بتصرف يسير عن مجلة هاربرز]



المستشرق نلينو

[تفضات الآيسة ماري نلينو كريمة
 المغفور له الاستاذ نلينو باهداء
 هذه الصورة اليها وهي من تصوير
 « أونغاريا » بروما ونقلها محظور]

المستشرق نلينو

حياته وأماه

للعلامة المستشرق البروفسور ليمان

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

الاستاذ كارلو الفونسو نلينو (C. A. Nallino) علم من أعلام الاستشراق وامام المشتغلين بالشرقيات في ايطاليا . عرفه طلبة الجامعة المصرية أمس واليوم أستاذاً وصديقاً وعالماً وديعاً فأجوده وأحبههم وقد زاد تعلقهم به على قدر رعايته لهم وثقتهم به .
حول الاستاذ نلينو أعين تلاميذه المصريين الى القطب الآخر الذي يغيب عنهم . ذلك أنه عرف فيهم النباهة وسرعة الخاطر وحب الاطلاع وقوة الذاكرة ثم كشف عن النقص فلاحظ ما يحتاجون اليه من تنظيم معلوماتهم وحصرها وضبطها حتى يتبها لهم التأليف بعد البحث فتعمد في درسه الدقة العالمية الشديدة ووقف على كل مسألة يوفيهما قدرها من الفحص ليصلح ما انحرف وليجعل من هذا النبات الملتف شجراً مثمراً . فوصل الى غايته دون ان يرهق تلاميذه أو يكلفهم شططاً وهم يعترفون له على اختلاف مناحيهم بالفضل والأثر

وكذلك كان له خير ذكر عند زملائه علماء المشرقيات في أوروبا والشرق العربي واليك المراثية التي كتبها المستشرق ليمان من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية وأستاذ اللغات الشرقية في جامعة توبنجن بألمانيا . وهذه المراثية تبرز — على الطريقة الألمانية في المراثي — خصائص الراحل ومناحي مباحثه وألوان تأثيره

مراد كامل

— ١ —

خسر العلم بفقدان زميلنا الاستاذ نلينو نابعة من اعظم العلماء وأجلهم قدراً . وقد ظهر نبوغ الاستاذ نلينو في علم المشرقيات وعلى الخصوص في العلوم الاسلامية ، ويندر ان نجد عالماً مثله بين اولاء الذين درسوا العلوم الاسلامية : بحث في كل فروع هذه العلوم المتشعبة فكشف لنا عن حقائق علمية جديدة في كل ناحية من نواحيها . وقد قال الاستاذ نلينو مرة لزميل من زملائه في مدينة پلرمو « لا يحولني عن دراسة العرب كائن ما كان ولكني أحاول أن

أعرف كل شيء عن العرب». وفضلاً عن أن اللغة العربية والعلوم الإسلامية على تعدد فروعها كانت موضع عنايته الخاصة فقد كان على علم يقين ومعرفة ثابتة بسائر لغات الشرق الأدنى وآدابها وقد عرف كيف يستعملها عند الحاجة فكان يتقن الآرامية والعبرية والفارسية والتركية، وفي مؤلفاته شواهد باللغة الارمنية واللغة الحبشية. ولكنه حصر جهده في دراسة العربية كرميله المستشرق الهولندي ده غويه de Goeje (بينما نبغ زميلاه الأستاذ نولدكه Noeldeke الألماني وكذلك الأستاذ جويدي Ignazio Guidi الإيطالي في علم اللغات السامية عامة بل تعديها أحياناً إلى فقه لغات أخرى) وأتقن الأستاذ نلينو دراسة علوم أخرى: فدرس علم الفلك والرياضيات والفلسفة والفقه وتاريخ الأديان دراسة محققاً ليستعملها في مباحثه المختلفة. وكان يتعمق في الدرس ويتعقب أغلاط العلماء المتقدمين وينقش الحب من التبن — كما يقول — ويحل المشكلات العلمية على وجه جديد صحيح. وقال عن نفسه مرة «إذا صادفتني مسألة علمية فلا بد لي أن أتعلم في بحثها فأنا لا اكتفي بمعرفة نصف الشيء». وبدأ أحياناً بدراسة نقطة ظن أنها تافهة فوصل منها إلى مسائل مهمة حققها على أتم وجه. وقال في معرض الكلام عن هذا النوع من الدراسة في رسالة له تقع في خمس وعشرين صفحة عنوانها (أفلسفة مشرقية أم مشرقية عند ابن سينا): «إن المسألة التي أقصد حلها تظهر تافهة ولغوياً بعينها ولكن حلها في الحقيقة على غاية من الأهمية فهو يعين باطن فكر ابن سينا ومنصبه الحقيقي في تاريخ الفلسفة عند مسلمي الشرق، فأمل أن أكون على حق في توسعي في هذا المقال والتدقيق في بحثه»

كان الأستاذ نلينو يملك زمام اللغة العربية كاتباً وناطقاً، فقد ألف بعض مؤلفاته بالعربية وألقى محاضرات في الجامعة المصرية بها من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١٢ ثم من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣١. وكان في جلسات مجمع فؤاد الأول للغة العربية كثيراً ما ينوب عن الأعضاء الأوربيين في الكلام. وقد قرأت في جريدة مصرية «أن الأستاذ نلينو يعرف العربية كأنها لغة آبائه»

ولد الأستاذ نلينو في السادس عشر من شهر فبراير سنة ١٨٧٢ في مدينة تورينو من أعمال پيمونت Piemonte ونشأ في أودينه Udine من أعمال البندقية، ثم درس في مسقط رأسه تورينو تحت إشراف الأستاذ بيزي Italo Pizzi وحصل في سنة ١٨٩٣ على درجة الدكتوراه في الآداب وكان الأستاذ Pizzi يؤثر تدريس اللغة الفارسية فالغالب على الظن أن الأستاذ نلينو انتفع من تعليمه لتلك اللغة. أمّا الفضل في دراسته للغات الشرقية الأخرى فيرجع لنفسه واجتهاده. وقد أرسلته وزارة المعارف الإيطالية على نفقته إلى القاهرة في شهر ديسمبر سنة ١٨٩٣ فأقام بها إلى شهر مايو من السنة التالية ليستزيد من العلم. وفي خريف تلك السنة بعثه مرصداً ميلانو إلى الاسكوريال في إسبانيا لدراسة المخطوطات العربية فيها. وكان قد سافر سنة ١٨٩١ وهو ابن تسع عشرة سنة

الى مونيخ في بافاريا لكي يفحص عن بعض المخطوطات العربية وينسخها . ثم صار معلماً وهو ابن احدى وعشرين سنة أي في سنة ١٨٩٤ حين عيّن لتدريس اللغة العربية في المعهد الشرقي بمدينة نابولي ، وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٩٩ . ثم رقي في المعهد نفسه الى منصب استاذ مساعد وظل كذلك ثلاث سنوات . وكان في الوقت عينه مدرساً للغة العربية وآدابها في جامعة روما الملكية ، ثم دعي في سنة ١٩٠٢ الى الجامعة الملكية في پلرمو كأستاذ مساعد ، وبعد ثلاث سنوات عيّن أستاذاً للغة العربية بها حتى سنة ١٩١٤ ، وكذلك ألقى محاضرات في الجامعة المصرية القديمة من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٢ عن تأريخ علم الفلك عند العرب وعن تأريخ الآداب العربية ، ثم عيّن أستاذاً بالجامعة الملكية في روما للتأريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية فأنتج في التعليم والبحث والادارة ، والقي محاضرات في تاريخ بلاد العرب قبل الاسلام في الجامعة المصرية كأستاذ زائر من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣١ . وكلفته حكومته بعد الحرب التي شبت بين ايطاليا وتركيا ان يقوم بتنظيم ما تبقى من الأوراق الرسمية التركية السياسية وتأسيس مكتب للترجمة ، وكان ذلك في أواخر عام ١٩١٢ ، ثم عهدت اليه وزارة المستعمرات بأعمال مختلفة منها أن يكون مندوب الملك في تنظيم المعهد الشرقي في نابولي تنظيماً جديداً ، وكان ذلك فيما بين سنة ١٩١٣ وسنة ١٩١٤ فزى أن الاستاذ نلينو لم يكن صاحب علم نظري فحسب ، بل اكتسب تجارب عملية مفيدة من أسفاره العديدة ومناصبه المختلفة أهّلته كوطنى غيور لاستخدامها بفضة زائدة في منفعة وطنه ، فكان كذلك عضواً للمجلس الأعلى للتعليم من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٨ وقد عيّن سنة ١٩٢١ مديراً للمعهد الشرقي بجامعة روما فقام بادارته خير قيام إلى أن وافته المنية . وفي اثناء ذلك أسّس مجلة (الشرق العصري) Oriente Moderno وكان رئيس تحريرها . وهي مجلة فريدة في بابها بحق للمستشرقين الايطاليين ان يفخروا بها إذ لا مجلة هنالك على اسلوبها في العالم يُذكر فيها كل ما يتعلق بالشرق العصري بمثل هذه الدقة والأمانة العلمية ، وبجانب هذا كله أسندت اليه ادارة القسم الشرقي من دائرة المعارف الايطالية وكذلك نيابة رئاسة المجمع العالمي بروما

عرف الاستاذ نلينو في اسفاره المتعددة البلدان ، التي حول البحر المتوسط من المغرب الأقصى الى بلاد الشام ، فبعد ان زار القاهرة للمرة الاولى في سنة ١٨٩٣ سافر مراراً الى بلدان إفريقية الشمالية ثم حملته الرغبة في البحث على زيارة بلاد السودان والعراق فسافر اليها عقب إقاماته في القاهرة ، واخيراً شاهد بلاد العرب التي طالما بحث عنها نظرياً ، فبينما كنا الى مائدة طعام في يوم من ايام شهر يناير في السنة الماضية اذ بادرنى بقوله « اني سأسافر مع كريمي الى جدة » وقد ودّعته في اوائل شهر فبراير ونحن نجهل ما نجأه لنا القدر وأتالان تقابل مرة اخرى . أقتله

سيارة السفير الايطالي مع كريمته من القاهرة الى السويس ومنها سارا على باخرة صغيرة الى جدة فظلاً هناك الى اواخر شهر مارس، فسنحت لها الفرصة فسافرا بالسيارة الى داخل الجزيرة مارين بالطائف، وقد كتبت إليّ الانسة ماريا نلينو عن هذه الرحلة قالت: — «اضطررنا في رحلتنا هذه ان نلبس ملابس العرب فلبس أبي المشلح والصمادة. أما أنا فلبست الجلباب الأسود ووشاحاً مضاعفاً يغطي الوجه كله، وبتنا في طريقنا في قرية السيل في غرفة صغيرة خالية من الأثاث لانا فذه فيها، بها باب بدون مصراع تطل على السهل الواسع فتسمح للكلاب والقطط وما إليها أن تدخلها وكل ما كان لدينا من الترف كرسيان من القش اضطجعنا عليهما بمالابنا». ومع ان الاستاذ نلينو كان يتحمل متاعب الاسفار ومشاقها فأنا أظن أن متاعب تلك الرحلة اضرت بصحته ولكنه رجع الى روما فرحاً مرحاً فبدأ عمله هناك بما عهد فيه من النشاط. وكان يريد أن يشترك في مؤتمر المستشرقين في بروكسل ولكن توفاه الله في الخامس والعشرين من شهر يولييه سنة ١٩٣٨ بسكتة قلبية، فحزنت عليه ايطاليا اذ كان من أعظم علمائها وحزن عليه جميع علماء المشرقيات وحزن عليه اصدقاؤه وتلاميذه الكثيرون في الشرق والغرب، وكذلك كان حزن أعضاء مجمع فؤاد الاول شديداً عندما ارسل اليهم معالي رئيسه خبر الوفاة قال: «مع عظيم الأسى وبالغ الحزن أبلغ حضراتكم نبأ وفاة زميلنا المغفور له السيّد نلينو. ولا شك أننا جميعاً نشعر بأن المجمع قد خسر بوفاته عضواً عزيز العلم جليل النفع كريم الخلق، نسأل الله أن يلهمنا وإياكم جميل الصبر ويهيننا جميعاً الغزاء»

— ٢ —

أما مؤلفات الاستاذ نلينو الاولى فأظهرت تشعب دراسات وأتساع أفقه العقلي، فقد كتب أول مؤلفاته وهو ابن عشرين سنة وكان موضوعه جغرافياً، وكتابه الثاني عنوانه «متخبات قرآنية» أضاف إليها معجماً له شأنه في علم اللغة، وكان موضوع رسالته الثالثة تاريخياً والرابعة فلكياً، ثم أفاضت علينا مؤلفاته الواناً وانواعاً فشملت تقريباً كل علوم اللغة العربية والثقافة الاسلامية العربية. وأهم ما نشر وأوسعها يخص علم الفلك عند العرب وتاريخ الفقه الاسلامي وفتح له هذا البحث باباً الى دراسة الفقه عند مسيحيي الشرق وهو أول من دلنا على حقيقة الكتاب المسمى (بكتاب الفقه السرياني الروماني)

والآن أحب أن أعرض مجملًا تأليف الاستاذ نلينو، ولما كان فهرست مؤلفاته المطبوع لم يذكر فيه نقده العامي للكتب المختلفة ولا مقالاته المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية ولا الايطالية فأنا لا يمكنني أن أتكلم عنها كلها هنا، وكل ما في وسعي أن أقوله إن نقده للكتب المختلفة كان في دائرة الموضوعات التي بحث فيها وقد يتعداها أحياناً، ولم يكن الاستاذ نلينو ممن يكرر القول في نقده بل يوضح المسائل بأفكار جديدة، وكثيراً ما أظهر بنقده اخطاء المتقدمين

وحدّد واجب الناقد والحاكم بقوله «أجهد ان أقوم بهذا الواجب على وجه محايد كما يجب على كل من دعي ان يحكم حكماً»

أما أول كتبه في اللغة وتاريخ اللغة فهو (منتخبات قرآنية) كتبه في سنة ١٨٩٢ ونشره في السنة التالية، وقد رتب السور المختلفة بحسب تاريخ نزولها كما أثبت ذلك الاستاذ نولدكه Noeldeke في كتابه عن تاريخ القرآن، لقراءة النصوص القرآنية ومسائل أخرى ظهرت بعد ما نشر برجشترسر Bergstraesser وجفري Jeffery وپرتزل Pretzl ابجاءهم ولكن قصد الاستاذ نلينو ان يكتفي بالنص المعروف، وأضاف الى كتابه تعليقات وملاحظات ومعجماً على غاية من الدقة ذكر فيه اشتقاق الكلمات كما كانت معروفة في ذلك الزمان، وقال في ذلك «إني أعرضت أحياناً عن المعاجم العربية وبذلت جهدي لكي أعرض في معجمي هذا معاني الكلمات كما دارت في خلد النبي». فهذا يظهر لنا الروح العامية الصحيحة لعالمنا الشاب، وقد سمحت له أسفاره في افريقية أن يتعلم اللهجات العربية الحديثة فكان يتكلم باللهجة المصرية بطلاقة كما كان يتكلم بالعربية الفصحى، فنشر أولاً (ملاحظات في اللهجة العربية التونسية على كتاب قواعد هذه اللغة الذي نشره الاستاذ Stumme)، وتلا ذلك كتابه المشهور الذي عنوانه (اللهجة العربية في مصر) وهو يحتوي على قواعد اللغة العامية المصرية ومحادثات وستة آلاف كلمة تقريباً. وكتابه هذا عمدة لكل من أراد ان يدرس اللهجة المصرية ففقدت طبعته الأولى لكثرة الاقبال عليه ثم ظهرت طبعة ثانية منقحة واقل الاستاذ نلينو بعد ذلك مهمة عالية على إكمال هذا الكتاب وكذلك اعتنى بعلم النقوش العربية فنشر مقالتين عن رُجّتين عربيتين منقوشتين وجدتا في ايطاليا الجنوبية، ونشر أيضاً في مجلة الهلال مقالة عنوانها (كيف نشأت اللغة العربية) ثم مقالة أخرى عنوانها (الحروف اللاتينية هل تصلح للكتابة العربية) ونشر في مجلة المجمع العربي بدمشق مقالة سماها (تصحيفات غريبة في معجمات اللغة) وكتب في مجلة الدراسات الشرقية عن المعنى الاصلي لكلمة «نِصْبَة» واستعملها عند الفلاسفة وعلماء الفلك بناءً على شواهد عربية مختلفة. ومقالة أخرى عن كلمة «ياض» بمعنى «قار»، وردت في معاهدات بين مصر وأهل أرغون في القرن الثالث عشر الميلادي، ونجد في بقية كتاباته الكثيرة ملاحظات شتى مفيدة عن تاريخ اللغة ومعاني الكلمات، مثلاً كلمة «هاهنا» التي استعملها ابن رشد بمعنى «يوجد» كما تستعمل لفظة «فيه» في العامية، وكذلك نجد في كتابه الفلكي المشهور عن البناني قسماً لغوياً على غاية من الأهمية، وله مقالة عن كتابين في اللغة العربية الجنوبية قبل الاسلام وهما كتاب قواعد اللغة العربية الجنوبية للاستاذ جويدي gnazio Guidi والمنتخبات العربية الجنوبية للاستاذ كوتي روسيني Conti Rossini اوضح فيها مسائل لغوية وتاريخية هامة.

أما الآداب العربية وتاريخها فكان الأستاذ نلينو على معرفة يقينية بها فكان يعرف مئات من المطبوعات العربية من جميع البلدان الإسلامية القرية منها والبعيدة ويحفظ مضمونها في ذاكرته بدون حاجة إلى الجذاذات، وكان لا يكلّ عن جمع الكتب ويأخذ معه من القاهرة كلما جاءها صناديق عديدة من الكتب إلى روما، وكتب عن موضوعات أدبية منها (حيفر الحكيم وكتاب طويلا) — (تاريخ آداب اللغة العربية) — (نقص تاريخ آداب اللغة والعلوم التاريخية عند العرب) — (بيت النابغة عن الإله ود) — (آثار كتب يونانية وصلت العرب عن طريق الپهلوية) — (عمّ متولى، حكاية عربية تأليف محمود تيمور مترجمة مع مقدمة وتعليقات) — (ملاحظات عن ابن المقفع وابنه). ومن أهم مقالاته تلك التي كتبها عن الكتب اليونانية التي وصلت العرب عن طريق الپهلوية دلّ فيها على أن كتب *Cassianus Bassus Scholasticus* و *Teukros* و *Vettius Valens* نقلت إلى اللغة الپهلوية أولاً ومنها إلى العربية، وفسّر بنظره الثاقب الأسماء المصحفة عند العرب بتعدد دلالات الحروف الپهلوية، فحصل من ذلك أن تنكّوس وطينقروس وتنكلوشا صيغ مختلفة لاسم *Teukros* وأن كتاب تنكلوشا تزوير كما هو كتاب الفلاحة النبطية المعروف، وبذلك يستدلّ القارئ على مقدرة الأستاذ نلينو في اللغة الپهلوية وما عدا ذلك فله نقد كتب كثيرة عن الآداب العربية

من أهم أعمال الأستاذ نلينو التاريخية نشره كتاب تاريخ مسامي صقلية الذي ألفه Michele Amari. فقد نشر الجزء الأول في سنة ١٩٣٣ والثاني في سنة ١٩٣٥ ونصف الجزء الثالث في سنة ١٩٣٧. ووافته المنية قبل أن يتم طبع الكتاب كله، ولا شك أنه كان العالم المستعدّ للاعتناء بمثل هذا العمل لما له من بحارب طويلة في يلرمو مع معلوماته التاريخية الفذة. ونحن نتبين من مقدمة هذا الكتاب التي تقع في ثلاث وثلاثين صفحة قيمة هذا العمل الجسيم وما يحتاج إليه الإنسان من عناء واجتهاد. أما أعماله التاريخية الأخرى فيتعلق معظمها بتاريخ العرب قبل الإسلام لا سيما بتاريخ العرب الجنوبيين الذين ألقى عنهم محاضراته الدقيقة في الجامعة المصرية. أما الرسائل التي كتبها فهي (عن تشريع القبائل العربية قبل الإسلام) — (البندقية وسفاقس في القرن الثامن عشر حسب وصف المؤرخ العربي مقديش) — (تاريخ اليمن قبل الإسلام) — (رواد اليمن من الأوربيين) — (هل كانت مصر تعامل رأساً مع جنوب جزيرة العرب قبل عصر البطالسة) — (علاقة العالم الإسلامي بأوروبا) — (عن العرب والبربر في بلاد برقة) — (مخطوطان عريان عن تاريخ بلاد اليمن موجودان في مجموعة كايثاني Caetani)

أما الجغرافية، فكان أول ما نشره الأستاذ نلينو فيها (القياس الميترى لدرجة دائرة نصف

النهار عند جغرافي العرب) وأهم ما كتبه من هذه الناحية مقالة عنوانها (الخوارزمي وتجديده لجغرافية بطليموس)، وقد ترجم ملخص هذه المقالة الى اللغة الفرنسية، وهو المستشرق الوحيد الذي قارن من نواحي عديدة مختلف العلوم الاسلامية العربية بالعلوم اليونانية وبين علاقة بعضها ببعض لفهم الواحد من الآخر، فاهتم بالأسماء الجغرافية وكتب عنها رسائل شتى وهي (كيفية كتابة الأسماء الجغرافية باللغة العربية والفارسية والتركية) — (الأسماء الجغرافية في العالم الاسلامي في بعض مؤلفات عربية جديدة) — (كيف تكتب الأسماء الجغرافية في طرابلس الغرب وريقة باللغة الايطالية واللغة العربية). وبينما كان ينشر ويترجم كتاب البتاني بحث أيضاً عن جداوله الجغرافية وألف رسالة عنوانها (الجداول الجغرافية للبتاني مترجمة ومفسرة)، وكتب ياناً عن المكتبة الجغرافية التي نشرها الاستاذ de Goeje وكتب أيضاً في خارطة عربية من القرن السادس عشر الميلادي لعلي بن أحمد من مدينة سفاقس وعن رحلة ساح في ليبيا في القرن الثامن عشر، وبهذه المعلومات الفذة للأسماء الجغرافية استطاع ان يساعدنا كل المساعدة في جلسات مجمع فؤاد الأول عند المناقشة في هذه المسائل.

— ٣ —

أما علم الفلك عند العرب فالاستاذ نلينو هو العمدة فيه، وكتب أحد المستشرقين عن كتابه المسمى بالبتاني الذي يقع في ثلاثة مجلدات (إنه الحجر الأساسي لعلم الفلك ومن يعرف استعماله يجد فيه ملاحظات في هذا العلم الصعب وهو فوق ذلك يبيّن للقارئ الجائاً أعم منها)، وعنوان هذا الكتاب لاتيني وترجمته (كتاب البتاني الفلكي منشور بالعربية عن المخطوط الموجود في الاسكوريال ومنقول الى اللاتينية ومفسر بتعليقات)، طبع المجلد الاول في سنة ١٩٠٣ ويقع في سبع واربعائة صفحة من القطع الكبير ويحتوي هذا المجلد على ترجمة الكتاب والشروح وعلى مقدمة ينجز المؤلف فيها بحياة البتاني الحراني ورسائله والكتب التي نسبت إليه خطأ، ثم تكلم عن الكتاب نفسه، فطبع المجلد الثاني بعد اربع سنين ويقع في اربع واربعين واربعائة صفحة وهو ترجمة كل الجداول مع تعليقات ومعجم وفهارس، والمعجم العربي فيه مقدمة نحوية قصيرة ثم ملاحظات كثيرة عن الاصطلاحات الفلكية العربية وهي تهتمنا جداً من الجهة النحوية واللغوية. وبلي ذلك فهرس جغرافي وآخر تاريخي. اما المجلد الثالث ويقع في تسع وسبعين ومائتي صفحة فطبع قبل المجلد الاول بأربع سنين وهو المتن العربي. وله كتاب فلكي مشهور كتبه بالعربية وهو (علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى) ويقع في احدى وسبعين وثلاثمائة صفحة وهو نص الاربعين محاضرة التي القاها الاستاذ نلينو في الجامعة المصرية القديمة فبشرقساً منها كاملاً وقسماً مختصراً، وأضاف إليها ملاحظات اخرى عديدة وثمانية عشر ملحقاً تختلف

طولاً وقصراً وفهرست المواضيع وفهرست اسماء العلماء الاوربيين المذكورين في الكتاب وقائمان المضمون في كل محاضرة ، وكثيراً ما كان الاستاذ نلينو يضيف مثل هذه المختصرات الى مؤلفاته وهي تدل على تنظيم عمله وترتيب افكاره وهي فوق ذلك تسهل على القارئ سرعة فهم الكتاب. وهذه المحاضرات تشمل جميع الكتب العربية في علم الفلك ، فقدھا المؤلف وحدد علاقتها بعلم الفلك عند اليونان والفرس والهند وأظهر ايضاً المعلومات الفلكية عند العرب قبل الاسلام ، وألّف فيها عدد ذلك رسائل قصيرة في علم الفلك واصطلاحاته وتاريخه ، منها (علم الفلك عند جغيني) — (الاشتقاق العربي للكلمتين الايطاليتين azimut و asub وملحق عن كلمة almucantarar — (هل يقال زرق أم رزق في علم الفلك الدارج عند العرب) — (كلمة قطع في علم الفلك عند العرب) — (الشمس والقمر والكواكب عند المسلمين) ، وله فوق هذا نقد كثير لكتب فلكية عربية.

— ٤ —

درس الاستاذ نلينو تاريخ الفقه الاسلامي وكذلك فقه الشرق القديم والشرق المسيحي كما انه درس كل فروع الثقافة الاسلامية فألف رسالة عن (كتاب البيان لابن رشد الفقيه) وهو جد ابن رشد الفيلسوف. وكان هذا في سنة ١٩٠٤ ثم ابتداءً منذ سنة ١٩٢١ بتأليف كتب ورسائل عن علم الفقه الذي كان يملك ناصيته ، وكان السبب الذي دعاه الى هذا هو ان الاستاذ E. Carusi الذي عينته الحكومة لتدريس الفقه الشرقي في كلية الحقوق بجامعة روما ادعى انه عضو المدرسة الشرقية فردته المدرسة ولكنها لم تعلن ذلك الا مضطرة ، ثم فوّضت الى الاستاذ نلينو هذا الواجب الثقيل ان ينتقد ما كتبه الاستاذ كاروزي في تاريخ الفقه الشرقي مع قلة كفايته وضعف معلوماته في اللغات الشرقية فقام الاستاذ نلينو بهذا الواجب الصعب بما عهد فيه من دقة في البحث وعدل في الحكم ، ولهذا السبب وجب عليه ان يدرس كتاب الفقه الملقب بالسرياني الروماني وكذلك كتاب الهدايات أي القوانين لابي الفرج بن العبري وفتحت له دراسة هذه الكتب ابواباً مختلفة الى ابحاث مهمة ، ورفض على حق ما زعمه الاستاذ كاروزي من ان هناك فقه سامي أصلي ، ثم اقفى أثر كتب الفقه السريانية والعربية وقارنها بالفقه اليهودي ، فبدأ بكتابة رسائل في مسائل مختلفة منها (الفقه الاسلامي في القوانين السريانية المسيحية لابن العبري) وبرهن فيها على ان ابن العبري اقتبس قسماً من قوانينه من الفقه الاسلامي دون ان يشير الى ذلك ، ورسالة (Parrhesia والزواج بلا عقد كتابي حسب الكتاب السرياني الروماني) ثم (ملاحظات جديدة عن الكتاب السرياني الروماني وابن العبري) — (كُتب فقه رومية في تراجم عربية مسيحية) — (Apokeryxis والمنع من الميراث في كتاب الفقه السرياني الروماني) — (بعض مواضع تتعلق بالفرائض في الكتاب السرياني الروماني) — (Pherne بمعنى مهر في كتب سريانية ويهودية)

ثم كل هذه الرسائل كلها برسالته (عن الكتاب السرياني الروماني وعن الفقه السرياني الوهمي) وقد كان علماء تاريخ الفقه قد عرفوا أن بعض أبواب كتب الفقه السريانية التي نشرها الاستاذ Sachau رجمت من كتب فقه يونانية — رومانية، ولكنهم ظنوا أن باب الفرائض هو فقه سرياني محض معمول به في بلاد الشام وأن هذا الفقه أصله موجود في الشرق القديم وأخذ الاستاذ نلينو في الفصل الذي سماه (مراجعة الافكار الشائعة من كتاب الفقه السرياني) يقول «لوأردنا أن نظهر ونصلح كل الآراء الخاطئة والأغلاط والالتباسات التي وقعت في درس هذا الكتاب لوجب علينا أن نكتب سفرًا ضخماً». ولكنه أثبت أن الجزء الذي كان يظنه العلماء سريانيًا بحثًا هو في الحقيقة يحتوي على قوانين رومانية قديمة من قبل زمن يوستينيانوس قيصر الروم المعروف عند العرب بهرقل وأن كتب الفقه هذه لم يكن معمولاً بها عند السريان ومن الواضح أنها ترجمت من اليونانية، وقد برهن الاستاذ نلينو أن قسده مؤلفها — الذي يحفل اسمه — كان تعليميًا لا عمليًا وأنه إنما أراد أن يكتب كتابًا تعليميًا مختصرًا وأثبت كذلك أن الكتاب الملقب بالفقه السرياني الروماني لم يترجم في القرن الخامس بعد الميلاد بل في القرن الثامن وأن هذا الكتاب لم يستعمل قط لمجموع القوانين عند الأساقفة بل اعتبروه تحفة لمسيحي الغرب. هذه هي النتائج الجديدة المفاجئة لأبحاث الاستاذ نلينو في مسألة كثر البحث فيها ولم تفهم قبله. أما رسائله الأخرى في الفقه فهي التالية (الكفالة في الفقه الحنفي) — (تحريم المؤاخاة في الفقه الروماني القيصري وما يماثله عند العرب)، وكذلك كتب مقالات عن (الفقه الاسلامي) و (بيت المال) و (القاضي) في المجموع الايطالي الجديد.

وكان الاستاذ نلينو يفهم جيداً الدين الاسلامي والفكر الاسلامي وأمور المسلمين وكل ما يتعلق بهم، وكتب رسالة عن الاسلام في العصر الحاضر سماها (مقاصد الاسلام العصرية)، وفسر تسمية فرقتين إسلاميتين تفسيراً جديداً بناءً على بحث لغوي تاريخي دقيق فيبين أن كلمة المعتزلة معناها «المحايدون» لا «المفصولون» كما يظن العلماء وقال إن القدرة الذين لم يقبلوا القدر بل رفضوه سمووا بذلك الاسم لأنهم اشتغلوا بالقدر، ووصف أيضاً الصلة بين كلام المعتزلة وكلام فرقة الاباضية في إفريقية الشمالية وشرح العلاقة بين الاثنين شرحاً واضحاً ولكنه ترك هذه المسألة دون أن يفصل فيها، ثم نشر مقالة مفيدة عن رأي غريب منسوب إلى الجاحظ يخص القرآن الشريف بأن القرآن جسد ينقلب تارة إنساناً وتارة حيواناً، فلم يفهم العلماء هذا الرأي بل أولوه على أوجه مستحيلة شتى، وشرحه الاستاذ نلينو على وجه بسيط قاتلاً أنه إذا زعم أن القرآن مخلوق فهذا الرأي لا يقصد تبديلاً بدسيسةً وحقيقياً بل تقييداً محتملاً نظرياً بقدرة الله لأن الله يقدر أن يغير ما خلق. وكتب أيضاً عما نشر في العراق

منذ زمن قليل عن مجادلة سياسية دينية ، وفي السنة الماضية ظهرت له «مقالتان» «الحديث» و «الاجماع» في الموسوعة الايطالية الجديدة ، أما النبي فكتب عنه مقالتين الأولى عنوانها (الأستاذ Gabrieli ورسالة لم تنشر عن مصدر عربي للسيرة) والثانية سماها (في القرن الثالث عشر لوفاة النبي) ، ومقالاته عن الخلافة احداها (ملاحظات عن الخلافة عامة وعن الخلافة العثمانية المزعومة) ففقت هذه المقالة الى الفرنسية والانكليزية ، والثانية (انتهاء الخلافة للمسلمة بالعثمانية) ، وما نشره عن التصوف في الاسلام أهميته عظيمة ، وله رسالتان عن هذا الموضوع أولاهما (القصيدة الصوفية العربية لابن الفارض مترجمة الى الايطالية) والثانية (ملاحظات أخرى على ابن الفارض وعلى التصوف الاسلامي) . ولحكمة من الأدب الصوفي الشرقي والغربي أمكنه أن يشرح جلياً الفرق بين تصور الشاعر وبين المذهب الفلسفي وبين أيضاً كيف يمكن ان يكون المسلم الصوفي ثابت العقيدة ، وتوصل بمعرفته التامة لعلم النفس والفلسفة الى ان يفهم نفسية الشاعر فهماً متقناً ، فحدد معانيه وفسر لغته ، وصور «خيال الظل» عندما ذكر في الأدب الصوفي تصوراً حياً لأنه كان يعرف كل ما نشر عن هذا اللون في المسرح . واذا نقد كتب المؤلفين العرب أظهر مقدرة أدبية فنية في الحكم على مؤلفاتهم فيصف الأسلوب أحياناً بأنه جامد لا حياة فيه وأحياناً بأنه جميل ظريف .

كان الأستاذ نلينو خبيراً بالفلسفة الاسلامية ولكنه لم ينشر عنها الا قليلاً ، ومن أم أبحاثه المقالة التي نشرها عن كلمة مشرقية أم مشرقية عند ابن سينا ، وقد قرأها بعض العلماء مشرقية أي مضئنة وبنوا على هذه القراءة آراء شتى وبرهن الأستاذ نلينو ان قراءة مشرقية مستحيلة صيغة ومعنى وقرأها مشرقية فشرح معنى الفلسفة الشرقية وتاريخها شرحاً مفصلاً ، وأصبح هذا الشرح ذا شأن عظيم في طريقته ومضمونه وهو باب دقيق من أبواب تاريخ الفلسفة الاسلامية . ونشر أيضاً بحثاً عن كلمة استعمالها ابن سينا وفسرها العالم الايطالي I. Campanella خطأ ، ونقد ترجمة اسبانية لكتاب ابن طفيل الذي تكلم عنه في رسالته المشهورة عن الفلسفة المشرقية ، وله ما عدا ذلك نقد لكتب أخرى عديدة عن الفلسفة العربية . أما علم الآثار القديمة فدرسه الأستاذ نلينو أيضاً ونقد كتباً تتعلق بهذا العلم بنفس المقدرة التي نقد بها كتباً أخرى ، وألف رسالة عنوانها (الأساطير التي تدور حول قبر النبي داود ووجوده تحت المكان المقدس للعشاء السري) .

وقد ظهر من كل مؤلفاته انه كان يلم بعلم الكتب وتاريخ العلوم والف أيضاً في هذين العلمين رسائل كثيرة ، منها (ملاحظات على علم الكتب الشرقية) — (المخطوطات العربية والفارسية والسريانية والتركية في دار الكتب الوطنية ودار الكتب للمجمع العلمي في تورينو) —

(فهرست كتب تخص العربية الشمالية) — (طبع المؤلفات العربية وقانون حمايتها) — (رسالة من إيطاليا) وهو تقرير عن حالة دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية في إيطاليا من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٥ (عن تاريخ العلوم : رسالة في تاريخ الرياضيات) — (المخطوطات العربية التي استعملها Ludovico Marracci كصدر له في كتابه عن القرآن) — (هل كان أبو أفلح سراقوسياً أم سرقسطياً) — (أهم النتائج التي وصل اليها E. Cerulli في رحلته الى بلاد الحبش العربية في سنة ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩. وأضاف ديولا كثيرة الى كتاب المؤرخ الرياضي الفلكي المشهور H. Suter المسمى بتاريخ علماء الرياضة والفلك عند العرب ومؤلفاتهم)

كان الأستاذ نلينو على معرفة يقينية باللغات الإيرانية ولكن لم يؤلف فيها إلا رسالتين إحداهما عن الشاعر ميرزا فتح علي آخند زاده من أذربيجان الذي ألف روايات تمثيلية غربية في بابها بلهجة التركية ونالت هذه الروايات اهتمام المستشرقين وأنا اذكر أيام كنت ادرس على الأستاذ G. Jacob أنه وقف جهده على هذه الروايات ، ومهارواية اسمها مسيو روردان مترجمة الى الفرنسية وكتب عنها الأستاذ نلينو ، وكذلك ألقى في الاحتفال التذكاري للفردوسي محاضرة عن هذا الشاعر المشهور ، وكان فوق ذلك يستعمل معلوماته في اللغات الإيرانية لحل مسائل في تاريخ الادب ، وأظهر بقده لكتاب الأب بيدار في قواعد اللغة الكردية معرفته اللغات الهندية الإيرانية . وكتب أيضاً لخدمة الادارة الإيطالية في المستعمرات مذكرتين أحدهما «التعليم في المستعمرات» . والثانية «معاملة الوطنيين واشتراكم في ادارة المستعمرات» . وقام دائماً بالواجب نحو زملائه واصدقائه بعد فراغهم لهذه الدنيا فأبهم بكلمات موافقة أخص بالذكر الايطالي Caetani والأستاذ Snouck Hurgronje الهولندي الذي سمي في الحجاز الحاج عبد الغفار .

وكان الأستاذ نلينو عالماً نابغاً وعاملاً فذاً وجمع الى هذا البساطة والوداعة وهاتان الصفتان أحسن زينة لعظماء الرجال ، وكان له مراكز مختلفة كنائب رئيس المجمع العالمي في روما وكذلك عضو أو عضو شرف في كثير من الجمعيات العلمية في إيطاليا وفي بلدان أخرى وحاز نياشين ورتباً كثيرة فكان officier للمجمع الفرنسي ، ومن لم يعرفه حقاً لم يكن ، يظن ان هذا العالم المتواضع صاحب سعادة وحامل لوسام النجمة الإيطالية . عاش للعلم ولايته ولأخته ولوطنه . بعد ما انتزع الموت منه قرينته وابنه ، وقد جمعني به صداقة ثلاثين سنة لم يعكر صفوها وكنا اذا التقينا في القاهرة سكننا في دار واحدة واجتمعنا كل يوم ، وكما قدم كتابه عن الثاني بهذه الالفاظ « الى والدي العزيزين الذين اذكرهما دائماً والذين لا اقدر أن ابرع عن مقدار شكري لهما » أقدم أنا هذه المرثية لصديقي العزيز الذي اذكره دائماً والذي لا أقدر أن أعبر عن مقدار شكري له .

دمعة الحسناء

دموعك أغلى من الأمنيات فصوني دموعك يا غالية !
ولا تحزني للغيوم الثقال تمر يقبّتك الصافية
ولا تحسبي ظلمات الحياة ستمد أمواجها الطافية
فشمسك تحلم في خدّرها بهجة غدوتها الصاحية
ستفرض عنها خمول الدجى وتنفض سافرة لاهية
وترسل فوق عراء الوجود خيوط أشعتها كاسية
وتوقظ من غمرات السكون أمائك الحلوّة العافية
وتختال في موكب من ضياء يبدّد أشجانك الداجية
صباحك ينبوعه القدسي يفيض على روعي العافية
فكيف تظنين أن الظلام ستخلد رأيته الساجية ؟
يدّ الفجر تعقل ما ترهين وتطلق أطيّارها الشادية

وَتَمْسَحُ أَغْيُنَنَا الدَّامِعَاتِ وَتَشْفِي جِرَاحَاتِنَا الدَّامِيَةَ

* * *

رَأَيْتُكَ تَبْكِينَ فِي غَشِيَةٍ مِنْ الْيَأْسِ مُوَحِّشَةٍ قَاسِيَةٍ
كَأَنَّكَ زَنْبَقَةٌ فِي الدُّجَى تَقْطُرُ أُنْدَاءَهَا الْبَاكِيةَ
فَأَحْسَسْتُ كَفَّ الظَّلَامِ الْعَتِيَّةِ تُطْفِئُ أَحْلَامِي الزَّاهِيَةَ
وَأَحْسَسْتُ أَنَّكَ الشَّارِدَاتِ تُرَجِّعُهَا نَسْمَةً حَانِيَةً
تَمَزَّقُ سِتْرَ الدُّجَى وَالسَّكُونِ وَتُقْلِقُ أَنْجُمَهُ الرَّاعِيَةَ
وَتَبْعَثُ فِي خَفَقَاتِ الْقُلُوبِ صَوَامِينَ أَشْجَانِهَا الْمَاضِيَةَ
فَذُوْدِي عَنْ النَّفْسِ أَشْجَانَهَا تُعِيدِي ابْتِسَامَتَكَ الشَّافِيَةَ
وَإِنْ عَبَسَتْ فِي السَّمَاءِ الْغُيُومُ فَضِيَّتِي بِأَدْمُعِكَ الْغَالِيَةَ
فَمَا قَطَرَاتُ دُمُوعِ الْحَسَنِ سِوَى سُبْحَةِ الْخَالِقِ السَّامِيَةِ
إِذَا فَرَطَتْ حَبَّةً مِنْ عُرَاهَا تُدَكُّ لَهَا الْأَجْبِلُ الرَّاسِيَةَ
وَتُغْلِقُ أَبْوَابُ فِرْدَوْسِهِ وَتَنْضُبُ أَنْهَارُهَا الْجَارِيَةَ
وَتَسْكُتُ أَطْيَارُهَا الصَّادِحَاتِ وَتَخْفُتُ أَصْدَاؤُهَا السَّارِيَةَ ۝

خليفة بطران

شاعر العربية الإسلامية

البحث الثاني

للكرنور اسماعيل احمد ارهم

عضو اكااديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد
الروسي للدراسات الاسلامية

الشعر العربي : طبيعته ونظوره

يقول الازهري : « الشعر القريض الحدود بعلامات لا يجاوزها . واجمع اشعار ، وقائمه الشاعر ، لأنه يشعر ما لا يشعر غيره » . والكلمة استعملت بمعنى العلم والمعرفة عند العرب في الجاهلية من حيث ان الشعور مقدمة للمعرفة والعلم ، فتقول شعرت به اي علمت ، وليت شعري ما كان اي ليت علمي محيط بما كان ، وشعرت بكذا فطنت له

وفي القرآن الكريم « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » بمعنى ما يدريكم . فالأصل في الكلمة الشعور ومنها نقل اللفظ لباب المعرفة والعلم . ومن هنا لا نجد بداً من رفض ما فهمه البعض من أن أصل الكلمة العلم . اما ما يراه بعض علماء المشرقيات في أوروبا من أن الكلمة ذات اصل في لغة العبريين بمعنى الترتيلة والتسبيحة المقدسة فهذا وهم سببه ان الكلمة استعملت بهذا المعنى في بعض مواضع من العهد القديم . وهي في الأصل تفيد معنى الشعور ، ومنها نقل اللفظ لباب العلم والمعرفة في لغة العبريين . فلفظة « شار » العبرية تستعمل بمعنى المسكة من العقل والمعرفة كما هو في ملاخي — اصحاح ثان فقرة ١٥ . وهذا الاستعمال المقابل في العبرية للاستعمال العربي ، يحمل في نفسه أصلاً يدل على الشعور . ولا شك ان نقل اللفظ من معنى الشعور الى معنى العلم والمعرفة في العبرية والعربية قديم حتى اشتركت فيه كل من اللغتين

والشعر عند العرب شعر من حيث هو فيض الشعور . وهذا وجه تفرقة الشعر عن بقية ضروب الكلام في الأصل عند العرب

والشاعر وجمعه شعراء ، لفظ يطلق عند العرب على من يقرض الشعر . ومن حيث ان لفظه الشعر نقلت من باب الشعور بالشيء الى العلم به فان لفظ شاعر استعمل للدلالة على أهل الحجي من العرب من حيث هم اصحاب المعرفة والعلم ، ولما كان العلم والمعرفة عند العرب لها أصل مستند

من الغيب ، فإن اصحاب الحجي هم أصحاب المعرفة من المتصلين بقوى الغيب من الجن والشياطين ومن هنا جاء ان لكل شاعر شيطاناً يوحى اليه بما يقول . والارتباط الذي حدث بين معنى الشعور والعلم نظراً لأنه قديم أفضى الى تداخلهما وأصبح الشاعر يتطلب منه تمثيل الحياة الجاهلية في كلامه

والواقع ان الشعر الجاهلي قد نجح في تمثيل الحياة الاجتماعية والشعورية والعقلية عند عرب الجاهلية تمثيلاً قوياً الى الحد الذي تسمح به القرينة العربية هذا وقد نشأ الشعر العربي كما نشأ الشعر عند بقية الأمم السامية مقفى ولكن بلا وزن ، وأقدم ما وصلنا من شعر الأمم السامية ، مقطوعات من الشعر العبري يرجع تاريخها الى القرن الثامن والتاسع قبل ميلاد المسيح . وهي مقفاة لكنها ليست موزونة ، وقافيتها قائمة على نغمة بدائية تقوم فيها ، وهذا ما يظهر للباحث من مراجعة سريعة لسفر الخروج اصحاح ١٥ من الفقرة الثانية وما بعدها حيث رثم موسى وبنو اسرائيل للرب عند الخروج ، ومن نظرة خاطفة لسفر العدد اصحاح ٢١ فقرة ١٧ وما بعدها ، فهنا في هذين المصدرين يجري الكلام على أساس الصلاحية للغناء . ومن هنا يمكنك ان تجد ان هذه الترنيمات منتهية بمقاطع متقاربة كانت مقدمة لنشأة القافية ، او بتعبير أدق هي صورة بدائية للقافية . مثال ذلك — aromenhu — في العبرية . فهنا نجد hu مقطعاً يتكرر بنغمة واحدة في أواخر الفقرات ، وهذا ما يمكنك ان تلاحظه في القرآن الكريم وفي سوره المكية على وجه خاص ، ولا شك ان العرب حين لحظوا روح التصور الشعري في القرآن الكريم مع التزام مقاطع واحدة في أواخر العبارات مما يقرب من القافية ، قالوا هذا شعر بالقياس على الشعر في كلامهم . وبعد فالقرآن الكريم — كما يرى الدكتور زكي مبارك — ثروحي في كتابته أساس الغناء . وهذا ان دلنا على شيء فانما يدل على ان العرب الى عهد الرسول كانوا ينظمون الشعر مقفى ولكن بلا وزن كما كان يفعل قدماء العبريين غير أنه يظهر ان مثل هذا الشعر فقد في ثقله في خلال الأجيال فلم ينته الى العصر الثاني من الهجرة حتى يدون (١) . ولا شك ان الوزن مستحدث في الشعر العربي بعد ان تكاملت فيه القافية ، نشأ من ملاحظة تكرار المقاطع اللفظية ، كما هو الحال في الشعر العبري ، ومن هنا لنا ان نحكم بأنه لاصلة بين نشأة الوزن وحدود الجمال كما ظن وتوهم بعض باحثي الافرنج والعرب (٢)

(١) « القرآن والشعر » في Z.R.G.I. م ٣٦ ج ١ ص ٧٢ — ٩٦ وج ٢ ص ١١٤ — ١٣٨ وكذا زيدان في الهلال م ١٤ ج ٤ ص ٣١٦

(٢) Dr. G. Jacob في Haft-Studien in Arabischen Dichtern ٣ ص ١٧٩ والزهاوي في مجته « تولد الغناء والشعر » بالقتظف م ٨٥ ج ٥ ص ٩٤ — ٩٧

— ١ —

تباينت نظرات الباحثين الى الشعر العربي تبايناً كبيراً ، فيما ترى نقرأ من أعلام المدرسة القديمة يرفعون من شأن الشعر العربي حتى يصل بهم الغلو الى جعله فوق شعر أم الارض قاطبة ، ذاهبين الى ذلك بوحى اعتقادهم أن كل ما أنى منسوباً الى العرب فهو عظيم لم يأت له مثيل في الدنيا ، حتى أنك تراهم بهذا الوهم يسرون خبياً في جميع ساحات المعرفة ^(١) ، فأنك لو اجدت من جانب آخر نقرأ من رجال المدرسة الحديثة وقد نزلوا عند وحي العقل وآمنوا بالعلم والمنطق الغربي فضوا للمقارنة بين آداب العرب وبقية الأمم كالأغريق واللاتين والجرمان والسكسون والفرس ، وخرجوا من مقارنتهم بأصغار شأن الشعر العربي وإزالته دون بقية شعر الأمم . وأنت من وراء هذا كله تقف على تضارب في الرأي ومغالاة في التصور ونكران للواقع . والحقيقة أن موضوع الشعر العربي ساحة فسيحة تمتد على الزمان حقبة متطاولة يقصر معها جد الباحث دون تبيين أجزائها معاً حتى يمكنه ابداء رأي صحيح فيها . إلا أنه يحل الي أن في الامكان ابداء رأي يطمئن اليه العقل وترتاح له النفس في الشعر العربي عن طريق دراسة خصائصه ومميزاته في الطبيعة العربية من حيث أن الشعر العربي مظهر لتلك الطبيعة والفطرة ، ودراسة هذه الخصائص هامة لآها التكاثر التي تستند اليها الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي وتمضي استناداً اليها متطورة في الزمان الى حالات جديدة ولا ريب في أن خصائص اي أدب لأية أمة لا يمكن تخليصها من العوامل والمؤثرات التي كونت طبيعة هذه الامة وجعلت لها روحاً ثابتة تميزها عن غيرها من الامم . ودراسة هذه الروح الثابتة التي نعبر عنها بروح الامة والتي تظهر في جميع ادوار تاريخها وفي مختلف صور حياتها العقلية والشعورية والمعاشية ملونة اياها بلون خاص ، شيء لا غنية عنه للباحث في الادب وتاريخها . لان الفنون والآداب تتأثر بالعوامل والمؤثرات التي تتكيف تبعاً لها النفس البشرية ، فإذا ندراسة خصائص الشعر العربي لا يمكن ان يخلص بها الباحث مجردة عن دراسة روح العنصر العربي والعنصر العربي يتميز بانه في التفكير والعمل يبدأ من ذاته لينتهي عندها ، فهو يعيش في الحاضر ولا يلحظ تحول الماضي وارتباطه بالحاضر وممخض المستقبل ، فهو في تحليله غير تاريخي إذ يرى التفاصيل في الظواهر جنباً الى جنب ولكن يفوته تطورها وتحولها المتتبع دائماً . فهو من هنا يجمع الاشياء متناسبة وغير متناسبة ، من غير رباط يصلها بقية منفصلة . وهو الى هذا صاحب خيال مطرد فهو في حكم العقل بلا توثب ولا عمق . ومن هنا تجد الشعر العربي من حيث هو صورة لنفسية العنصر العربي لا يصور ولا يحكي صور الحالات التي يعرض لها في طبيعتها الموضوعية ،

(١) مصطفى صادق الرافعي في تاريخ آداب العرب ، القاهرة ١٩١١ ص ٣٥ وما بعده

وأما يعرب عن أثرها في النفس وصدائها، فهو تعوزه الطاقة على التجرد من الذاتية وجعل الظواهر الموضوعية في طبيعتها الموضوعية، ذلك أن طبيعة العربي تأثرت بفكرة الوحدة والاطراد التي غرسها فيه طبيعة البلاد التي نشأ فيها، ومن هنا كانت أغراض العربي فردية في أن يفتح عن نفسه وإن يصور إعجابه ومقته وبساتنه وشجاعته وأفته وشغفه بالحرية. ولهذا كانت كل آدابه خلواً من الروح الفنية التي تلقى نوراً شعرياً على دائرة غنية من الفكر. ومن هنا كان غرض الشاعر العربي رسم الحياة والطبيعة كما بالنسبة إليه مع إضافة القليل من الخيال. ولقد عبّر عن هذه الحقيقة الشاعر العربي قديماً حين قال:

وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته: صدقا!

وهذا الروح من حيث هو حسي طبع الشعر العربي بالسكون، فهو أدب يلخص التفاصيل بدقة متناهية. مثال ذلك واضح في وصف طرفه لجل إذ يصفه بدقة تشريحية ولكن تعوزه الطاقة على التجرد عن الذاتية. وأنت لو طالعت في الإلياذة كيف يصف هوميروس درع أخيلوس حيث تصهر الدرع وتطرق وتحت وتصلق أمام بصر السامعين الذهني، لأمكنك أن تعرف الفارق الكبير بين طبيعة الشعر العربي وطبيعة الشعر الغربي، فإن الأخيرة زخمة dynamic في قوتها ونشوها الدرامي (١)

من هنا وحده أمكننا أن نقف على السبب الذي قعد بالشعر العربي عن التصوير، لأن التصوير يستلزم التجرد عن الذاتية والعرض للظواهر الطبيعية في طبيعتها الموضوعية، وهذه بعيدة عن طبيعة العقل العربي. ولا يجب أن نسينا هذا التقص استكمال الشعر العربي من ناحية أخرى — ناحية الذاتية — حتى لقد بلغ تفنن العرب، مبلغ القمة من هذه الناحية الغنائية، وهذا ما يظهر عنه شاعر قوي الروح العربية كالمتنبي

ومن المهم أن نقول أنه لا يجب أن نخلط بين شعرا ابن الرومي وبشار بن برد وأبي نواس وغيرهم من الذين لهم أصل أعجمي وبين شعراء العربية الخالصين، فإن ما في أدب هؤلاء من الطلاقة الموضوعية راجع لوراثتهم، وإن اضعف منها بعض الشيء تأثرهم بالأخيلة العربية. ولقد خيل إلى كثيرين من ناهبي الباحثين الإفريج والعرب أن هنالك سرّاً تكن وراءه أسباب خفية، جعلت العرب يتقبلون تراث الهيلينيين الثقافي في الفلسفة والعلوم ويرفضون تقبل آدابهم، ولقد ذهب الوهم بالبعض إلى حد أنهم حملوا هذا على معاندة طبيعة الآداب الإغريقية

(١) I. A. Edham في Al-Zahhawy, the Poet ١٩٣٧ ص ٩ - ١٢ و Germanus في Introduction à l'ethode de la في Gauthier و ٣٨٣ ص ١٩٣٣ (مارس) ٧ ج ١ Apollo مجلد ١٩٣٣ في philosophie Musulmane — التوطئة

والشعر اليوناني للدين الاسلامي^(١) والواقع انهم توهموا خطأ ان العرب هضموا تراث اليونان في الفلسفة والعلوم ، اذ الحقيقة ان الصور العلمية والفلسفية التي قامت في نطاق المدينة الاسلامية ليست الا امتداداً للحركات العلمية والفلسفية في الشرق الأدنى التي كانت قبل الاسلام^(٢) وجاء الاسلام محتضناً بعد المسيحية . ونظراً لان اللغة العربية كانت لغة الاسلام الرسمية ، فان هذه الحركة في صورتها العلمية والفلسفية كانت قد احدثت العربية لغة لها بدلاً من السريانية . من هنا يمكننا ان نعرف سر عدم معرفة العرب للشعر اليوناني خاصة والادب اليوناني عامة . فتحدر الثقافة اليونانية للعرب لم يحمل للعرب أدب الأغريق وشعرهم^(٣) . ومن اتصل من العارفين بالعربية باللسان الاغريقي ووقع على الآثار الأدبية في لغة اليونان ، انصرف عنها لأنه وجد نفسه أمام عوالم لا تقوم لها في نفسه قائمة ولا تستند من ذاته الى أساس . وهكذا قدر للعرب ألا يعرفوا الآداب اليونانية فلا يتأثرون بها ولا يعمدون الى محاكاتها حتى كانت النهضة الحديثة فوققوا على بعض آثارها في آداب الافرنج ، ثم نقلت الى لغتهم الملحمة الرائعة « الياذة » في اوائل القرن العشرين ، فكانت مقدمة تحول عظيم

هذا ووقفت طبيعة العرب المحافظة من جهة ، وعدم التأثر بأدب الأمم الأخرى من جهة أخرى ، مع الطابع الخالد الذي اعطاه القرآن للغة العربية ، فكان سبب تبلور الشعر العربي عند صور معينة ، تقف عندها اغراض الشاعر العربي . وهذا ما يظهر في اغراض الشعر الاتباعي العربي

— ٢ —

يقول ابن خلدون منذ نصف وخمسائه عام في المقدمة حين عرض لذكر الأدب والشعر ما ملخصه :
(الشعر في لسان العرب كلام مفصل قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ، ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه رويماً وقافية وتسمى جملة الكلام الى آخر قصيدة . وينفرد كل بيت منه بأفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام مستقل عما قبله وما بعده وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح او نسيب او رثاء ، فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ، ويستطرد من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بأن يوطىء المقصود الاول ومعاينه الى ان تناسب المقصود الثاني ، ويبعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من النسيب الى المدح ومن وصف البيداء والطلوع الى وصف الركاب او الخيل او الطيف ومن وصف المدح الى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والغزاء في الدماء الى التأثر وأمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من ان تباهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على أكثر الناس ولهذا الاوزان شروط وأحكام تضمنها علم العروض . . . وفن الشعر ملكة

(١) اسماعيل مظهر في مبحثه « تأثر الثقافة العربية بالثقافة اليونانية » ص ٣١ — ٣٢ من كتاب « نواح مجيدة من التاريخ الاسلامي » نشر المقتطف القاهرة ١٩٣٨

(٢) اسماعيل أحمد أدهم في « نحد الفلسفة والفكر اليوناني الى العرب في القرون الوسطى » ص ١ —

١٨ على وجه خاص (٣) Margoliouth في Journal of the Royal Asiatic Society of London

تكتسب بالصناعة والارتياض في كلام العرب حتى يحصل شبه في تلك المسكة وحيث ينزل الكلام في قوالبه، ولا يكتفي في الشعر ملكة الكلام العربي على الإطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلمظ ومحاولة في رعاية الاساليب التي اختصتها العرب بها واستعملها حيث ان الاساليب عندهم عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب والقالب الذي يفرغ فيه . ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعاني الذي هو وظيفة الأعراب ولا باعتبار افادته كالمعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض . فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن صناعة الشعر ، وهي انما ترجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصور ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب او المنوال . ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان فيرصها فيه رصاً كما يفعل البناء في القالب او النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام . ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه . فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فسؤال الطول في الشعر يكون بخطاب الطول كقول الشاعر : (يا دارمية بالعباء بالسند) ، ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله (قفا نسأل الدار التي خف أهلها) ، او يكون باستدعاء الصحب على الظلم كقوله : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ، او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقول الشاعر ، (ألم تسأل فتخبرك الرسوم) ، ومثل تحية الطول بالامر لمخاطب غير معين بتحياتها كقوله : (حي الديار بجانب الغزل) ، او بالدعاء لها بالسقيا كقوله أسقى طولهم أجش هذيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

او سؤاله السقيا لها من البرق كقوله :

يا برق طالع منزلا بالبرق واحد السحاب لها حياء الا ينق
وأمثال ذلك ، فمن أراد قرض الشعر كان هو كالبناء او النساج والصورة الذهنية المنطقة في ذهنه كالقالب الذي يبني فيه او كالمنوال الذي ينسج عليه ، فان خرج عن القالب في بنائه او عن المنوال في نسجه كان شعراً فاسداً (١)

وهذا كلام له خطره في الدلالة على روح الاتجاه الاتباعي في الشعر العربي . فان الأغراض التي قال فيها الشعر والأساليب التي اتخذها لصيغ هذه الأغراض شعراء العربية المتقدمون في الجاهلية ، أصبحت منوالاً لمن اتى بعدهم يصوغون شعرهم بالنظر اليه وينسجون عليه . ولا شك ان انصراف شعراء العربية عن قول الشعر على اعتبار ان الشعر فيض الشعور والوجدان ، الى جعله صناعة تقوم على كثرة مطالعة دواوين الشعراء المتقدمين حيث ينشأ من كثرة القراءة والمراعاة على مراجعة اساليب صوغ الشعر ، قالب كلي من التراكيب يتركز في ذهن الشاعر فيفرغ فيه صور ما ينظم من الشعر . وهكذا قدر في ظل الاتجاه الاتباعي للشعر العربي ان يخرج عن دائرته الفنية لينتهي منها الى دائرة الصناعة . ومع الزمن اصبح الشعر العربي يفقد عناصره الوجدانية والشعورية ويتحجر عند صور وأشكال ويضحى مجرد وشي وزخرف كما انتهى في يد البحري والشعراء الذين أتوا من بعده

ولا شك ان لطبيعة الذهن العربي من حيث تعرب عن آثار الأشياء في النفس وصداها يدأ كبرى في هذا التحول من جهة قيام الحاسة الفنية عند العرب مرتبطة بأشكال الأشياء لذاتها فان ذلك مهد السبيل لمثل هذا الاتجاه ، عن طريق الترابط السببي بين اشكال الأشياء والتعبير عنها.

ذلك ان طبيعة العربي « لما كانت لا تستوعب كل صورة شعرية بخصائصها. فاذا الشاعر على خاطر العارض يأخذ من عَفْوِهِ ولا يحسن ان يوغل فيه واذا هو على نزوات ضعيفة من التفكير لا يطول لها بحثه ولا يتقدم فيها نظره. واذا هو يمر على الحياة الداخلية للأشياء مرّاً سريعاً. واذا كل آثاره الشعرية أوصاف لا شعور»^(١) وكان هذا سبباً لجعل العقل العربي يقف عند صور الأشياء وأشكالها دون ان ينفذ الى ما وراءها، فلما كدّ الذهن في استنباط أوضاع أشكال الأشياء في صداها وآثرها في النفس كان ان نشأ من ذلك القوالب التي هي من صنع العقل المحض وصوغ الذهن الصرف ولهذا خرج الشعر العربي في عمومه زخرفاً ووشياً مرصعاً حتى أن ابا العلاء وهو اكبر شعراء العربية العقلين التزم ما لا يلزم في الشعر جرياً وراء المحسنات اللفظية وانواع البديع من جناس وتورية ومطابقة وما إليها من محاسن التعبيرات وهذا ان كان يدل على شيء فاقنا يدل على استحكام الروح التقليدية من جهة الخضوع لاتجاه الذهنية العربية. وكان ذلك من أسباب ابتعاد الشعر العربي عن البناء فلم يعم محتوياً على ملاحم ولا قصص ولا تمثيل وخرج الشعر البعير « وشياً مرصعاً يلهو الحس فسيئاً اللفظ والمعنى و « أرابسك » العبارات والجل كل بيت شعر للبحثري كأنه باب لجامع المؤيد تقطيع هندسي بديع وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الانسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذاً بالبهرج الحلاب (٢)

— ٣ —

ظل الشعر العربي في أيام الامويين حتى أيام ازدهار الحكم العباسي يرسف في القيود التي وضع مبادئها شعراء العربية في الجاهلية فسار في ركابهم الشعراء المخضرمون فشعراء الاسلام. فلما اخذت المدنية الاسلامية تفتح في ميادين الثقافة العامة عن صور لم يعرفها الفكر العربي من قبل تحت تأثير الفكر اليوناني، تجرأ بعض شعراء العربية على القوالب التي يصاغ بالقياس لها الشعر فخرجوا عليها، فكان ذلك سبباً لانقلاب كبير غير انه لم يكن كبير الاثر في تاريخ الادب العربي ذلك ان الروح الاتباعية عند العرب طغت على هذه المحاولة، فجعلت من وجه عرض هذا النفر من الشعراء لكلامهم منوالاً قاس الشعراء المتأخرون عليه شعرهم من بعدهم كانت هذه الحركة الجديدة ثورة على القوالب التي قيّد الشعور العربي بها في الشعر القديم، وكان رائد هذه الحركة المتنبّي وسار في ركابه الكثيرون من بعده. فكان المعري في سوريا من جهة الشرق الأدنى وابن هانئ في الاندلس من جهة المغرب. غير ان هذه الحركة من حيث قامت على أساس الرجوع بالتعبير في الشعر باعتبار افادته أصل المعنى والشعور في صيغة كاملة، تعرضت لحملة شيوخ الادب في ذلك العصر فأنكرت عليهم شاعريتهم وكان كما يقول — ابن خلدون — ان

(١) مصطفى صادق الرافعي في المقتطف نوفمبر ١٩٣٢ ص ٣٨٩

(٢) توفيق الحكيم في كتابه تحت شمس الفكر ص ٦٥ — ٦٦

اعتبر شعرهم نظماً ينزل دون مرتبة الشعر ومنزلته

هذه الحركة الجديدة تعتبر اول خروج على القديم في تاريخ الادب العربي ، وكان رائدها المنفي ، غير ان شعراء الاندلس ساروا بها الى ابعد الشوط ، بيد أن هذه الحركة نظراً لان ثورتها تنال القوالب الاتباعية في الشعر العربي ، لم تبلغ في جرائها حد الخروج على الزخرف والوشي البياني . ذلك ان الزخرف البياني من مستلزمات الروح العربية في الشعر ولا يعترض علينا بأن الشعر العربي احتوى على مقطوعات رائعة المعنى صادقة في وصف الشعور الى الحد الذي تسمح به الطبيعة العربية — التي تصف آثار الاشياء في النفس وصداها — فان معظم هذه المقطوعات يرتبط ما فيها من المعاني بالالفاظ . آية ذلك أنك لو جردت تلك المقطوعات التي تعجزها العربية من مشرق اللفظ ومونق المعنى المرتبط لزاماً بذلك اللفظ ، لوقفت حيراناً لا تعرف وجهاً لها ولا غرضاً . وهذه حقيقة لمسها الباحثون من رجال الاستشراق في أوروبا حين عمدوا لنقل الشعر العربي الى لغاتهم وقد اعترف بهذه الحقيقة النابهن من أدباء العربية وكتابها (١)

من هنا نجد ان القواعد التي عرفها الغربيون في نقد الشعر لاتصلح كل الصلاحية في نقد الشعر العربي فان له خصائصه التي ينفرد بها مما يستلزم أن ينظر اليه من قواعد خاصة به في النقد الادبي تتكافأ مع خصائصه . والواقع ان القدماء من شيوخ الادب العربي وضعوا مبادئ في نقد الشعر مما تظهر لنا اليوم جوفاء من جهة نظريتها المتأثرة بمبادئ النقد الاوربي فلها بلا شك مقياس صحيح الى حد كبير لنقد الشعر العربي ومحصيه ، ذلك ان الشعر العربي ان كان باعتراف اعلام الباحثين فيه من افرنج وعرب ، ومن مختلف المدارس الاوربية اليوم ، مستزلاً من النظر في صورة الاشياء دون ان ينفذ الى ما ورائها فالقليل الذي في الشعر العربي من النافذ الى ما وراء الصور الخارجية للاشياء راجع لقوة في الطبيعة الشاعرية ، تغلب بها الشاعر على الاتجاه العام الشعري في الوقوف عند أشكال الأشياء فنفذ الى ما ورائها واتصل بالروح الداخلية التي تتظاهر في قوانين مستترة تتحكم في هندسة الاشكال المنظورة والصور المحسوسة . ومن هنا فالنقد الادبي من حيث يتصل بالطابع العام ، سيرا على قيام الشعر العربي على أساس انصرافه لاشكال الاشياء الا أن القليل الذي لا يقف عند أشكال الاشياء فينفذ الى ما ورائها سيستقل بقاعدة من النقد الادبي تبين القاعدة العامة المتكافئة مع الطابع العام للشعر العربي الاتباعي وهكذا قامت صعوبة دراسة الشعر العربي الاتباعي . غير ان هذه الصعوبة في الامكان التغلب عليها بشيء من الصبر والامعان والتدبر ، حيث يعطى الانسان كل شعر من الشعر العربي

(١) خليل مطران في الهلال م ٤٦ : ٨ (يونيو ١٩٣٨) ص ٩٠٥ وكذلك طه حسين في المكشوف ، السنة الرابعة ، العدد ١٧٧ ، ص ٢ عمود ٣

ينفرد بطابع خاص له منهجاً في النقد يكافئه . غير ان هذه المناهج ستشترك في قاعدة عمومية تلك التي تستنزل من فهم حقيقة نوع ذلك وطابعه . وهكذا يمكن الوصول للعنصر الشعري المتميز في المقطوعات المدروسة وان اختلفت طوابعها الظاهرية

هذا المتنبي الذي يمثل كمال الاتجاه الشعري العربي ^(١) ، وهذا ابن الرومي الذي يمثل كمال الاتجاه الشعري الاعجمي الاخذ بأسباب العربية في الشعر العربي ^(٢) فان في الامكان دراسة شعرهما من قاعدة مشتركة في النقد الادبي مع ملاحظة طابع كل شعر هذه القاعدة هي قاعدة الشعر العامة على ضوء هذا الكلام يمكننا ان نعطي قواعد القدماء في نقد الشعر قيمتها الحقيقية دون ان نقع في خطأ المغالاة في اتهمها . اذ الحق ان القواعد التي رسمها شيوخ الادب من القدماء للنقد الادبي للشعر من وجهة النظر لكيفية استنزال الشاعر لمعانيه ، وملاحظة اوجه التوارد بينه وبين من نظموا في الاغراض الذي نظم هو فيها ، تتفق الى حد كبير مع حقيقة كون الشعر العربي يقوم على اساس اتباعي . وما دام سبيل الشاعر العربي الاتباعي في قوله الشعر راجعاً لمراتبه على أساليب صوغ الشعر حتى يحصل معه قالب كلي من التراكيب يتركز في ذهنه فيفرغ فيه صور ما ينظم من الشعر ، فان ملاحظة تأثر الشاعر بأساليب الشعراء المتقدمين ومعانيهم ووجه هذا التأثير مهمة لانها مقياس للتكلف الشعري اذا بدا التأثير واضحاً بقوالب من التراكيب جزئية للشعراء المتقدمين ، كما انها مقياس للإصالة الشعرية ان كان الشاعر يصوغ شعره في قالب كلي وان استحصل عليه بالصناعة التي تماشت مع شاعريته

غير ان الجانب الصناعي طغى على الشعوري في الشعر العربي حينما اخذ الشعر العربي يتدهور ويفقد عناصره القوية حين مال ميزان العرب الى الغرب وسقطوا عن عرش الخلافة . وكان هذا التدهور سبباً لتجبر الشعر العربي عند صور لفظية وضروب من البديع والمحسنات الكلامية . وفقد بهذا التجبر والجمود الشيء القليل من الجمال الفني الذي كان يحمله في الاسلوب والذي كان يقوم على الظلافة في استخلاص الأشكال والصور . واصبح الشعر العربي ميتاً من حيث فقد مع هذا الجمود اللغة التي كانت تراقص فيها الأطياف والألوان والأضواء وكانت أظهر ميزة في الشعر العربي القديم وبلغ التدهور في الشعر العربي غايته في عصور الظلام ايام حكم الاتراك العثمانيين اذا كان من وراء العكوف على طرائق القدامى وتقليدهم من جهة وضعف ملكة الابتكار من جهة أخرى ان تحجرت القوالب الشعرية في يد الشعراء المتأخرين . وكان من ذلك ان خففت شخصيتهم وتلاشت ملكة الابتكار فيهم في التقليد والمحاكاة . فأصبح الشعر صناعة . ولكن صناعة مبتذلة وساطها معرفة العروض

(١) طه حسين في كتاب مع المتنبي وشفيق جبري في المتنبي وكذا أنظر R. Blachère في — About

(٢) عباس محمود العقاد في كتابه ابن الرومي

Tayyib al-Motanabbi

والبديع والبيان بدون اعتبار للسليقة الشعرية من حيث تهذب بأساليب وصور الشعر العربي القديم الرائع وكان نتيجة ذلك ان كثرت التجنيس والتورية والمطابقة وما إليها من محاسن النظم في منظومات الشعراء واصبحت تطلبها لذاتها ففسد الشعر وأحبط

هامة

أخذ العالم العربي في مستهل القرن التاسع عشر ينفذ عن نفسه ماعلق به من غبار الجلود ويعمل على استعادة ما كان له من ائيل المجد في القرون الوسطى فكان من ذلك هضة الشرق العربي الحديثة . وقد قامت هذه النهضة في الاصل بعثاً لثراث العباسيين والاندلسيين في الادب والشعر واللغة . فكانت من ذلك امتداداً لثقافة العرب الاتباعية . غير ان المدنية الأوروبية التي كانت مركز الثقل في حياة العصور التي يتكون من جماعها التاريخ الحديث ، عملت على غزو الشرق الناطق بالعربية مع حملة نابليون (١٧٩٨ — ١٨٠١) فقامت من ذلك الحين للثقافة الأوروبية مرا كز في الشرق الأدنى ، وكان من اهم هذه المراكز مصر ولبنان وهكذا ظهر مقترناً بحركة البعث لثراث الماضي حركة أخرى تعتمد الى الأخذ بآثار المدنية الأوروبية في مختلف ميادين الثقافة ، وكان الانفصال بين القديم وهو رجوع لينايع الماضي وبين الجديد الذي هو اخذ بما انتهت إليه المدنية الأوروبية الحديثة ^(١) غير ان هذا الانفصال لم يتميز حتى اواخر القرن التاسع عشر اما مصر فقد بدأت تاريخها الجديد بقدم نابليون على رأس الحملة الفرنسية لفتحها في اواخر القرن الثامن عشر ، كما أنها وجدت بعده في شخص محمد علي من يبدأ فيها عصر نهضة قامت عملية في عهده، لتنتهي عالمية في عهد حفيده اسماعيل . وكان من مظاهر هذه النهضة تأسيس مدرسة الالسن عام ١٨٣٦ وارسال البعوث العلمية والصناعية الى أوروبا وعلى وجه خاص لفرنسا . وكان نتيجة ذلك ان خرج جيل من شباب مصر ينزع منزع الغربيين في تفكيرهم ومنظهم . غير ان هذا الجيل لم يتمكن من القيام بشيء ذي أثر من حيث رجوع الى بيئة وقفت جامدة . على أنهم نقلوا جانباً من ثراث أوروبا العلمي والفكري الى العربية والتركية ، وكان ابراهيم باشا ادهم ثاني وزير للمعارف المصرية شاملاً هذه الحركة بعنايته . غير ان هذه الحركة لم يكن لها تأثير مباشر في الادب العربي . ذلك أنها قامت عملية في اغراضها فكانت وجهاتها المسائل الصناعية الصرفة والعلمية العملية . فلما جاء اسماعيل سنة ١٢٧٩ هـ حول حركة اتجاه الترجمة بعد ان كانت قد أخذت في التلاشي في عهد سلفيه الى

(٢) H. A. R. Gibb في The Nineteenth Century من مجموعته Studies in Contemporary Arabic Literature في مذكرات مدرسة اللغات الشرقية بلندن م ٤ (١٩٢٨) ص ٣٤٥ — ٧٦٠

الدائرة العلمية، فكان نتيجة ذلك ان ترجمت الى العربية بعض الآثار الاوربية وأخذ الادب العربي في مصر يتأثر بمتجه الآداب الغربية، وكان من الاسباب غير المباشرة لهذا التأثير تطور الادب العثماني تطوراً كبيراً على يد شناسي ونامق كمال واخذه صورة قريبة من الآداب الغربية. وكان أثر ذلك غير قليل على جيل أدباء العربية في منتصف القرن التاسع عشر من حيث كانت اللغة التركية اللغة السائدة في مصر. وهكذا أخذ الجديد يستجمع الأسباب مستقلاً بمصدره وغاياته عن حركة بعث القديم التي كانت وفقاً على الرجوع لينايع العرب الأصلية في الادب والشعر والفنون وارجاعها لعالم الحياة بعد أن طوتها يد الزمان خمسة قرون فارسلت عليها غباراً من النسيان وكان يساعد حركة بعث القديم في الشرق العربي محاولات رجال من الغربيين اوقفوا انفسهم على درس آثار الشرق في عصوره المختلفة من حيث عمدوا لنشر جانب عظيم من المكتبة الادبية العربية من وسائل التحقيق العلمي

اما في لبنان وسوريا، حيث كانت الهيئات الدينية على صلات وثيقة بأوروبا منذ القرن الخامس عشر، فقد ساعد ترابط الشرق الأدنى بالوسائل الصناعية التي انتهى اليها الغرب بالعالم الاوروبي على توافد البعث اليها، وأصبح لبنان مركز نشاط عظيم وتنافس بين البعث المختلفة التي ترجو نشر ثقافتها ولغاتها الخاصة والتبشير بمذاهبها الدينية وتقوية نفوذ دولتها سياسياً واقتصادياً. فكان من أثر هذه المحاولات ان شرعت العقيلة العربية في لبنان وسوريا وخصوصاً في بيئاتها المسيحية تنفض عن نفسها غبار الجمود وتعمد لمسيرة المدنية الغربية في اتجاهاتها ومظاهر ارتقائها. وحدث رد فعل لهذه الحركة تمثلت في الرجوع لينايع الماضي في الادب والشعر واللغة، فكان من ذلك حركة بعث عظيمة للقديم في لبنان تمثلت حيناً في مدرسة البازجي

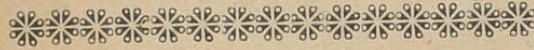
وكان أثر هذا التطور كبيراً في الشعر العربي الذي أخذ بدءاً ذي بدء يتحرر من المحاكاة الصرفة الى محاكاة فيها شيء من التحرر والشخصية وهذا ما يظهر في شعر معظم شعراء القرن التاسع عشر، في شعر البازجي والبستاني في لبنان وسوريا وفي شعر الساعاتي وعبد الله نديم في مصر. وكان من آثار هذا التحرر وبروز الشخصية ان وجد الشعر الاوربي سبيلاً للتأثير في شعراء العربية، وهذا التأثير يبدو واضحاً في شعر عبد الله فكري من شعراء مصر وشعر سليم عنجوري صاحب آية العصر من شعراء الشام غير ان هذا التأثير كان في العموم بالمدرسة الرومانسية الفرنسية التي بلغت القمة في شعر لامارتين إلا أن هذا التأثير لم يمد قوياً في الاغراض الشعرية وفي التحرر من روح النظم العربي ولكنه كان السبيل لانقلاب خطير تمثل في محاولة خليل مطران نقل الشعر العربي من ناحية الاغراض العربية لتاحية الاغراض الاوروبية. وبهذه المحاولة تميز الانفصال بين المذهب القديم الاتباعي في الشعر والمذهب الجديد الابداعي



الاخلاق والحضارة

« الحضارة كالحمر تظهر المناقب والمثالب »

لعبر الرحمن سُكْرِي



يقولون إن الحضارة مفسدة للاخلاق وهذا قول نصفه حق ونصفه باطل كما هو شأن
الجملة العامة التي تطلق على علاتها فان الحضارات يختلف مستواها الخلقي وللحضارات محاسن
خلقية كما ان لها رذائل والحضارات تختلف مظاهر الأخلاق فيها في أطوارها وعلى حسب
الآساس التي بنيت عليها ولتقيض الحضارة مفسد خلقية ايضاً والمتحضر يبالغ في مفسد نقيض
الحضارة قدر مبالغة غير المتحضر في مفسد الحضارة أو انهما لا يكادان يريان غير المفسد وهو
الاصح لأن النفس البشرية هي التي قد تبالغ في اظهار مفسدها . ويقولون ان علوم الحضارة
الحديثة مفسدة للاخلاق متلفة للمناقب والصواب انها تنشيء فرصاً لاطهار ما استسر في النفس
من خير لا يرجو جزاءً ومن شر لا يخشى عقاباً وانما مثلها مثل الحمر التي تظهر المناقب والمثالب
من خير وشر فمن كان كريماً اظهرت كرمه ومن كان لثيماً كشفت عن لؤمه . ففكرة صلاح
الكون ببقاء الأقوى وهلاك الاضعف او بقاء الاصلح للحياة وهلاك الأقل صلاحاً لها (لأن
الاضعف جثماً ثيماً قد يكون في له من الهبات الصالحة للحياة أكثر مما في لب الأقوى) أقول
هذه الفكرة قد أولت تأويلاً يعذر القوي في استبعاد الضعيف ويعذر الضعيف عند نفسه في
خوعه ويسخر من المبادئ السامية . قال الاستاذ هولاند روز المؤرخ الانكليزي في اسباب
تقلب حب الاستعمار والسيطرة (انه لما ذاعت فكرة صلاح الكون ببقاء الأقوى وهلاك
الاضعف جعل الناس يتساءلون لماذا يُحْمَسِي الضعيف اذا كان صلاح الكون في ضياعه
وهلاكه) . فكانت هذه الفكرة كالحمر زادت وأبرزت ما في النفس من حب الاستعلاء .
وقد بالغ المفكرون حتى ظهر بينهم من يقول ان التشبث بالجنس والوطن لا يؤلف القلوب
كي تعاون في نشر السلم والحضارة العالمية والامن والسعادة وكي تسعى في رقي الانسان
والانسانية عامة . وقال المؤرخون ان التشبث بمبادئ المحافظة على الجنس والوطن سرعان
ما ينقلب الى ضراوة استعمارية ورغبة في السيطرة والحروب كما ظهر مراراً في تاريخ أوربا

الحديث كلما قويت جنسية من الاجناس التي كانت تتادي بمبادئ العدل العام والسلم عندما كانت مقهورة مغلوبة على أمرها فانها اذا قويت لا تلبث ان تتادي بأن الحضارة العالمية لا تحقق الا بتناحر الأجناس وتقاتلها حتى وإن كان في آلات القتال الحديثة ما يهدد العالم بالخراب وقد ارتاع بعض المفكرين وخافوا على أممهم من تقشي مبادئ الفلسفة الهادمة وقد جعل بعضهم يروج العقائد الدينية بوسائل قديمة جديدة مثل تشجيع تحضير الارواح وذلك لأنهم خافوا على الحضارة من مبادئ الفلسفة المادية وخافوا على الأخلاق منها وكان تشجيعهم تحضير الأرواح كي يثبتوا بأدلة مادية عقيدة خلود الروح تلك العقيدة التي كانت تدفع بالمجاهدين من المسلمين في صدر الاسلام في لهوات الموت غير مكترئين له موقنين ان الموت ليس له سلطان على الروح وأنهم اذا خسروا هذه الحياة الدنيا الفانية فقد ربحوا الحياة الباقية فكان من وراء ذلك الاعتقاد استعلاء أممهم وسيطرتها. ولعل من أسباب زيادة نصرة المفكرين لمذهب استحضر الأرواح ومكالمتها وذيوعه في السنين الأخيرة رغبتهم في مواساة من مات له قريب او حبيب في الحرب العالمية الكبرى (مواساة او ابتزاز ماله) ورغبتهم في حث الجماهير على ان يجودوا بحياتهم لنصرة أممهم إذ ان لهم وراء هذه الحياة حياة باقية. فان المرء لا يجود بحياة ليس له غيرها قدر ما يجود بحياة وراءها حياة خير منها وبقدر يقين المرء وإيمانه بالحياة الأخرى يكون جوده بهذه الحياة. على ان الدفاع عن الأهل والوطن أصبح طبيعة لا يلبث المفكر طويلاً حتى يؤوب اليها وقد وصف الكاتب الفرنسي موريس لو بلان هذه الحقيقة في قصته المسماة (على الحدود) وقاملا تجد من له شجاعة او عناد يمكنه من ان يمتنع عن الدفاع عن بلده وان يقف موقف رومان رولان الكاتب الفرنسي الشهير في اثناء الحرب العالمية وان كان قد حاكاه في انجلترا أناس صاروا يسمون بطائفة «اعتراض الضمير». نعم إن هذا الدفاع يصير اندفاعاً آلياً باعته الخوف والخوف شجاعة وحماسة في اندفاعه ولكن شتان بين شجاعة اندفاع الخوف وشجاعة العقيدة والأمل والرغبة في الحياة الباقية الأخرى

لكن الباعث عند جمهور الناس هو ان يفدي المرء وطنه بحياته محافظة على عاداته ومبادئه والفوائد التي يشترك فيها اهل الوطن. والشجاعة مزاج في النفس وقد تتوافر بالرغم من اعتناقه آراء الفلسفة الهادمة كما أنها قد لا تتوافر بالرغم من اعتقاده في خلود الروح. فاذا كان المسلمون قد أقدموا على الموت في حروبهم في صدر الاسلام فقد أقدموا لأن اعتقادهم في خلود الروح كان مقروناً عندهم بمزاج الشجاع القوي ولوفرة نصيبهم من الحيوية. وكما من جيوش قد هُزمت وجبت بالرغم من اعتقادها في خلود الروح. وتحضرنا الآن ذكرى قصة شائقة من قصص الكاتب الأميركي جاك لندن وعنوانها (دين آباءه) وفيها يصف كيف ان قسيساً ضعيف الاعصاب

والارادة عندما هدده رجل مجرم ثائر من سلالة التزاوج بين البيض والهنود الحمر، وخيَّره بين الحياة مع انكار المسيح وشتمه وبين الموت اختار الحياة مع انكار المسيح بالرغم من انه كان من المبشرين. ولما خيَّر رجلًا آخر من العتاة الملحدون فضل القتال حتى الموت واستحيا من ان يجعل انكار دين آباءه وسيلة للنجاة من الموت

وقس على ذلك أثر الحضارة في المعتقدات الاخرى فان بين الناس من ينصر الفضيلة بالرغم من اعتناقه الآراء المادية الهادمة ومنهم من ينصر الرذيلة بالرغم من اعتقاده في الحياة الاخرى والجزاء والعقاب. ولكن مما لا شك فيه ان الكفر بالحياة الاخرى قد أصبح مثل الحمر التي تظهر مكامن النفس وكثير من النفوس لا تمتنع عن الاثم والجرم الا رغبة في جزاء في الآخرة او خشية عقاب. فالاحاد كالحمر يظهر ما كمن من الشر فيها وما تعالج من ميوله. فالفضائل والرذائل طبائع في النفوس وقد ترى في الناس من يفخر بالرذيلة وهو منها اقل نصيباً مما يقول اذا شجعت يفته على ذلك الفخر كما ان من الناس من يفخر بالفضيلة وهو قليل النصيب منها ولكننا نسرع الى تصديق الاول ونسرع الى تكذيب الثاني في كثير من الاحايين وان كان للخداع مجال في الحالتين

وبين الناس طائفة اخذتهم نشوة بعض الآراء الفلسفية فقالوا ان الفضائل من مظاهر الضعف كالولاء والامانة والوفاء والعدل والذمة وقالوا ان النفوس القوية لا تتقيد بها ويسمون الفضائل اخلاق الضعفاء وسجاي العبيد وهم اما يقولون هذا القول كي يقضوا على النظام الاجتماعي الحاضر لخالفهم نظمه ومبادئه الاقتصادية. فقولهم اما هو سلاح مؤقت لاحقيقة ثابتة ويسر باستخدام سلاحهم هذا المجرمون الذين تدفعهم رذيلتهم الى اعتناق هذه النظريات الهادمة، لا ان هذه النظريات الهادمة هي التي تخلق رذائلهم. ويقولون ماذا يهمننا ان يلحق الضرر غيرنا من الناس ولماذا نبالي الناس ويقولون انه فرض عليهم ان يمتسوا انفسهم بأن يطلقوا لها العنان فتسترسل فيما يريد ويقولون سيان ارتكابك الشر وغشيانك الخير ما دامت الحياة فانية. ويقولون ان حياة الملايين من البشر ليست اعظم عند الطبيعة من حياة الضفادع او الحشرات. وتنتشر هذه المبادئ اذا اشتد التناحر على المعاش وقلت الثقة بالنظام الاقتصادي والنظام الحكومي ويزيدها الشعور بالغبن وقلّة الانصاف. على ان المرء لو لم يراع اخلاق الكمال هذه بعض المراعاة في معاملة من لا يؤمن بها لارتاع ذلك الجاحد لها وذم نفوس الناس. والضرر الذي يلحق الجاحد لها لا يأتيه من ناحية ابناء قومه فحسب بل يلحقه ايضاً من الضعف الذي يذل امته بسبب تقشي هذه الاخلاق فيها ولكنهم يقولون اذا كانت الامم تستبيح غشيان الرذائل في معاملة الامم الاخرى فلماذا لا نجيز الأفراد ذلك في معاملة الواحد للواحد منهم كي يبق الأصلح للبقاء وهم لو فعلوا

ذلك وساروا على هذه الخطة كل السير لا يتضمنهم قوم آخرون لتخاذلهم. واما بقاء الأصل فيكون باتباع مثل الكمال ولو الى حد ما. ومما يجلب الوهن أيضاً والتخاذل وانعدام الثقة بالاخلاق والفضائل تقديس الحقوق الفردية الى حد ان يكون كل فرد كجزيرة مستقلة في بحر الانسانية لا شأن له بغيره. ومبدأ الفردية هذا قد يكون من نتائج المغالاة بالحرية الشخصية التي تسنها المبادئ الديمقراطية ولكنه أيضاً قد يكون من مظاهر التخاذل والاثرة في الامم القديمة التي مرت بها عصور حكومات مستبدة جعلت كل انسان لا يفكر الا في نفسه وجعلت كل انسان من المحكومين المقهورين على طبائع الحكم فيصير كل انسان من المقهورين مستبداً صغيراً يعامل المقهور مثله بطابع الاستبداد في الرأي والفعل والمشيئة. فاذا أتيت فرصة عمت فوضى شاملة لأن كل انسان في تلك البيئة على طبع الاستبداد لا يقدر غير أثره وهو يظن ان طبعه هذا فضيلة التمسك بالحرية وبالمبادئ الديمقراطية لنفسه ويمدح نفسه لدى نفسه ولدى غيره اذا لم يجد في فوضى الاستبداد وطباعه زاعماً أنه بطل من أبطال الحرية وهو ضحية عصور الاستبداد القديمة وطباعه الراسخة في نفسه. واذا انتشرت في بيئة هذا الانسان المبادئ المضللة التي تزي بالفضائل والاخلاق وتعددها من سجايا العبيد كان الاضمحلال أعظم والخطر أشد. ولا سيما اذا تكاثر السكان واشتد التقاتل على المعاش وأبرز هذا التقاتل غناء النفس كما تبرز القدر الفائرة قذاها ويفوت هؤلاء ان حدود الاخلاق هي من تجارب الانسان ومن ثمرات خبرته وهي تراه الطارف والتلبد وذخره النفيس وقد سمعت انساناً يتغنى بقصيدة لشاعر أوربي هو على ما أذكر من الشعراء الاغريق الحديين ويقول الشاعر في قصيدته (خذ معولاً واهدم به كل ما يعتقد الناس انه جميل او جليل او مقدس من الآراء والنظم والفروض والاخلاق واهدم ماضي الانسانية كله ولا تذرف عليه دمعاً) وهذه هي الفوضوية بعينها وقد نسي امثال هذا انه لو اتيج للفوضوية ان تنشئ حكومة ثابتة لكان اول هم هذه الحكومة كي تتمكن من البقاء ان تقضي على الفوضوية ذاتها

وكل مذهب من المذاهب الهادمة للاخلاق قد جرب فيما مضى من الزمن ونبذ بعد حين حتى المذهب الذي يغري بالشرور كي تعرف الانسانية ان الحياة شر وتقطع عن التناسل ومهما تعظم شرور الحياة فان في النفوس قلعة للايمان بها وبارادة الله فيها وكلما دُكت قلعة في النفس لذلك الايمان بنيت على انقاضها قلعة أخرى أو كما قال امرسون الاميري (ان في قلب المرء معبداً كلما تهدم بنى الله على انقاضه معبداً آخر) وقد يلوّث هذا المعبد ما في النفس من شر ولو لم حتى تحسب النفس ان شرها ولو لها خير لا يفصل عن ذلك المعبد ولكن من الايمان بالحياة وبارادة الله فيها أن نعتقد ان شر النفس ولو لها سيظهر منها ذلك المعبد

توافق الخواطر

بين العلماء والمخترعين^(١)

لمحمد عاطف البرقوقي

لتوافق الخواطر بين العلماء امثلة كثيرة في تاريخ العلوم والعلماء ، ولا غرو فان الخواطر العلمية نتيجة تسلسل طبيعي ، ومقدمات ثابتة ، وحقائق علمية ، وتثار بين عدد من العلماء بمناسبة ، وحيث ان هذه المناسبات علمية وتنشر في المجلات العلمية وتعرف في بيئاتها ، فيضطر كثير من العلماء عند الوقوف على اختراع جديد أو نظرية جديدة الى أن يدلوا دلوعهم في الدلاء ، ويتجه عدد منهم نفس الاتجاه ، وهنا تقع منازعات وربما تؤدي الى الدخول في المحاكم وطلب رأي القضاء ، واني اتشرف هذا المساء بذكر بعض امثلة من هذه الحالات الشائعة ، لعل ذكرها ينفع المؤمنين ، ويوجه الشرق نحو العناية بالعلماء والمخترعين

﴿ بين فراداي وهنري ﴾ : وأول مثال أذكره هو ذلك المثال الذي وقع بين فراداي الانكليزي وهنري الاميركي ، وليس بمستغرب ان يقع بينهما توافق الخواطر مع أن المحيط الاطلسي يفصل بينهما ، وشتان بين العالم القديم والعالم الجديد

وفراداي هو ذلّم العالم الطبيعي الكبير الذي ولد في انكلترا سنة ١٧٩١ ، ولم ينل من التعليم الا قسطاً يسيراً كما اعترف هو عن نفسه ، ولكنه لم يكد يخرج من المدرسة في سن مبكرة حتى التحق كعامل في مكتبة قرية من بيته يمتلكها رجل انكليزي اسمه « جورج ريبو » فعهد اليه هذا أول الامر بمهمة نقل الكتب الى اصحابها ، أي كساع او « مراسلة » ، يقضي حاجات المكتبة في الخارج. وفي السنة التالية عهد اليه بعمل تجليد الكتب ، ومن هذا الوقت تملكه حب الاطلاع واستهوى ليه قراءة الكتب العلمية التي كانت تقع تحت يديه ، وكان أول كتاب اطلع عليه هو كتاب عن « العقل » The Mind ولعل هذا الكتاب هو الذي أنار له سبل التفكير ، وجاء

(١) من محاضرة القيت في اجتماع ديسمبر ١٩٣٨ عقده الجمع المصري لثقافة العلمية والاستاذ البرقوقي خريج قسم العلوم بجامعة برستول ثم تولى بعد ذلك تدريس العلوم الطبيعية في مدارس الحكومة المصرية ثم عين مفتشاً لها واختيراً نقل مديراً لإدارة السينما

بعد ذلك دور تجليد دائرة المعارف البريطانية ، واستوقف نظره فيها موضوع «الكهرباء» أو الكهربية كما قرر مجمع فؤاد الاول للغة العربية «والى هذا العهد لم يكن معروفاً عن الكهربية الا القليل ، وقد لاحظ فراداي ذلك من المقدار البسيط الذي كتب في الدائرة ولعله قال في نفسه « ان المعلومات الأولية القليلة في هذا الموضوع الجديد لن يستغرق استيعابها مني وقتاً طويلاً » ولم يمض وقت طويل حتى وقف على ماتم في الجهود السابقة عن الكهربية . ولعله لم يدّر بخلده عندئذ انه هو المنتظر لأن يرفع علم الكهربية عالياً ، ويتقدم به خطوات واسعة ، ويضيف الى حقائقها معلومات جديدة توسع في نطاقها وتبعد في مداها

حقاً ان فراداي كان نابعة يمهده لنفسه طريق المجد ، ويصارع الجهل والفقر معاً ، وقد قبل على الجهل بمجوده في دراسة الكتب بنفسه ، والتزود بما فيها من المعلومات . اما الفقر فقد بقي عقبة كأداء في سبيله الى ان انتشله العالم الطبيعي والكيميائي الكبير السير همفري دافى وعينه في منصب اشبه بمحضر في دار المعهد الملكي بلندن او ما يقرب من صبي محضر «اي فراش» ينظف القارورات ويعد الاجهزة لتجارب العلماء ، فقبلها فراداي راضياً ، وهبأت له الفرصة التي كثيراً ما كانت تتوق اليها نفسه ، ووجد في المعهد معملًا كامل الاجهزة ووافر المواد ، فصار يجري التجارب التي يريد تحقيقها من الكتب ، او يستمع اليها من محاضرات اكبر علماء عصره ، وقد ظهر استعداد فراداي لدافى فشجعه وكفاه على ذكائه باستصحابه له في رحلة في أوروبا قابل فيها اعظم علماء اوربا في هذا العصر ، وما ان رجع فراداي من رحلته الطويلة سنة ١٨١٥ حتى بدأ ابحاثاً مستقلة ، وزادت ثقته بنفسه ، وقد كان فراداي بجانب عقله الراجح ، طلق اللسان واضح البيان ، فذاع صيته وطار ذكره ، ووفق الى كشوف كثيرة في الكهربية هي اساس توليد الكهربية بالمولدات واستخدام المحركات بالكهربية ، وبحث في المكشفات والمحولات ، والعلاقات بين الضوء والكهربية ، وبين المغنطيسية والكهربية ، والكيمياء والكهربية ، وقد خلد العلماء اسمه فاطلقوه على وحدة السعة الكهربية فاصبحت نقول الى الان سعة المكثف كذا «فرايد» او كذا «ميكروفراد»

وبينما كان فراداي هذا يعمل ويبحث في اسرار الكهربية في انجلترا ، كان في الناحية الأخرى من المحيط الاطلسي باميركا العالم يوسف هنري ، الذي اعتبره صورة طبق الأصل لفراداي ، من حيث نشأته وعصاميته ، وتفكيره وابجائه ، وقد ولد بعد ميلاد فراداي بثاني سنوات اي سنة ١٧٩٩ ، وتوفي بعد وفاة فراداي بتسع سنوات اي سنة ١٨٧٨ ، فما عجب الصدف وما اتم التوافق ! وقد بدأ هنري حياته في سنة الخامسة عشرة ، أي في سن مبكرة ايضاً والتحق بحانوت ساعاتي للتمرن على اعمال هذا الفن الدقيق ، وقد كان يميل بطبعه الى فن التمثيل ورغب

فلاً في الاشتغال به ، ولكن صدفة غريبة غيرت اتجاهه ، وبدلت مجرى حياته ، فلم تجعل منه ساعاتياً ولا مثلاً ، وهذه الصدفة هي أنه اطلع على كتاب جديد في الفلسفة التجريبية *Experimental Philosophy* ، وقد أثار فيه هذا الكتاب حب البحث العلمي ، وفي هذا أكبر الشبه بحالة فراداي الذي هوى البحث العلمي من الكتب أيضاً ، ولكن هنري أراد ان يتروى بالعلم بالتجارب بأكاديمية الباني ، وبعد ست سنوات أي سنة ١٨٣٢ عين أستاذاً للفلسفة الطبيعية في كلية برنستون

وقد هوى هنري البحث العلمي في أسرار الكهربية وأول ما استرعى نظر هنري من الأبحاث هو المغنطيس الكهربائي فأدخل عليه تحسينات كثيرة ولاشغاله بهذا البحث خطر له رأي جديد فقال في نفسه « هل يمكن ان نولد التيار الكهربائي بوساطة المغنطيس ؟ » وهذه الفكرة هي التي خطرت لفراداي في انجلترا . وهناك ما يثبت ان هنري بدأ تجاربه لبحث هذا الرأي قبل فراداي ، وذلك في أغسطس سنة ١٨٣٠ ، ولكن فراداي بعد ما أتم بحثه في هذا الموضوع قرأه أمام الجمعية الملكية بلندن في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٣١ ، واطلع هنري اتفاقاً في إحدى المحلات العلمية على بناء وصول فراداي الى النتيجة التي كان يسعى اليها ، ولم تكن المحلة قد فصلت تجارب فراداي ، ولذلك بادر هنري إلى إتمام بحثه ، فبكر في العمل سنة ١٨٣٢ ، إذ بدأ في يونيه بدلاً من أغسطس كعادته في كل عام ، وأتم بحثه ونشره في يولييه سنة ١٨٣٢ ، أي بعد تسجيل فراداي بثمانية أشهر ، فكان هنري سابقاً في التفكير ، وفراداي سابقاً في التسجيل ، وقد تعارف العلماء على ان الكشف او الاختراع يجب ان ينسب الى السابق في التسجيل ، ومن هنا تنسب فكرة توليد التيار الكهربائي بالتأثير الى فراداي

وأكثر من هذا ، فقد خطر لهنري تفكير جديد ، أثبتت الأيام ان فراداي فكر هو أيضاً فيه ، ولكن هذه المرة سبق هنري في نشر بحثه عن التأثيرات الذاتية للتيار الكهربائي وتأخر فراداي في نشره ومن هنا كان الفضل في هذا الموضوع يعزى الى هنري ، وكان الطبيعة أرادت ان تحقق المثل المعروف « دقة بدقة ، والبادي أظلم »

وقد بعث الشوق هنري لملاقاة فراداي الذي يشابهه في التفكير ، فسافر الى انكلترا سنة ١٨٣٧ وتعرف بفراداي الذي أكرم وفادته ، وقضيا مع هويتستون العالم الطبيعي الانكليزي أيضاً أسعد الأوقات في مباحثة أسرار العلم واجراء التجارب

﴿ اختراع يؤدي الى المحاكم ﴾ ومن أمثلة توافق الخواطر بين المخترعين هو مثال اختراع التلغراف ، وقد وصلت هذه القضية الى المحاكم لتفصل فيها . ومن المعلوم ان التلغراف اخترع قبل

التلفون وقد نشر أحد عمال التلغراف مقالاً في إحدى المجلات يقول أنه يجب على العلماء أن يتمكنوا من اختراع آلة تنقل الكلام وإن لا تكتفي بنقل الاشارات فحسب ، وصار يفصل رأيه وينيه على الحقائق العلمية المعروفة عن الكهربية والصوت ، ولم يحاول هذا العامل تنفيذ فكرته ، وفي سنة ١٨٦٠ قام أحد أساتذة الطلبة من الألمان هو الأستاذ رايس باختراع أول تلفون ، ولكنه لم يكن وافياً بالغرض ، ولم تشجعه حكومته ، مات فقيراً بل مات كمداً ، وعرض جهازه في المانيا وانكلترا ، وفي سنة ١٨٦٨ احضر أحد علماء الطبيعة نموذجاً من تلفون رايس الى اميركا وعرضه على بعض علماء الطبيعة في نيويورك ، ووصفه في إحدى الصحف العلمية ، فثار ذلك كله اهتمام العلماء ، ومنهم العالم الاميركي هنري الذي سبق ذكره ، ومنهم أيضاً «جراهام بل» الذي سجل اختراعه للتلفون الشائع استعماله الآن كمستقبل سنة ١٨٧٦ ، ومن غرائب الصدف أنه في نفس اليوم الذي تقدم فيه جراهام بل لتسجيل اختراعه ، وهو يوم ١١ من فبراير سنة ١٨٧٦ ، تقدم عالم آخر من شيكاغو وهو اليشا غراي لتسجيل جهاز مشابه كل المشابهة لجهاز جراهام بل ، وقد شغلت المحاكم بهذه القضية العالمية لتقضي في ايها الحق بالتلفون ، وقد تولت إحدى الشركات استثمار الجهازين معاً حسماً للنزاع

﴿ اديسون وهيوز ﴾ وهما كم مثالا آخر لتوافق الخواطر بين العلماء والمخترعين وهذا التوافق أدى الى نزاع بين العالمين اديسون الاميركي وهيوز الانكليزي واديسون هو ذلك المخترع الاميركي النابغة الفذ ، الذي ارتفع في سماء العلم الى السماكين ، ووصل بمخترعاته الى ما يزيد على الألف بل ما يقرب من الألفين ، ولم يصل الى هذا العدد مخترع من قبل ولا من بعد ، فهو بذلك وصل الى الذروة ، وتفوق على غيره في عدد المخترعات . تدرج بنبوغه وعبقريته من بائع صحف الى عامل تلغراف فمخترع الى أكبر المخترعين فله مخترعات في التلغراف ثم في التلفون ، وهو الذي اخترع الحاكي والمصباح الكهربائي واشترك في اختراع المولد الكهربائي وأقام أول محطة اضاءة كهربية لتمد البلاد بالتيار فكان بذلك أول مهندس كهربائي

والاختراع الذي اتفق فيه الخاطران هو الميكروفون وهو ذلك الجزء من التلفون الذي يوجه اليه الكلام أي المرسل بتعبير العلماء . وتفصيل ذلك ان العلماء والناس لاحظوا على تلفون جراهام بل ان صوته خافت غير جلي ، وقد اعترف بذلك « بل » نفسه قائلاً ان جهازه غير واف بالغرض ، وهنا دخل ميدان البحث في تحسين التلفون كثير من العلماء منهم

أديسون الأميركي وهيوز الانجليزي وغيرها ، ولاحظ أديسون ان العيب في جهاز « بل » هو في الجزء المستعمل كمرسل ، ولذلك اخترع أديسون سنة ١٨٧٧ رسلاً جديداً هو الميكروفون واستعمل فيه حبيبات من الكربون ، فصار الصوت عند المستقبل واضحاً جليلاً مسموعاً ، وناهيك من جهاز يستمع به أديسون الأصم ، أو ما يقرب من ان يكون كذلك

وقد صنع أديسون ستة أجهزة من الميكروفون الحبيبي ، وأرسلها كنماذج الى إحدى الشركات في إنجلترا فقبلت بترحيب كبير ، حتى لقد طلبت الشركة عقب ذلك مائة أخرى وفي سنة ١٨٧٨ اخترع الاستاذ هيوز الميكروفون الكربوني ، وقرأ بحثاً في ذلك أمام الجمعية الملكية بلندن في شهر مايو من تلك السنة ، ومن التجارب التي كان يهواها هيوز لبيان أثر جهازه تلك التجربة التي كان قوامها ذبابة من الذباب المنزلي العادي يضعها في علبة كبريت ويضع هذه بالقرب من الميكروفون ، ويقال ان وقع أرجل هذه الطائفة الدقيقة على خشب العلبة كان يسمع في الطرف الآخر كأنه وقع أقدام فيل ضخمة على أرض الغابة

وهيوز كان أستاذاً لعلم الموسيقى ، ولكنه هوى الكهربية وابحاثها ، واخترع كثيراً من الاجهزة ، وبمجرد ان سمع أديسون باختراع هيوز وتشابه جهازه والجهاز الذي اخترعه قبله بعام ثار أديسون غضباً ، واحتج بأن هيوز بنى فكرته على فكرة اديسون دون اية اشارة أو تلميح الى ذلك ، واتهمه بأنه اطلع على نموذج جهازه الذي ارسله الى انكلترا ومن غريب الصدف ايضاً أن اديسون اشتغل ببحوث اللاسلكي وكذلك هيوز وكلاهما له مخترعات في التلغراف فما اشد توافق الخواطر بين هذين العالمين

« بين هرتز ولودج » وهما كم مثلاً أخيراً لتوافق الخواطر بين العلماء وهو الذي وقع بين هرتز الألماني والسر او ليفر لودج الانكليزي ، وكلاهما مشهود له بالتفوق والنبوغ في بحوث الكهربية واللاسلكي

وقصيل هذا التوافق ان جيمس كلارك مكسويل العالم الاسكتلندي الذي يعتبر بحق زعيم علماء الطبيعة النظرية في القرن التاسع عشر ، تنبأ بموجات اللاسلكي من قوانينه الرياضية العالية الى درجة تحديد سرعتها وبيان خواصها ، ولا عجب في ذلك من حيث قدرة القوانين الرياضية على التكهّن والتنجيم ، فالرياضي اذا عرف سرعة قطار او طائرة او سيارة ، عرف ميعاد وصولها في مكان ما بالثانية اذا عرفت سرعتها والمسافة التي تقطعها وميعاد بدء حركتها ، ولا اطيل في شرح هذا فان علم حضراتكم جدير بادراك ما اقصد واكثر مما اقصد والشاهد

انه بمجرد ما اعلن مكسويل نبوءته دهش العلماء اية دهشة ، وحفزوا الى السعي وراء تحقيقها ، والعمل على توليد هذه الموجات الحديثة والكشف عن خواصها واختبار مدى صحة آراء مكسويل فيها ، ولعلمهم ما كانوا يعلمون انهم بذلك انما يعملون على كشف اللاسلكي والتعجيل بخيره العميم ، بل اوكد انهم كانوا يعملون للعلم الخالص

وقد حقق هرتز الالمانى نبوءة مكسويل كاملة غير منقوصة ، وذلك في سنة ١٨٨٧ المتداخلة في سنة ١٨٨٨ ، وقد اثارت تجاربه وتحقيقاته إعجاب العلماء ، حتى سمو الموجات الجديدة باسمه فاطلقوا عليها اسم « الموجات الهرتزية » واطلق عليه البعض الآخر فيما بعد اسم « اب اللاسلكي »

وكان هرتز طالباً في جامعة برلين وتناهد لهامبولتز عالم الطبيعة الالمانى الاشهر فقال هرتز التلميذ إعجاب استاذة وحسن تقديره ، وكان احب تلاميذه اليه وانجهم ، وقد نال الدكتوراه سنة ١٨٨٠ ، فاختاره هامبولتز مساعداً له ، واقترح عليه افي اثناء ذلك ان يعمل بحثاً في تحقيق نبوءة مكسويل النظرية بتجارب عملية ، فكان التلميذ الدكتور — عند حسن ظن استاذة وفي سنة ١٨٨٧ ، سنة ١٨٨٨ وفق بعد بحث مستفيض الى اعلان تجاربه التاريخية في توليد موجات اللاسلكي واختبار خواصها وصفاتها فوجدها مطابقة تمام المطابقة لما تنبأ به مكسويل اذ وجد سرعتها مساوية لسرعة الضوء ، وانها تنعكس وتتكسر وتتداخل كما يحدث لموجات الضوء فكأنما اصبح الخيال حقيقة والنبوءة صادقة واصبح الضوء ظاهرة مغنطيسية كهربية ، وهي حقيقة أغرب من الخيال

وقد قال هرتز عقب كشفه الخطير عن السر اوليفر لودج ما يأتي « وارجو ان اسجل هنا ذلك العمل المجيد الذي قام به عالمان انكليزيان في نفس البحث الذي كنت اجريه بنفسى ، وكنا نحاولان جهدهما في الوصول الى نفس الغرض الذي كنت ارمي اليه في نفس السنة التي بدأنا فيها بحثي ، بدأ السير اوليفر لودج في ليفربول نظرية مانعة الصواعق وما يتصل بها من نظريات وتجارب في تفريغ المكشفات الصغيرة ، وادت به هذه الابحاث الى ملاحظة اهتزازات وموجات في الاسلاك ، فقد كان يعتقد بصحة نظريات مكسويل ، وقد حاول جهده العمل على تحقيقها ولو لم اصل الى نتائجي ، لنجح هو في الحصول على الموجات في الهواء وفي اقامة الدليل على انتقال القوة الكهربية » فلو تأخر هرتز لفاز لودج — كما اعترف بذلك هرتز نفسه — وكما فصل ذلك السر أوليفر لودج شارحاً الخطوات التي اتبعها : قال : —

« هذا الكشف النظري العظيم حرّك فينا نحن الذين كنا في مستقبل العمر شوقاً شديداً الى البحث والتحرّي ، واتذكر اني تابحت فيه مع من نحترمه كلنا الآن « جيمس فلمنج » وذلك سنة

١٨٧١ ، سنة ١٨٧٢ ، وكنا نتلقى العلم معاً ، وبعد سنة او سنتين درست كتاب مكسويل في هيدلبرج وعزمت من ذلك الوقت على توليد الامواج الكهربية التي قال عنها مكسويل والعمل على ابتداء طريقة الشعور بها ، وتكلمت انا في هذا الموضوع في المجمع البريطاني سنة ١٨٧٩ ، سنة ١٨٨٠ ، وفي جمعية دبلن الملكية سنة ١٨٨٢ ، وكان رأي فتزجرالد « ان توليد الاضطرابات الموجية الاثيرية بواسطة القوى الكهربية غير ممكن » ثم اصلح فتزجرالد خطأه وحذف كلمة « غير » من عباراته المقدمة ، وبين سنة ١٨٨٣ كيف يمكن ان تولد هذه الامواج — ولو استطعنا حينئذ ان نصنع آلة تلتقط الامواج الكهربية لوصلنا الى التعرف الالاسلكي »

﴿ ماركوني خشي توافق الخواطر ﴾ وآخر مثال أسوقه لحضراتكم هو ماركوني الذي خشي توافق الخواطر ، وتفصيل ذلك ان تجارب هرتر كانت تكرر في كل مكان ، ومنها ايطاليا وكان اساذ الطبيعة في جامعة بولونا هو الاستاذ ريغي ، وبولونا هي بلدة ماركوني ، وحضر ماركوني محاضرة ريغي في الموجات الهرتزية فأعجب بها ، وجال في نفسه خاطر يكاد يكون الهاماً ، اذ رأى باقب نظره وعميق تفكيره ان هذه الموجات لا يصح ان تترك للأبحاث العامة المحضة فقط ، بل يجب ان تستعمل للأعمال التجارية ايضاً ، فقال ماركوني لنفسه « ألا يمكن أن استعمل هذه الموجات الجديدة لمواصلات بدون اسلاك ؟ ، واذا كانت تستطيع ان تقطع عرض غرفة فلم لا تقطع عرض البحار والمحيطات

بدت الفكرة سهلة كأنها بديهية ، وخشي ان يكون غيره من العلماء قد خطر له نفس الخاطر ويجد في العمل لتنفيذها ، وقد اشار الى ذلك فيما بعد ذلك فقال وكان قلقي ناشئاً من ظني بان الفكرة كانت اولية وبسيطة الى درجة يصعب معها الاعتقاد بأن انساناً آخر لم يحاول اخراجها الى طور التنفيذ ، وحاجبت نفسي بأنه ولا بد وأن يكون هناك علماء ارسخ قدماً مني قد اتبعوا خط التفكير نفسه ووصلوا الى النتائج عينها تقريباً ، وبدت لي الفكرة منذ اول وهلة حقيقة اوبديه الى درجة كبيرة لم تدع لي مجالاً للظن بأن هذه النظرية قد تلوح لآخرين عجيبة غريبة وهمية ولكنها ارادة ماركوني القوية ، وعزيمته الوثابة دفعته فلم يتردد في تسجيل فكرته والعمل على تنفيذها ، فكان النجاح حليفه ، والنصر اليه ، فليكن لنا اذن من ذلك عبر ، ولتخذ منها قدوة ولنعلم على ان يكون في مصر تشجيع العلماء ، وسبل لتسجيل نظرياتهم واختراعاتهم ، وسنجد بعد ذلك استقلالاً عامياً ، كما نلنا استقلالاً سياسياً

صقر قریش

بحث نفیس

في إحدى هديتي المقتطف السنويتين^(١)

« اذا ابتعد المسافر عن مدينة اخذت تظهر له من بعيد الامكنة العالية منها وكلما أوغل في الابتعاد وأمعن في السير صار لا يرى الا أكثر الامكنة إصعاداً في الجو وكذلك الناظر في تاريخ الامة العربية في عهد الأسلام كلما ابتعدت بنا عنها قافلة الزمن وتلفت الركب الى الوراء صرنا لانمح إلا الشخصيات البارزة المتسامية الالأمحة في الجو التاريخي للعاضي ، ويمكننا ان نرد أكثر ما نلمحه من تلك الشخصيات الى يتين لعبا اكبر دور في تاريخ العرب السياسي وهما بنو أمية وبنو هاشم ، وهما الشعبان النابتان من صلب عبد مناف »

قدم الكاتب المحقق الأستاذ علي ادهم فصلاً من فصول رسالته « صقر قریش » بهذه الكلمة الصادقة في تصويرها ومجازها — ونعني برسالته تلك التي اجازتها بحجة « المقتطف » الزاهرة واختارتها لنشرها واهدائها إلى قراءها ، من بين الآثار العربية التي تكفل بطبعها السري المعني بالادب والعلم صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا ، تقدمته لذكرى منشىء المقتطف العلامة الدكتور يعقوب صرّوف

الحق ان تاريخ الامة العربية في عهد الاسلام حافل بالسير العظيمة التي لا تزال مغبونة مجهولة المقدار في موازين التاريخ الحديث ، لم تصب ما اصابه ابطال اليونان والرومان الاقدمين من درس واستقصاء ، ولم تصب ما اصابه ابطال العصر الحاضر من تنويه وذيوغ بين عامة القراء وانما مع ذلك لتتسع للمراجعة والتحليل وتخرج من بوتقة الامتحان على مثال يضارع احسن الامثلة ، ويوافق جميع المشارب والاذواق ، ايّا كانت المقاصد التي تبتغيها من القراءة واليك مثلاً « صقر قریش » الذي كتب عنه الاستاذ ادهم رسالته القيمة ، وهو عبد الرحمن

(١) كتب الاستاذ عباس محمود العقاد مقالا في كتاب « صقر قریش » تأليف الاستاذ علي ادهم — وقد كان احدى هديتي المقتطف السنويتين (١٩٣٨) — في جريدة الدستور فاستأذنا حفرة في اثباته في المقتطف

الداخل مثنى الدولة الاموية في الاقطار الاندلسية ، فأى ذوق من الاذواق لا يجد كفاية
ومتعة في تاريخ هذا الرجل المقدم

من كان يطلب المغامرات القصصية فهذا بطل يقل نظيره بين ابطال القصص التي تقوم وقائعها
كلها على المطاردة والتعقب والنجاح في الهرب والتخفي بين المشرق والمغرب والحضر والبادية
والاصدقاء والاعداء : رجل نجح من جيوش الدولة القائمة ساجحاً في الماء وهو يكاد يعمرى من
الزبد ، ورأى بعينه من هربوا مثله ساجحين يتعبون فيعودون فيقتلون ، ويذهب هو في الآفاق
شريداً منبوذاً يعاني الجوع والشظف حتى يتاح له ملك دولة باذخة يهابها شارلمان والمنصور

ومن كان يطلب الحوادث والعظائم فهذه سيرة لا تنطوي صفحة منها إلا على حادث يطيح
بأمير ويرقع بأمير ، ويتردد في حوادثها جميعاً كل ما يفتق به عقل الانسان من حيلة وتدير وتقدير
ومن كان يطلب العبرة الاجتماعية فمعرض العبرة هناك واسع جد السعة بين اطوار التاريخ
في الاندلس وهي متداعية ، وبين اطوار التاريخ في امم الاسلام وهي ناهضة كابية ، وبين عرب
وربر وفرنجية ويهود ومسيحيين تتشعب بهم الغايات فتلقى ساعة وتفترق ساعات ، وحسبك من ذلك
انقسام المسلمين وحدهم الى مشاركة ومغاربة والى مضرية ويمنية والى شيع من كل قبيل ،
يتبعون اليوم هذا القائد وينحرفون غداً الى ذلك القائد ، ولا يشتون على نهج طويل

ومن كان يطلب تحليل النفوس ودخائل السرائر فهذا مجال تتكرر فيه عشرات الاسماء كل
اسم منها يشتمل على صورة آدمية تحالف سائر الصور وتبعث في أعمالها بغير بواعث الآخرين

ذخيرة لا تنفذ من ثروة المعرفة لجميع الطالبين والمريدين ، وقد جاءت هذه الرسالة مثلاً
يحتذى في استخراج النفائس من هذه الذخيرة الوافرة ، لأن كاتبها الفاضل رجل يدرس
التاريخ بنظر الفيلسوف وروية العالم وحاسة الأديب ، ويعرف من مذاهب الفلاسفة العظام
في أسرار التاريخ ما ليس يعرفه عندنا غير افراد معدودين

فاذا تناول قبلاً أو رجلاً أو دولة نفذ الى موضع الملاحظة والحكمة مما تناوله في مذاهب
التعليل والتحليل . فيقول مثلاً في التفرقة بين اخلاق العرب واخلاق البربر : « والفارق الكبير
بين مزاج البربر ومزاج العرب ان العربي بطبيعته نزاع الى السخرية ميال الى الشك . أما البربري
فانه عميق العاطفة الدينية يأخذ الدين مأخذ الجد الصارم ويوغل فيه بغير رفق ، وهو شديد
الاعتقاد كثير التصديق لما وراء الطبيعة ولا يفتن من فوره الى الجوانب الفكاهية في الأشياء »
ويقول في التفرقة بين بني هاشم وبني أمية من قريش : « كان بنو هاشم في مكة سدة

الكعبة وأصحاب السلطة الدينية . أما بنو أمية فكانوا أصحاب السيادة السياسية وذوي الجاه العريض والثراء الجلم ، وكانت قوافل تجارتهم دائماً الارتحال بين مكة والشام حيث تأثير الحظارة البيزنطية مستفيض . وقد أكتسبتهم التجارة معرفة بالحياة وخبرة بأحوال النفوس ، وكانت حماية التجارة تستلزم شحذ مواهبهم الحربية ، وكان نفوذهم السياسي في مكة ينضج فيهم ملكات الرياسة وتدبير الأمور . وقد كانوا أقدر من بني هاشم على تصريف الأحوال الدنيوية واحتمال اعباء الحكم ، وقد قوى فيهم نفوذهم ورحلتهم للشام حب الاستمتاع بلذات الحياة والميل الى فاخر العيش كما زادتهم وفرة الثروة اقداماً وصلفاً ، وكانوا شديدي التمسك بالأرض ليس لهم أحلام متطائرة ولا خواطر محلقة ، والحياة في نظرهم مادة مأموسة وليست روحاً محسوسة فهم لا ينظرون الى الدنيا في ضوء فكرة مقدسة او في ظل مبدأ سام ، وليست نفوسهم من تلك النفوس التي تحاول أبداً ان تقيم الحياة البشرية الزائلة على أساس من الأبدية الباقية وتحرص على ان تستمسك بصخرة من اليقين في بحر الحياة القلب ، بل كانوا يأخذون الحياة كما هي ويقبلونها على علاتها ويعملون على الاستفادة من فرصها والاستزادة من متعها ، والحياة في نظرهم ميدان لنفوذهم وبسط سلطتهم وتمديد شخصيتهم ومتسع للغلبة والاستعلاء واحراز الغايات واشباع الشهوات ، وقد قاوموا الاسلام في اول نشأته وكانوا اشد اعداء صاحب الرسالة حرداً عليه ونالوه بألوان من الاذى والاضطهاد شأن الارستقراطية في عداوتها للنظم الجديدة ومستحدث الافكار خشية ان تزعزع عن مركزها وتفقد نفوذها ، ولكنهم ادركوا بغريزة الرجال العاملين ان اليوم للاسلام فلانوا للعاصفة وتكيفوا مع الظروف . وبمهارة فائقة وكياسة عظيمة تمكنوا من تحويل تيار الاسلام الى مصلحتهم واعلاء شأن بيتهم »

وبعد ان وصف الطبيعة الاموية هذا الوصف المبين اخذ في وصف « المزاي الشخصية » التي نفعت ذلك الاموي الكبير — عبد الرحمن — في مغامراته ومحاولاته حتى حققت له ما يطمع في تحقيقه رجل طموح ولد من اناس جيلوا على المداورة والعزم واغتنام الفرص والمتعة بالحياة ، فلا تزال ترى هذا الباقعة وهو يجترى حيناً وپروغ حيناً ويصانع الاعداء تارة ويعتو على الاصحاب والاقرباء تارة ، ويحتفي ثم يظهر ويظهر ثم يحتفي ، ويرضى بمقدار ويغضب بمقدار ويستئيس استئناس المجانين حين لا مناص ، ويطاوت تملوت الثعلب حين لا جدوى من الهجوم ، ويعامل كل انسان بما ينبغي ان يعامل به من ثقة أو حذر ومن محاسنة أو مخاشنة ، حتى بلغ

ما يريد أو بلغ ما يريد له غريزة التاريخ — كما يسميها الأستاذ ادھم من توجيه الحوادث وتحويل مجرى الحضارة وإقامة النظام في مقام القوضى
وعندنا إن الرجل قد كشف عن نفسه بيت واحد من نظمه فوق ما كشفت منه الأعمال
والمساعي حيث قال

سعدي وحزبي والمهند والقنا ومقادر بلغت وحال حائل

وكان قد سمع ما يتقوله عليه بعض حاسديه إذ يستكثرون عليه مافاء ويستصغرون ما عمل
ويزعمون « أنها الحظوظ والمصادفات » فجمع لهم أسباب فلاحه في هذا البيت الذي لم يدع سبباً
من أسباب نجاحه وعلو نجمه ، وهي توفيق الحوادث وطبيعة العزم وقوة الجيش ، وتحول المقادير
بأحوال الأمم التي نشأ فيها والتي رحل إليها ، فلو نقص سبب واحد من هذه الأسباب لما كان
« عبد الرحمن » داخل ولا كانت دولة ولا كان فلاح

والأفهل كان عبد الرحمن ينجح هذا النجاح لو لم يكن مولوداً في بيت الملك وكان من
طبيعة القبائل البربرية والعربية أن تدين بالطاعة لمن له هذه السابقة في الرئاسة والأمانة ؟
وهل كان ينجح هذا النجاح لو لم يسمع نبوءة العراف الذي قال لكبرائه في صباه إن هذا
الصبى هو أمل العترة الأموية في ظهور السلطان بعد أفول النجم وادبار الدولة ؟؟
وهل كان ينجح هذا النجاح لو لم يكن بربرياً بما ورث من أمه وعربياً بما ورث من آباءه
فهذه المثابة مولود لسياسة البربر والعرب على السواء ؟

وهل كان ينجح هذا النجاح لو رحل إلى المغرب في زمان استقرار وصوله ولم يرحل إليه
في ذلك الزمان الذي تفرق فيه كل فريق حتى أوشك أن يمتنع الوفاق بين رجلين اثنين مدى
أيام به الشهور والاعوام

وهل كان ينجح هذا النجاح لو لم يخطئ أعداؤه كلما احتاج إلى خطئهم على النحو الذي
يشبهه كأنما هو الموحى إليهم بالخطأ وهو المفكر لهم بما يرمي إليه هو لا بما يرمونهم إليه ؟
وكل هذا وأشباهه يقال عن نابليون ويوليوس قيصر وتيمورلنك وموسوليني وهتلر وستالين
وسائر هذه العصبة من المغامرين الناجحين : أسباب تكفي في أزمانهم لبلوغ ما بلغوه بالقدرة
التي فطروا عليها وعشرة أضعاف هذه القدرة لا تكفي لبلوغ ذلك المبلغ في زمان آخر ، وهذا
هو الشأن في جميع عطاء الفتوح والمغامرات حيناً نبغوا بين مشاركة أو مغاربة ، وفي عصر
قدم أو حديث

و خلاصة ما يقال ان هؤلاء المغامرين يولدون وعندهم مرجح صغير في كل مزية من الزمان
يفقدون به عند ما يتعادل الميزان للترجيح والتفضيل

فالذين كانوا في ذكاء عبد الرحمن وشجاعته ودهائه كثيرون ، ولكنهم لم ينشئوا الدول ولم
يغلبوا الأقران اما لانهم اخطأوا العصر في الميلاد ، واما لانهم ولدوا في غير البيوت المطلوب ومرة
لأن اعداءهم كانوا على خلاف الحالة التي تهون بها مغالبة الاعداء ، ومرة لانهم غابوا حيث كان
ينبغي ان يحضروا او حضروا حيث كان ينبغي ان يغيبوا ، فلو تأخر انتباه عبد الرحمن هنية
وجيزة للجيش العباسي الداهم لما سمعنا به في الحاكمين ولكن الآن في غمار الألوف الذين فشلوا
لأن اعداءهم ادركوهم لحظة من اللحظات قبل الانتباه ، لا لانهم اقل في الذكاء أو اضعف في
العزم او اجهل بأسباب النجاح

والعجيب في أمر هؤلاء المغامرين أنهم ما خلوا قط من عنصر الخرافة والتعظيم والتعويل على
امثال النبوة والقال التي كان يعول عليها عبد الرحمن ، ونحسب ان الامر طبيعي — بل ضروري —
في كل من يعاملون القدر او يعاملون الغيب المحجوب ، ونعني بهم كل من يحتاج مساعيتهم الى عنصر
غير العناصر المعروفة المكشوفة التي تدخل في الحساب فيبقى في عقولهم مكان خال لحساب المجهول
الذي يأتي بما ليس في الحسبان ، ويستوي في ذلك من يخوضون غمار الحوادث ومن يخوضون
غمار الحروب ومن يخوضون غمار البحار ويركبون مطايا الأخطار . فسلامتهم جميعاً من هذه
المهالك لا ترجع الى شيء من تدبيرهم ولا فرق فيها بين حيطتهم واقحامهم ، ولهذا تطبع
عقولهم على الحيلة والحيلة من جانب وعلى المجازفة والتسليم للمقادير من جانب ... وبغير ذلك
لا ينجح ذو مطمع من هذه المطاعم كائناً ما كان ذكاؤه واقداره وحسن بلائه ، وكفى بذلك
دليلاً على قدرة الفطرة الانسانية على خلق الايمان الذي هي محتاجة اليه

نصف من المعلوم ونصف من المجهول

نصف من التدبير ونصف من التوفيق

نصف من الأصدقاء ونصف من الأعداء

نصف من الماضي ونصف من الحاضر

نصف من الخير والمعرفة ونصف من الشر والجهالة

نصف من العظيم ونصف من الناس والاحداث

نصف من الرجاء ونصف من القنوط

ذلك هو « المزيج » الذي لا غنى عنه في اقامة الدول وفلاح المغامرين في هذا الميدان ،
وهو في تاريخ عبد الرحمن الداخل وتاريخ عصره كآظهر ما يكون

ثقافة الغرب

وثقافة الشرق الادنى

للمركتور - ستيوارت - صر : د. ف.

استاذ العلوم الاجتماعية بجامعة بيروت الاميركية

وجوه اخرى للتباين بين

ثقافتى الغرب والشرق الادنى

٣ -

الميزة الشخصية مقابل الميزة غير الشخصية اي العامة ^١ فرضنا الرابع في التباين بين الشعبين ان سكان الشرق الادنى ينظرون الى الحياة نظرة شخصية بينما الشعب الغربي يتبع الوجهة العامة غير الشخصية . وايضاحاً لهذا نقول انه لو دار حديث بين فرد من سكان الشرق الادنى ورجل من بلاد الغرب ثم سألتها بعد حين عن الحديث الذي دار بينهما لاجابك الاول بصيغة المتكلم « سررت به جداً واستفدت منه كثيراً » وبالأجمال يكون وصف الامر بصيغة المتكلم . أما الثاني فيقول « كان الحديث لذيذاً مفيداً » ويكون وصف الامر بصيغة الغائب اي ان نظرة القائل غير شخصية بل عامة . ثم اذا أراد الاثنان طلب أمر من رجل يعتمد الاول في طلبه على العلاقة الشخصية ويظهر الحاحه بقوله « افعل هذا لخطاري » . بينما لا نجد أثراً لهذه الاتجاه في الثاني . « فافعل هذا لخطاري » تعبير غير مستحب في الغرب ولا يأتي بالفائدة المطلوبة . فابن الغرب اذا طلب الى رجل ان يترأس عملاً خيرياً او مشروعاً اجتماعياً يعتمد في طلبه على اثارة عناية الرجل بالعمل المقصود واقناعه بصحة المشروع . والاختبار بعلمنا ان ابناء الشرق الادنى يعتمدون في عرض أمورهم على رجال الحكومة ، على واسطة تعارف بينهم وبين الموظف الذي يتعلق به الامر ويقوم بالتعارف صديق الطرفين إما بالرسائل وإما بالذات . اما الحالة في الغرب فعلى ضد ذلك . فابن الغرب يشعر بأنه يدفع ضرائب وهذا يخوله الحق بأن يستفيد من معرفة الموظف ووقته ولذلك يذهب اليه في قضاء حاجاته دون واسطة . والولايات المتحدة تفاخر بأن حكومتها حكومة شرائع وليست حكومة رجال . والاحزاب السياسية في الغرب تقوم وتعمل طويلاً بصرف النظر عن القائمين بها وكثيراً ما تعيش زمناً طويلاً غير زعيم . أما في الشرق الادنى فالاحزاب مرتبطة بزعمائها فتفور وتغور وفقاً لقور زعمائها

او غورهم . وكثيراً ما تموت الاحزاب بموت مؤسسيها وزعمائها . والحالة شخصية بحجة كذلك في الاعمال التجارية العملية في الشرق الأدنى . فاذا تألفت شركة في الشرق الأدنى كان أعضاؤها أفراداً قليلين جميعهم أقارب وأصحاب . أما الاعمال في الغرب فتقوم بها شركات واسعة النطاق ، في نظامها صفة عامة غير شخصية . خذ مثلاً شركة التليفون والتلغراف الاميركية ، أعضاؤها يعدون بالآلاف . الاطراف لان كل حامل سهم شريك فكثير من الشركاء لا يعرف الواحد منهم الآخر ولا يعرفون مديري الشركة والقائمين باعمالها . والعاملون فيها يعدون بمئات الآلاف وبعضهم لا يعرف رؤساء العمل اسماً او وجهاً ومع كل هذا تسير الاعمال بدقة ونظام بحسب تعليمات وجدول وقوانين مطبوعة . واذا جئنا نعدد الشواهد على اثبات هذا الرأي في الغرب ضاق بنا المكان والزمان ولنبحث فرضنا هذا مسترشدين بالفرض السابق تحت عنوان الميزة التقليدية مقابل ميزة الاختبار الشخصي . فاننا اذا اردنا ان نعرف اي الامرين اكثر شيوعاً في الغرب او في الشرق الميزة الشخصية او الميزة العامة ، فالشرقي في حالة كهذه يعتمد على الثقافات وفي كلامه عن الامر يسرد اقوالهم لانهم واقفون على ثقافة الشرق الأدنى وثقافة الغرب ويمكنهم ان يقولوا القول الفصل في الموضوع . اما الغربي فيدرس الامر بنفسه فيضع مقياساً عن اوضاع كل من الشعبين تجاه الاعمال الشخصية والاعمال غير الشخصية ويقوم باحصاء يتناول عدداً وافراً من الامتين وللقيام بهذه التجارب قواعد وأساليب معروفة عن علماء الاجتماع المجرّبين

وهذا الدرس العلمي الذي يقوم به المدققون لمعرفة الحقائق واثبات فرض ما ، يظهر فساد ما يلجأ اليه الذين يتباحثون في الامور على أساس نظري فيسردون الامثلة والشواهد التي تدعّم آراءهم وفي الوقت نفسه يسردون أمثلة تفسد آراء معارضيههم وبكلمة أخرى ينتقون من الحد الأقصى في كل من الحالتين أمثلة يستندون اليها في أبحاثهم ويقدمونها بطريقة تفسد عليهم الوصول الى الحقيقة في معرفة مقدار التباين بين الفريقين اذا كان هنالك ثمت تباين . أما الطرق العلمية المبنية على ملاحظة الامور بدقة متناهية بالوسائل التي اشرنا اليها سالفاً في معرفة وضع الامة الواحدة تجاه حالة خاصة فتظهر فساد الحجج المبنية على أمثلة شائعة مما يستند اليه الافراد لدعّم رأي يأخذون به . وهذه الطرق العلمية تظهر ايضاً ضرورة مقابلة وضع الامة الواحدة بوضع الامة الاخرى تجاه حالة واحدة وذلك يسهل تعيين نوع التباين ومقداره . ولنا في التباين بين الالتجاء الى الثقافات والالتجاء الى الاختبار الشخصي مثال ننسج على منواله لمعرفة صحة كل من الفروض الآنف ذكرها وهي تبين التباين بين الغرب والشرق الأدنى

﴿ الميزة الاقطاعية مقابل الميزة الديمقراطية ﴾ فرضنا الخامس ان التباين الثقافي بين الشرق الأدنى والغرب ظاهر في الصفات الاقطاعية الشائعة في الشرق الأدنى والصفات الديمقراطية المنتشرة في الغرب مع بعض الشذوذ للقاعدتين . وقلنا الاقطاعية يعني ان الفرق الاجتماعي والبون الاقتصادي

بين اصحاب الاملاك والذين يعملون فيها شاسع وصارم وفي الوقت نفسه يظهر في كل من الفريقين ميل للبقاء حيث هو دون محاولة التغلب على هذه الحواجز . وقولنا الديمقراطية يشمل المساواة بين ابناء الامة الواحدة في الفرص التي تتاح لهم وهذا يتناول ايضاً المساواة بين الجنسين النشط والضعيف ويتناول المساواة في جميع الحالات الاقتصادية بحيث تتاح في البلاد الواحدة فرص لابن الفلاح ان يتبوا أعلى منصب حكومي في بلاده او ان يصير مدير اعمال تجارية أو اقتصادية كبيرة . ويتم هذا الامر بالتعليم المجاني العام الذي تقوم به الحكومات . وزبدة القول ان هذا التباين ظاهر في الثقافتين كل الظهور في عدم التساوي بين الرجل والمرأة وعدم المساواة اقتصادياً بين طبقات سكان الشرق الادنى . بينما المجال في الغرب واسع للمساواة بين الرجل والمرأة وفي جميع طبقات البشر . ولرب قائل يقول ان الديمقراطية التامة ليست من صفات المدنية الغربية على ما هو ظاهر في ايطاليا الفاشستية والمانيا النازية وروسيا البولشفية واليابان العسكرية كما وان الاقطاعية غير شاملة بعض اقطار الشرق الادنى وهذا واضح في نواح كثيرة من جبل لبنان حيث الاملاك ملك الفلاح يستغلها الحسابة . ولكننا نعود ونقول اننا في بحثنا هذا لا نتناول الحوادث الفردية ونقابلها الواحدة بالآخرى بل نقابل المعدلين الغالين ، لان الحوادث الفردية قد تكون الحد الاقصى لاحدى الثقافتين ولا تظهر المعدل الذي تتوخاه في الابحاث العلمية ونحن لا نود انتقاء حوادث فردية خصوصية يستعين بها الغير لاثبات نظرية ينادون بها ﴿ الجود مقابل السير في التقدم الديني ﴾ فرضنا السادس في التباين الثقافي يتناول تأثير المركب الثقافي الديني في تغيير الحالة الثقافية كلها . فالديانة في الشرق الادنى عامل قوي ولكنها قوة جامدة نوعاً وفي سكان الشرق الادنى ميل للمحافظة على الانظمة الدينية ولإبقاء الطقوس على ما كانت عليه قديماً بحيث تكون مستقرة على حالة واحدة فلا تتحول تحولا يقتضيه الحال لتساعد على حل المشكلات الاجتماعية الحديثة وما ينجم عن هذه المشكلات من الشرور . واذا نظرنا الى البواعث الفعالة التي دفعت بالبعض في الشرق الادنى الى محاربة الشرور والامراض الناجمة عنها او الى مكافحة التأخر الزراعي او البغاء او الجشع الاقتصادي او غيرها من الامور التي لا يريدوها الشعب نجد انها لم تصدر من الكنيسة الارثوذكسية او الكنيسة المارونية او الهيئات الدينية الاسلامية او غيرها بينما الحالة في الغرب عكس هذا تماماً فرغم كل ثورة ضد شرور الحرب او ضد التحكم الصناعي او الفساد الادبي في السينما وغير ذلك من الشرور التي تعرقل تقدم الامة هم رجال الدين والعاملون في الكنيسة كالكهنة والقسيسين والمرسلين وغيرهم . والمال اللازم لنجاح كل من المشروعات المذكورة يجمع من الشعب بواسطة الكنائس ولا دخل لجميات فردية او مؤسسات اخرى فيه . اجل ان في بعض كنائس الغرب محافظة قصوى ورد فعل

قويًا ولكن الفرض الذي نحن في صددده يوضح لنا ان الكنيسة في الغرب عامل قوي في تسديد خطوات التطور الثقافي في مناهج التقدم بينما الكنيسة في الشرق الأدنى جامدة وكثيراً ما تنتمي الكنيسة الجامدة في الشرق الى الكنيسة العاملة المنفذة في الغرب

الميزة الفردية مقابل ميزة السهولة لتأليف الجماعات فرضنا السابع والاخير في التباين بين ثقافة الشرق الأدنى والثقافة في الغرب ان العمل الفردي اكثر شيوعاً في الشرق الأدنى منه في الغرب بينما العمل بواسطة الجماعات اكثر انتشاراً في الغرب منه في الشرق الأدنى. ونفي بهذا ان اهل الغرب اقدر على ضم كلتهم للعمل كجماعات موحدة الغاية والمرمى وانه بإمكانهم ان يعملوا كجماعات زمناً طويلاً وان يكون عدد الافراد في الجماعة الواحدة وافرأ. ولا يضح الامر نوجه نظر القارئ الى الشركات التجارية في الشرق الأدنى وهي كناية عن افراد قليلين اجتمعوا لمدة وجيزة بينما نرى الشركات الاقتصادية في الغرب تشمل العدد الوافر والوافر جداً من المساهمين وتكون آجالها طويلة مديدة وهذه الشركات إما ان تكون مجموع اصحاب رؤوس المال كشركة الفولاذ في الولايات المتحدة United States Steel Company والشركة المشهورة في تاريخ بريطانيا العظمى المعروفة باسم شركة الهند الشرقية East India Company وإما تكون مؤلفين غير اصحاب رؤوس المال كالشركة التعاونية الانكليزية لبيع الجمل British Wholesale Cooperatives او تعم جميع ابناء البلاد كما هي الحالة في روسيا. فالبلاد الروسية كلها شركة اقتصادية واحدة. ومن يتصفح الكتاب السنوي الذي يصدر في الولايات المتحدة باسماء الجمعيات الاجتماعية يجد المؤلف كبير الحجم فيه الالوف من اسماء الجمعيات وكلها تبين ان الالوف من سكان البلاد قد اتحدوا معاً تحت اسم جمعية واحدة للعمل معاً نهوضاً البلاد باحدى الخدمات المعروفة عندهم. وهذا التباين في الميزة الفردية مقابل ميزة القابلية للعمل جماعات جماعات هو في رأيي وليد ثقافة خاصة شأنها شأن اخواتها الست المار ذكرها ولادخل للفطرة في هذه الميزة بل هي تتأثر بالمحيط والبيئة. فالاولاد في الغرب يربون منذ حداثتهم على العمل جماعات جماعات بطرق مختلفة تعد بالآلاف فبعض يكفون قبل ان يبلغوا الثامنة من عمرهم ان يترأسوا لجاناً تتعلق بصنفوفهم المدرسية وللمقابلة نقول قمنا باحصاء في صف المبتدئين في القسم العلمي في الجامعة الاميركية في بيروت (Freshmen) لعرف مدى هذا الاختبار في هذا الصف وعدده مائتان فوجدنا انه لم تستح لواحد منهم فرصة ليتزأس لجنة ما مع ان المعروف انهم بوصولهم الى هذا الصف قد اجتازوا مرحلة واسعة من مراحل الهذيب العالي ومعدل العمر فيهم خمس عشرة سنة. والكل يعرف ما في هذه الناحية من التهذيب من الفوائد اذ تعلم اساليب تسمير الامور باحترام القرارات الصادرة من الاكثرية وخضوع الاقلية لقرار الاكثرية رغم الاختلاف والتباين في الرأي. ومعلوم ايضاً ان هذا غلبة على روح التعاضد

ومن يحص عدد الجمعيات التي قامت في الشرق الأدنى في السنوات العشر الواقعة بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ويدرس معدل عمرها يجد الشواهد العديدة التي تتعلق بفرضنا هذا نعني به التباين بين العمل الفردي والقابلية للعمل جماعات جماعات . وإذا نظرنا الى الفروض الاول والثالث والرابع المتعلقة بالتباين الثقافي ان في ادخال الصناعات او في ادخال تغيير ثقافي مرغوب فيه في الانتقال من الميزة الشخصية الى الميزة العامة غير الشخصية وكان نظرنا اليها بدقة وامعان لم نجد فيها تصادماً أو تعارضاً بل زاهاً تطابق الواحدة منها الاخرى وتلازم الثقافة الاولى الثقافة الاخرى وان في الامكان تشابهها وامزاجها الواحدة منها بالاخرى

وقد يعجب القارىء لعدم ذكرنا التصادم بين وطنية الشرق في طلب الاستقلال واستعمار الغرب الدافع به الى الرغبة في التوسع والتسلط. والسبب في هذا لا نتألا نرى هذا التباين ثقافياً لانه ليس تبايناً في طرق التفكير والعمل في الحكومة . وهو ليس نزاعاً في الثقافة بل هو نزاع بين جماعات في الشرق الأدنى وجماعات في الغرب على من منها يتولى امر هذه الثقافة . فالفرقان وطنيان والجماعات في الشرق الأدنى والغرب تود ان تكون مستعمرة وترغب في التسلط على جماعات أخرى اذا وافق الامر مصالحها وفي التوسع تنفيذ هذه الرغائب وعليه يكون هذا النزاع بين فئة وطنية في الشرق الأدنى وفئة وطنية في الغرب ولا دخل للتباين الثقافي في الامر . فهاهي ركياً متلاً قد خلعت عنها كل ما يمت الى الاستعمار الغربي ولكنهما بالوقت نفسه تعمل بكل قواها لتقتبس الثقافة الغربية ومع ان النزاع المذكور ليس نزاعاً بين الثقافتين نجد ان تسلط قوم على قوم آخرين بالاستعمار واسطة لنشر ثقافة الامة المتسلطة في الامة المتسلطة عليها. ولنا في اللغة خير برهان . ولا يسهى عن البال أن هذا التسلط السياسي بطبيعته يخلق جواً ملائماً للمعارضة يحول دون انتشار بعض الصفات الثقافية في الامة المتسلطة بين افراد الامة المتسلطة عليها ويساعد بالاكثرت على ان تقتبس الامة المتسلط عليها ثقافة الامة نائلة غير استعمارية ومن هذا يتبين لنا ان التسلط الاستعماري يوجد طريقاً لبعض الصفات الثقافية ويقطع الطريق على البعض الآخر وعليه يجب ان ندرس هذا التصادم وهذا التلاؤم مستقلين عن انحائنا السابقة عوضاً عن درسها تحت مقابلة الميزة الوطنية بالميزة الاستعمارية لان الامر يقتضي الجلاء والوضوح في التفكير والبحث

اختلاط الثقافتين

المهارة الفنية في تحليل التصادم في الثقافة عند وقوع تصادم في الثقافات يمكن اتباع مبادئ خاصة معينة لتحليل التصادم . هذا اذا كان من يعينهم الامر راغبين في التخلص من التصادم والنزاع. ولكي لا نشغل محلاً واسعاً في تطبيق هذه المبادئ على كل من النقط السالف ذكرها من التباين الثقافي نجيء على سردها بكل ايجاز

(١) — اذا عاكس البالغون بعض الصفات الثقافية وحاولوا منعها من التطرُّق الى صفوفهم فعلى من يعملون على ادخال هذه الصفات ان يلجأوا الى الصغار فيذبوهم في الثقافة النوي ادخالها وعلى ذلك لا يمضي وقت الا وتعم الثقافة الجديدة كل البلاد والامر معروف في كل العالم ان المدارس هي الواسطة الفعالة لاداعة الثقافات ونشرها

(٢) — المبدأ الثاني للتخلص من النزاع والتصادم في ادخال صفات ثقافية جديدة لامة ما على من يهمهم الامر ان يعتمدوا على الوقت فلا يعملوا على نشر الامر بسرعة مستخدمين لذلك الاعلانات والدعايات . لان ذلك يساعد على ازدياد المعارضة بينما الامر يكون عكس هذا اذا سار هؤلاء الهويناء وتركوا للوقت بحاله للعمل . مثلاً لو قام محبذو السفور بنشره بالسكينة والهدوء لانتشر بدون ضجة ومعارضة وان كانت هناك معارضة فبأقل ما يمكن منها . ولكن الامر يستلزم وقتاً أطول منه اذا هم فرضوه على الامة بالقوة . فالمرأة التي تود ان تظهر سافرة يمكنها ان تكون مع السافرات سافرة وتبقى في محيط مجبذي الحجاب محجبة او اذا شاعت في وسعها ان تنقص ثخانة حجابها شيئاً فشيئاً فهي بهذا تحمدي نيران كل رغبة للمعارضة او الثورة ضدها بينما زاهاتير من النزاع والضجة الشيء الكثير اذا وثبت وثبة واحدة من الحجاب الثخين الى السفور المطلق

(٣) المبدأ الثالث ان تربط الصفة الثقافية غير المرغوب فيها بحالة يسعى الجميع اليها . مثلاً اذا قاومت امة الاقبال على لغة الامة المستعمرة بلانها فان افراد الامة المقاومة يقبلون على درس اللغة غير المرغوب فيها اذا جعلت واسطة للفوز بالمنصب الحكومية

(٤) المبدأ الرابع زيادة الامور المشتركة بين المتصادمين وتوسيع نطاقها وتقليل النقط التي يصير الاختلاف عليها . وما اصح الشعار الذي اتخذته جمعية « الاخاء » في جامعة بيروت الاميركية لانقاص الاختلافات المذهبية في اعضائها والشعار المشار اليه سابقاً هو « ان العالم الذي تنقام بركاته لاوسع جداً من العالم الذي نختلف على ذرائع » وبكلمة أخرى نقول في هذا المبدأ « ان تتمم غايات الجماعات المتصادمة غاية اوسع وأنفع هي غاية الغايات » ففي الاعمال البرلمانية فثان اكل منهما وجهة نظر في درس الامور وتقريرها ولكن الخلاف بينهما يحسم بقرار الاكثرية النافذ على الاكثرية والاقلية معاً . فيخضوع الاقلية لقرار الاكثرية في تقرير مركب ثقافي خاص وصل اليهم للبحث اما باستدعاء وإما بلائحة تشريعية هو واسطة للوصول الى غاية الغايات وهذه الواسطة معروفة باسم نظام الاكثرية ولكن الفريقين يستخدمان اختلافها لغاية اوسع وقصد أفضل وهو الاستمرار في العمل للوصول الى قرارات عديدة بحسب نظام الاكثرية . وعند ما ترى الاقلية في الاعمال البرلمانية تنفصل عن الاكثرية فتخفق الابحاث البرلمانية فقل ان اعضاء البرلمان لا يؤمنون بهذه الغاية الواسعة ولا يصدقون في النتائج العامة الفضلى

الناجمة عن نظام الاكثريّة. فعلى رجال الادارة اولا ان يوجدوا غاية الغايات وان يقدموها الى البرلمان بطريقة يعرفون انها تتمم غايات المثقفين. وما زال لكل فئة الحق ان تصادق على قبول بعض الصفات والمركبات الثقافية ورفضها بصرف النظر عن اشتراكها في بحثها فيجب ان يعرف المجموع الذي يدرس هذه الثقافات انه بحاجة الى الاتفاق على غاية الغايات لكي يحل كل خلاف وتصادم. ولايضاح الامر لنضرب المثل التالي : اذا كانت غاية الغايات التقرير بان بناء الحياة البشرية يجب ان يكون اسياذ محيطهم لا عبيده وقد تم هذا فما نراه من التباين والتصادم في الميزة التقليدية مقابل ميزة الاختبار الشخصي لا يطول امره لان الصناعات العلمية تجلو للانسان تدريجياً بانها تخوله سلطة واسعة على الطبيعة تعجز عنها اقوال الثقاة

ثم اذا فرضنا ايضاً ان قد تم الاتفاق على ان تكون الشخصية واحدة من الغايات المنشودة ونعني بالشخصية ان ترتقي النفس البشرية وتكون حرة كثيرة الاختبار وجزيلة الفائدة للمجتمع البشري وهذا اعلى ما يصبو اليه المرء في حياته البشرية—فاننا اذا درسنا نقط الخلاف بين الذين يقولون بالنظر الى الحياة من وجهة شخصية والذين يقولون بها من وجهة عامة غير شخصية وفهمنا الامر بدقة وامعان مسترشدين بالفرض الذي قلنا قد تم الاتفاق عليه من حيث الشخصية السامية كان في وسعنا ان نقرب بين وجهتي نظر الفريقين وقد يتسنى لنا ان نوفق بينهما توفيقاً تاماً. فهذه الغايات المنشودة كسلطة المرء على محيطه وإنشاء شخصية مولدة مفيدة ، هي القانون الذي يسير عليه التقدم والنجاح وهي المقياس الذي به نعرف الزمن الذي به تصير الصفات الثقافية تقدماً ونجاحاً في الامة التي تصبو الى هذه الغايات الفضلى

فالسؤال امامنا ان يتم الاتفاق على تعيين غايات فضلى اكثر عدداً من المعروف وتحديد ما قبل اضاءة الوقت وبذل الجهود في درس امور ثانوية هي التباين في الثقافات وهذا ما يضع امامنا السؤال التالي: « ما هي الغايات الفضلى التي يمكن اتخاذها واسطة للوصول الى ابعد مدى ممكن من الاتفاق بين الشرق الأدنى والغرب ». وقد اشار بعضهم الى الغايات التالية كالغايات الفضلى المنشودة « ارادة الله » « الشخصية السامية » « ان يحصل اكبر عدد ممكن على اعظم قسط من السعادة » « الحصول على افضل طافية واوفر ثروة ممكنة والحصول الى ابعد مدى من الرغد والرفاهية وبالافوز بأوفر قسط من المعرفة في طريقة الحياة لتحقيق معين »

لم نقصد فيها جثثاً عليه من المباحث ان نحل المشكلات الظاهرة في مقالنا ولكن قصدنا ان نبث في قارئ مقالنا هذه التأمل العميق في هذه الامور الحيوية والمعروف ان حل المشكلات الناجمة عن التصادم في الثقافات وكيفية تلاؤم الثقافات المختلفة لا يكون عن طريق الاقوال بل يتم بما يفكر فيه اصحاب هذه الثقافات ويعملونه

دراسات

في آثار الاقدمين الروحية

تناشد سيفين

الرموز في الديانة القديمة

﴿تمهيد﴾ يحسن قبل الكلام عن الرموز ان أهد لذلك بكلمة عن معبودات قدمائنا ومعتقداتهم تقوم الديانة المصرية على ركنين عظيمين : عبادة القوة ممثلة في مظاهرها في الكون كالشمس والقمر والنيل وعبادة السلف الذين اهتموا الى الزراعة وكان لهم فضل اخراجهم من ظلمات البداوة الى نور الحضارة. وقد مثلوا لهؤلاء السلف بالأسرة الرمزية المكونة من الثالث المشهور أوزيريس الأب وإيزيس الأم وحورس الابن الوارث للعرش . ثم انتقلت هذه الصفة الى الملوك من بعدهم فكان الملك هو الوارث لعرش حورس ويلقب بحورس الحي حتى اذا انضم اليهم في العالم الثاني عبد كآله . ولهذا أنشئت المعابد للملوك في الغرب حيث مقابرهم ليحج إليها أتباع حورس من شعبهم لتقديم فروض العبادة لهم

وقد اهتموا الى البعث من النظر الى الشمس فهي تولد في الصباح وتبلغ غاية قوتها في الظهر ثم تنحدر وتصفّر وأخيراً تغرب ثم تبعث في اليوم الثاني . وكانوا يزعمون ان «را» وهو اله الشمس اذا بلغ المغرب أخذ هيئة الموتى ليجتاز «الدوات» وهو العالم الثاني ولذلك كان الذين في الشرق عند آون يعبدون الشمس وهي في الاوج باسم «را» والذين في الغرب عند منف يعبدونها وهي في الدوات باسم «بتاح» وكانوا يصورونه لذلك في هيئة مومياء

وقد جعلوا أوزيريس آية على البعث ودليلاً فقالوا انه جاء معلماً للناس وهادياً فعلمهم الزراعة وهداهم الى الدين وأعطاهم الشرائع ثم قتل وبعث ورفع الى «را» في السماء وأخذ معه الى العالم الثاني وهو هناك اله الموتى

ويلاحظ انه كان لهذه المعبودات مناطق تتركز فيها عبادتها فلرا اون وهي هليوبوليس باليونانية ومعناها مدينة الشمس ولا من طيبة ولبتاح منن ومكانها الآن ميت رهينة عند البدرشين حيث يوجد تمثال ضخم لرعمسيس ملقى على ظهره وكان في الاصل قائماً عند معبد بتاح. ولا وزيريس

أيدوس ومكانها الآن العرابة المدفونة عند البلينا . ولتوت خيمنو وهي الاشموين . ولحورس ادفو . وذلك يدل على أنه في الزمن السابق للاسرات لما كانت البلاد منقسمة الى أقاليم مستقلة تحت حكم أمراءها كان الشعب موحداً اذ كان لكل إقليم معبوده الخاص . فلما صارت البلاد مملكة متحدة تحت حكم مينا واتخذ منف العاصمة وكانت العادة منذ أقدم العصور ان يتولى الأمراء الملك في أقاليمهم كورثة للأله كان طبيعياً وقد أصبحت منف حاضرة المملكة المتحدة ان ينتسب ملوكها الى الشمس معبود هذه المنطقة في الشرق باسم «را» وفي الغرب باسم «بتاح» ليكون الملك لهم حقاً الهياً بأنهم أبناء الاله وورثته وخلفاؤه في الارض وان يصير اله الشمس ملك الالهة ورب الأرباب وان تفرض عبادته من ثم على سائر افراد الشعب يعبدونه الى جانب معبوداتهم الخاصة في أقاليمهم . وكان هذا بداعة الشرك وتعدد الالهة

ومع الزمن أصبحت المعبودات جميعها معروفة في سائر أنحاء البلاد فما كان منها متشابهاً في صفاتها عبدوها معاً وخطوا بين اسمائها في قصصهم الديني حتى ليتعذر ان تفرق بينها . فكثيراً ما تذكر هاتور مثلاً ويراد غيرها من اناث المعبودات مثل ايزيس وسيخت وكذلك «بتاح» لكونه يمثل «را» في العالم الثاني فقد عبد كصورة من صور أوزيريس أو آسار وسمي بتاح سيكر آسار وجعلت في معبده حظيرة للعجل ايس وهو رمز آسار كما سأينته بعد

ولما نجح احمس رأس الأسرة الثامنة عشرة وكان من طيبة، في تخلص البلاد من حكم الهكسوس واستقل بالبلاد متخذاً طيبة عاصمة لملكه أصبح لا من معبودها المقام الا على في البلاد وأدمج فيه «را» وصار يدعى «آمن را»

وفي زمن بطلميوس الاول سوتير مؤسس أسرة البطالسة جيء الى مصر من اليونان بتمثال صنع على هيئة العجل وعلى رأسه شارة مصر المكونة من قرص مجنح يكتشفه أفقوان وعقاب وقيل لتركيبته عند المصريين واليونان انه يمثل اتحاد كل من بلوتو اله العالم السفلي عند اليونان وآسار اله الموتى عند المصريين وسمي سيرايس وشيّد له في الاسكندرية معبد فخم ظل قائماً الى دخول المسيحية . وكانت الغاية من ذلك اضعاف القومية المصرية وخضد شوكة المقاومة فيهم للحكم الاجبي من طريق افساد عقائدهم باحلال آلهة غريبة مكان آلهتهم التي ألهمتهم اياها طبيعة الاشياء في مصر وضرورات الحياة واصطبغت بصبغة البلاد وصرّفهم عن معابدهم التي تتمثل فيها عظمة الماضي ومجد ملوكهم الاقدمين

ونظراً لهذا الامتزاج بين المعبودات فاني في دراستي هذه سأحرص على ان أبين هل كان الرمز للمعبود الذي ادرسه في الاصل او كان لاخر نظيره ثم أضيف اليه بعد ادماجه به

(الرموز) الرمز أداة يستعان بها لتقريب المعاني المجردة الى الازهان وتجسيما لابرآها

العيان . وقد استعمل قديماً لتعريف الآلهة وتمثيل صفاتهم . وقد اتخذت أكثر الرموز لهذه الغاية من الحيوان لان لاجناسها صفات وغرائز معروفة تتميز بها

ومن اجناس الحيوان التي استعملت رموزاً في الديانة القديمة الأيسس والقرد والعجل والبقرة والكبش والجعران . وقد تكلمت في المقال السابق عن الأيسس والقرد . وأضيف الآن اني بعد ارسال المقال قرأت في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري عن طائر اسمه بوقير « انه طائر ابيض تحيي منه طائفة كل سنة في وقت معلوم الى جبل يقال له جبل الطير بصعيد مصر بقرب انصنا » . وهذا الجبل بمدينة المنيا ولا يبعد كثيراً عن الاشمونين . ولعل هذا الطائر هو الايسس كانت تحيي منه طائفة كل سنة عند ارتفاع ماء النيل فتفاعل به الناس واعتبروه بشيراً بالخير وموقتاً يدلهم على وقت الفيضان . ومن ذلك كان تقديسه في هذه المنطقة واتخاذ رمزاً لتوت الآله الذي أرشدهم الى معرفة الاوقات والفصول

وسأتناول في هذا المقال آلهة ورموزاً أخرى وأرجو ان أوفق الى ادراك الصلات المغوية بين هذه المعبودات ورموزها

﴿ آلهة الشمس ﴾ أنشأ الناس منذ أدركوا عظمة الكون يتأملون في الكائنات مما في السماء وما في الارض وما بينهما ويتساءلون عن مصدر القوة فيها وانتهوا من ذلك الى معرفة الخالق ولقد صور صاحب المزامير هذا المعنى أحسن تصوير وأبلغه في المزمور التاسع عشر حيث يقول « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه في كل الارض خرج منطقهم الى أقصى المسكونة كلماتهم . جعل للشمس مسكناً فيها وهي مثل العروس الخارج من حجته (مخدعه) ينتهج مثل الجبار للسباق في الطريق . من أقصى السموات خروجها ومدارها الى أقاصيها . ولا شيء يمتقي من حرها »

وكانت الشمس التي اختصها صاحب المزامير بالذكر أعظم وسيلة الى معرفة الآلهة ، والآلة الكبرى على قوته فعبدت منذ أقدم العصور زلفى اليه . وقد بقيت من عبادة الشمس بعض عبارات لا تزال تطلق على الله مجازاً وهي من صفات الشمس أصلاً كالآية « الله نور السموات والارض » وقولنا السماء كرسية والارض موطنه قديمه

ومما كان له أثره في خيال الأولين ومعتقداتهم منظر الشمس وهي ترتفع في الأفق من وراء الجبال تتهدى لتأخذ مكانها في كبد السماء ثم تأخذ في الانحدار حتى تختفي كذلك خلف الجبال التي في المغرب . فقد اختلف الرأي في تفسير ذلك مما ترتب عليه اختلاف الرموز وتنوع العبادات فمنهم من توهم ان للشمس مسكناً خفياً في الجبال وبناء على ذلك بنيت المعابد عليها في بلاد كثيرة تقريباً لها . ومن هذا القبيل الاكروبوليس بقرب آثينا ومعنى الاسم مدينة الرأس لانها

قائمة على رأس جبل . وكذلك المرتفعات التي جاء في سفر الملوك من أسفار التوراة ان العمونيين والموايين من سكان فلسطين الأولين كانوا يقيمونها لكموش ومولك آلهة الشمس عندهم . وأصبحت الجبال التي أقيمت عليها تلك المعابد مقدسة ولا يزال بعضها حرمة الى الآن عند بعض الامم ومنهم من اعتقد ان الشمس تهبط من المغرب الى العالم الثاني عالم الارواح ثم تبعث من المشرق في اليوم الثاني

واختلفوا كذلك في وصفها فمنهم من شبهها في شروقها والافق من حولها يتلألاً بأشعتها الذهبية بمركبة تحمل الآله من المشرق الى الغرب . وفي مصر شبهت بالثور القوي ينطلق من حظيرته في الجبل الشرقي هائجاً يتقدمه قرناه يكتن بهما عن أشعتها وأول ما يبدو منها . وشبهت أيضاً بالباشق وكني عن أشعتها بجناحيه . كما شبهت بالسفينة وقيل لذلك ان في السماء نهراً أعد لها قطعه في رحلتها اليومية من المشرق الى الغرب

وسأجزيء من ذلك كله بآلهة الشمس في مصر ورموزها فأجعلها موضوع دراستي في هذا المقال

﴿المعبود «را»﴾ «را» هو اسم اله الشمس في أون . ومن هذا الاسم فيما أظن اشتق الفعل «رأى» ولفظة ray بمعنى اشعة . وكان يطلق على الآله اذا كانت الشمس في كبد السماء فاذا ولدت من المشرق في يوم جديد سمي حور ماشيس وهو من أسماء حورس الابن ومن المرجح ان لفظة horizon بمعنى أفق مشتقة من هذا الاسم فاذا انحدرت الى المغرب وآذنت بالغاب في عالم الارواح أطلق على الآله اسم «تمو» أو «آمو» ولعله في نطقه الصحيح كان اقرب الى لفظة «عتمة» العربية

وبديهي ان هذا الثالوث من الاسماء لم يكن يعني عند الاقدمين ان للشمس آلهة ثلاثة . فالشمس سواء أكانت في كبد السماء أم في المشرق أم في المغرب هي واحدة والها كذلك واحد . أما هذه الاسماء فهي اكثر ما تكون شهاً بالاقانيم الثلاثة للاله الواحد في اعتقاد المسيحيين ويظهر ذلك جلياً في صلواتهم . وحسي برهاناً على قولي ان أنقل بضع فقرات من صلاة نشرها مريدت باشا بأصلها الهيراطيقي وترجمت منها الى اللغات الاوربية . وفيما يلي ترجمتها من الانكليزية :

«ياها الكائن الواحد خالق الخلق كله . الواحد الاحد . موجد الكائنات» ومنها «ياها الآله آمن وهو (را) وآمو وحور ماشيس موجد الكائنات كلها . ان جميع الناس يسبحونك قائلين انا نمتجدهك لانك في وسطنا ونسجد لك لانك خلقتنا» ومنها «انه يسمع صلاة المستضعفين ويستجيب دعاء الداعي اذا دعا . وهو ينقذ الودعاء من ايدي قساة القلوب . ويقضي بالحق

بين الاقوياء والضعفاء» ومنها «ان عينه على الناس وهم نيام وهو يكفل لأدنى خليفته احتياجاتها»
 ﴿رموزه﴾ تقدم القول ان الاوائل في فطرتهم شبهوا الشمس في شروقها بالثور والباشق
 والسفينة. وقد احتفظ قدماءنا والمصريون محافظون بطبيعتهم - بتلك الصور جميعها كذخيرة مقدسة
 أما الثور فقد اتخذوه باسم منفس رمزاً حياً لرا ووسيلة للزلفى اليه . وقد جاء في حجر
 رشيد المشهور ان بطليموس الخامس أغدق عليه وعلى الحيوانات الأخرى المقدسة الخير وأجزل
 لها العطاء تقرأ بالآلهة

وأما الباشق فهو رمز حورس الابن وهو حور ماشيس الشمس المشرقة وكان يصنع تمثاله
 من الذهب الخالص لمطابقة لونه لأشعة الشمس عند الشروق . وقد جعل رأس الباشق يتوجه
 قرص الشمس في موضع الرأس من تمثال «را» وهو على هيئة رجل يقبض باحدى يديه على علامة
 الحياة وبالأخرى على رمز القوة

وأما السفينة فهي رمز آمن اله الشمس في طيبة وسيأتي الكلام عنها بعد
 ولما كانت سلسلة الجبال المحاذية للنيل على امتداده تبعد أكثر اجزائها عن الوادي المعبور
 ويتعذر لذلك إقامة المعابد للشمس عليها او في سفوحها كما فعلت الأمم الأخرى فقد اصطنع قدماءنا
 المسألة التي أصبحت عنواناً على مصر في هذا العصر لتكون رمزاً للافق وجعلوها مرتفعة لتستقبل
 أول ما يبرز من أشعة الشمس وجعلت رؤوسها هرمية الشكل وطلبت بصفايح مصقولة من الذهب
 والنحاس لتعكس عنها ولها لون الأشعة في المشرق وتوهجها ، واتخذوا لها بيتاً في داخل المعبد
 أطلقوا عليه اسم «هات بن بن» اي بيت المسلات وجعلوه قبلتهم . أما ما كان منها في غير هذا البيت
 فأريد به الزلفى الى الاله. وقد تنافس الملوك خلال آلاف السنين في اقامتها وحرصوا على ان يسجلوا
 عليها ما قدموا من صالح الاعمال لمجد أبيهم الاله وعظمة الوطن. لكن لم يبق من ذلك الا عدد يسير

وقد بلغت هليوبوليس شأواً عظيماً واصبحت من اعظم المدن في زمانها . وكان معبدها من
 أكبر المعابد في مصر وأغناها وأكثرها حاشية حتى قيل أنه في زمن الأسرة العشرين بلغت حاشية
 عدة آلاف . إلا أنها بسبب موقعها في الشرق كانت في طريق الغزاة الذين جاؤا من آسيا الى منف
 العاصمة . فداسوها واحداً إثر آخر وأعملوا فيها يد الحراب حتى لم يبق من المدينة العظيمة
 ومعبدها حجر على حجر الا المسلة اليتيمة القائمة في وسط الحقول في قرية المطرية. وهي ثانية
 اثنتين أقامهما اوزيرتن الاول من ملوك الأسرة الثانية عشرة حوالي عام ٢٤٣٣ ق. م. أما
 احتها فقد ظلت في مكانها الى القرن السابع ثم اندرست آثارها

تاريخ قصر الاخضر

لتوفيق الفكيكي

حاكم منفرد كربلاء

﴿ تأييد وتقيد ﴾ لقد جالت اقلام الكتاب وتشعبت آراء الباحثين ممن شغفوا بالبحوث التاريخية بخصوص الوقوف على حقيقة تاريخ الاخضر ذلك القصر الشامخ المنيف . وقد تنالت الهبات الأثرية في ادوار مختلفة على زيارة هذا الأثر الخالد الدال على عظمة بانيه وواضع حجر اساسه فعادت دهشة وفي حيرة من امره واسراره المجهولة في مطاوي الزمن . وآخر ما ظهر في شأنه ما نشرته دار الآثار العربية عندنا في نشرتها المعنونة (بالاخضر) . وقد اسدت بذلك خدمة جليلة يقدرها لها هواة التاريخ حق قدرها ويشكرها عليها كل عراقي حريص على احياء ما تر السلف الصالح وهي وان بذلت جهداً كبيراً لاستجلاء ما غمض من أمره وتبسطت في عرض آراء ومذاهب المؤرخين والمنقنين بقصد كشف النقاب عن حقيقته التاريخية، فإنها لم تتج من الورطة ويا للأسف لأنها أهملت أهم ناحية من نواحي التحقيق العلمي في أمثال هذه الموضوعات الهامة ألا وهي تمحيص الآراء والمذاهب التي أدلت بها بشأن تاريخ الاخضر فقد اثبتتها على علامتها وضعف اساسيها وغاية ما تذرعت به قولها في صحيفة (٣٣) :

« من الغريب ان تاريخ هذا القصر والحصن غير معلوم بالضبط ، بالرغم من ضخامة بنائه ودقة تخطيطه واهمية موقعه . لانه لا يوجد في القصر او الحصن كتابة تدل على شيء من تاريخه كما لا يوجد من كتب التاريخ والجغرافيا القديمة اشارات صريحة تدل عليه » . واعتبرت دار الآثار ان اقدم الاشارات التي تدل على الاخضر بصورة اكدية ترجع الى القرن السابع عشر حيث شاهده بعض الرواد من الاوربيين ثم اسرفت دار الآثار في حكمها على تاريخ الاخضر بقولها « ان كل ما يعرف عن تاريخ الاخضر لا يتعدى في الحالة الحاضرة حدود التخمينات والفرضيات » ثم سرعان ما تهدم حكمها هذا وتراجع عنه بصورة عجيبة بعد بسطها اجتهاد الباحثين والمحققين من المستشرقين وغيرهم وتتفق معهم فيما ذهبوا اليه واجمعوا عليه من ان قصر الاخضر هو من الآثار العربية الاسلامية بدون شك وريب كما يحده القارئ في صفحة

٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ من النشرة المطبوعة في مطبعة الحكومة في سنة ١٩٣٧ باهمال التاريخ الهجري مع انها بحثت عن أثر عربي اسمه بالخط الكوفي والنشرة له تسمى دار الآثار العربية في العراق وأغرب من هذا هو استغراب دار الآثار ان قصر الاخير بالرغم من ضخامة ودقة تخطيطه الخ.. غير معلوم فكأن الضخامة ودقة التخطيط من لوازم معرفة تاريخ الآثار والمنشآت لها ومواقيت الانشاء

وجل ما اعتمدت عليه من المصادر في استنتاجاتها التاريخية هي اقوال من نقلت عنهم فقط. وسنأتي على تفنيد معظمها وأهمها . مع انها لو رجعت الى اسفار التاريخ العربي الاسلامي لوجدت ضالتها وسقطت على الخير ولتخلصت من الشكوك ونجت من الورطة على قدر الامكان ولكن نتائج مجهودها أقرب الى الصحة وأبعد عن الخطأ وحدود الظن والآن ثبت الآراء التي استندت اليها الدائرة المشار اليها ثم نقيم الحجة على زيف بعضها وتصحيح البعض الآخر منها وهما هي ذي على الترتيب

التحقيق التاريخي

قال السيد شكري الالوسي ان كلمة (الاخير) محرفة من اسم (الاكيدر) وهو اسم امير من أمراء كندة أسلم في صدر الاسلام. فالقصر يجب ان يكون قد شيد من قبل الامير المبحوث عنه قبل الاسلام وقال (موزيل) ان كلمة الأخير من القاب شخص معروف في التاريخ وهو اسماعيل بن يوسف (الاخير) حاكم اليمامة على الكوفة من قبل القرامطة (في اوائل القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي) وقال ان الاخير يجب ان يكون (دار الهجرة) التي اسست من قبل الحاكم المشار اليه وقد لاحظ (ماسينيون) عند زيارته الاخير ان ريازته تشابه الريزة الساسانية فاعتقد لذلك انه يجب ان يكون قد شيد من قبل معمار ايراني قبل العهد الاسلامي في العراق ، لاجل احد ملوك الحيرة من اللخمين . وقال ربما كان (قصر السدير) الذي تغمى به الشعراء هو الاخير نفسه . وقد أيد (ديولا فوا) رأي ماسينيون من حيث الاساس واعتبر الاخير من المباني المشيدة قبل الاسلام في أواخر القرن السادس للميلاد. وقد قررت (المس جرترود بل) المستشفة عند زيارتها الاخير سنة ١٩٠٩ انه من المباني الاسلامية لانها اكتشفت المسجد ولا حظت الحراب ورجحت ان يكون دومة الحيرة التي شيدت في عهد الامويين . اما موزيل واسكار روتير ، وكرسويل فقد أيدوا رأي (المس بل) من حيث الاساس فاعتبروا الاخير من المباني الاسلامية . غير انهم اختلفوا في امر تثبيت تاريخ البناء بين اواخر القرن الاول واولى القرن الرابع للهجرة ولكن (كرسويل) لم يوافق على رأي (المس بل) في اعتبار الاخير من عهد الامويين بل قرر انه من عهد العباسيين ورجح ان يكون قد شيد في عهد عيسى بن موسى ابن اخي السفاح

والتصور وان عم المهدي وولي عهد المنصور وكان والياً على الكوفة . واما هوسفيد فقال —
يجب ان يكون من مباني اوائل القرن الثالث للهجرة لانه وجد شبهاً بين ريازة الاخير وريازة
سامراء . هذا كل ما جاء في النشرة من الاستدلال على تاريخ الاخير وان القام بطبعها اكتفى بسرد
هذه المطالعات على عواهنها قائلاً في صفحة ٤٢ منها (ان العلماء اصبحوا مجمعين تقريباً على القول
بان الاخير من مباني العهد العربي الاسلامي وان اختلفوا في تقرير العصر الذي تم فيه تشييده)
ان البحث العلمي يقضي على الناشر تمحيص وتفنيد تلك المطالعات والملاحظات على ضوء
التاريخ العربي الاسلامي وتثبيت النتيجة الصحيحة التي يدعمها البرهان التاريخي مهما امكن وذلك
لثلاثين طلاب الاجابات التاريخية والذين يهمهم معرفة آثار الماضين في حمأة الحطال
على انا لا نذكر أهمية النقاط المفيدة القيمة المثبتة في صفحة ٤٤ و ٤٥ من النشرة حول الريازة
العربية الاسلامية واستنباط الحكم منها على عروبة الاخير

نقول : ان القول ما قاله المرحوم العلامة السيد شكري الآكوسي الا في جهة واحدة وهي
نعين العصر الذي شيد فيه الاخير لانه قطع بأن التشييد كان قبل الاسلام مع ان الحقيقة
التاريخية كانت خلاف ذلك كما سيطلع القارئ عليها مفصلاً حيث ذكر صاحب معجم البلدان في
الجزء الرابع وفي الصفحة ١٠٧ و ١٠٨ ما يأتي

(وأحسن ما ورد في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في كتابه الفتوح وأنا حاك جميع ما قاله
على الوجه قال: بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد (رض) سنة تسع الى أكيدر بن عبد الملك
بدومة الجندل (١) فأخذه أسيراً وقتل أخاه وقدم بأكيدر على النبي (ص) وعليه قباء
دياج بالذهب فأسلم أكيدر وصالح النبي (ص) على أرضه وكتب له ولأهل دومة كتاباً
وهو: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع
الانداد والاصنام ولأهل دومة ان لنا الضاحية (٢) من الضحل (٣) والبور والمعامي (٤)
وانفصال (٥) الارض والحلقة (٦) والسلاح والحافر والحصن (٧) ولكم الضامنة من النخل
والعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر النبات تقيمون الصلاة لوقتها
وتؤتون الزكاة لحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر
من المسلمين ثم عاد أكيدر الى دومة فلما مات رسول الله (ص) منع أكيدر الصدقة وخرج من
دومة الجندل ولحق بنواحي الحيرة وابتنى قرب عين التمر بناءً وسماه دومة واسلم حريث بن
عبد الملك أخوه على ما في يده فسلم له ذلك وعلى ذلك قال سويد بن الكلي

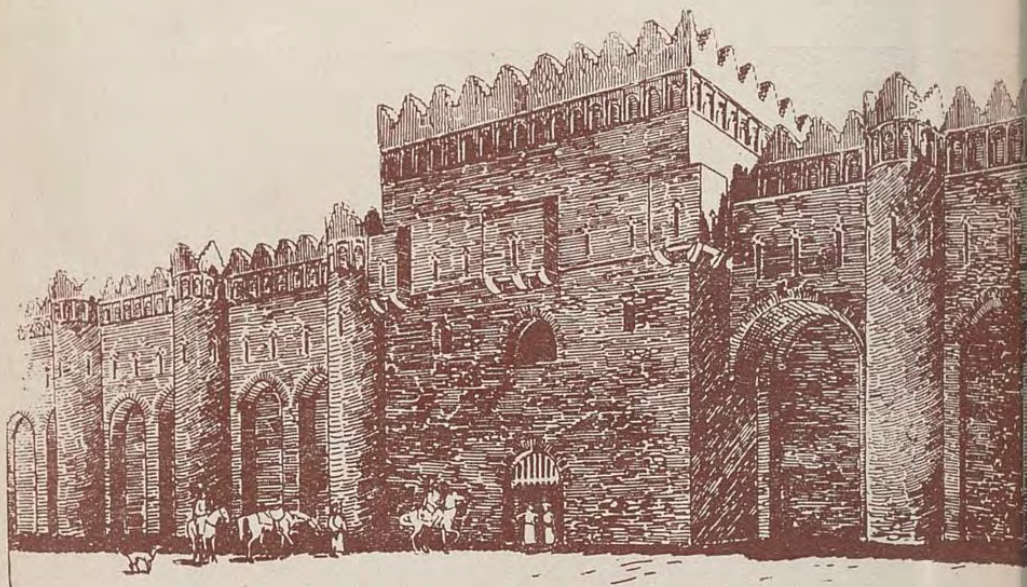
(١) تقع في وادي القرى بين الشام والمدينة (٢) الضاحي البارز (٣) الماء القليل (٤) المعامي الارض
المجهولة (٥) التي لا آثار فيها (٦) الدروع (٧) هو دومة الجندل المشار اليها

فلا يأمن قوم زوال جدودهم كما زال عن خبي ظعن أكرار
ثم قال صاحب المعجم: وقد روى ان أكيدر كان منزله أولاً بدومة الحيرة وهي كانت
منازله وكانوا يزورون أخوالهم من كلب وأنه لمهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة
متهدمة لم يبق الا حيطانها وهي مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وسموها دومة
الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة وكان أكيدر يتردد بينها وبين دومة الحيرة وهذا
يزيل الاختلاف. ثم زاد صاحب المعجم قائلاً: وقد ذهب بعض الرواة الى ان التحكيم بين علي
ومعاوية كان بدومة الجندل وبذلك يقول الأعور الشني

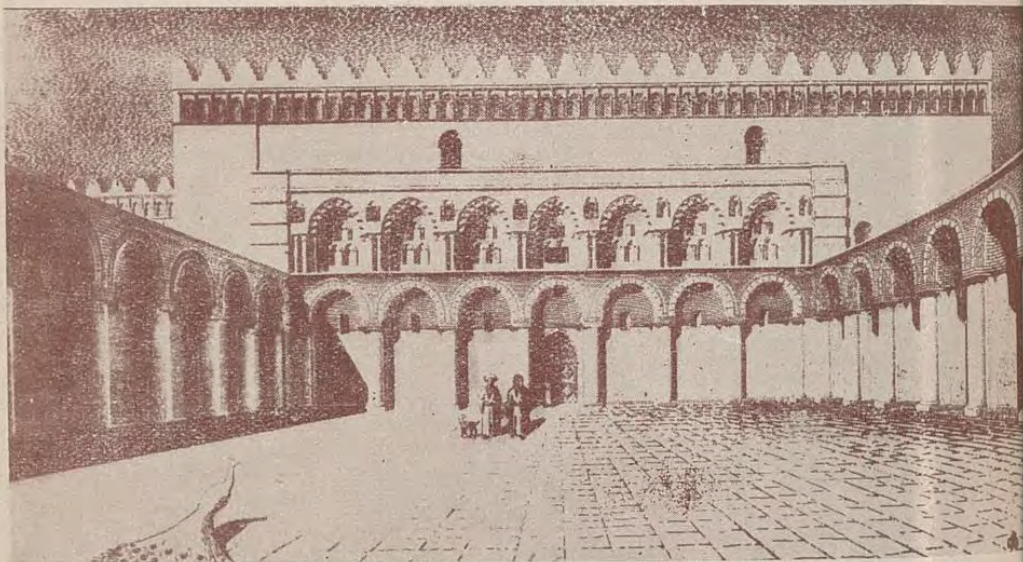
رضينا بحكم الله في كل موطن وعمره وعبد الله مختلفان
وليس بهادي امة من ضلالة بدومة شيخا فتنة عيمان

هذا ما اثبتته ياقوت في معجمه حول دومة الجندل اي الاخير وقد ايد ذلك شيخ المؤرخين
الطبري في الجزء الرابع والصفحة ٢٢ من تاريخه في خبر فتح دومة الجندل من قبل خالد بن
الوليد. ومما قاله: ولما بلغ اهل دومة مسير خالد اليهم بعد فتح عين التمر بعثوا الى احزابهم من كلب
وغسان وتبوك والضجاعم وهم على رئيسين اكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة وقد خالف
اكيدر جماعته واعتزل الحرب مع خالد ولكن لم ينج منه وقد امر به فضربت عنقه ثم جعل
خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض. وكان النصاري الذي امدوا اهل دومة من العرب بحيطان
بحصن دومة وبالاخير تغلب عليهم المسممون وتحصن اهل دومة في الحصن فلم يحصنهم حتى قتلهم
خالد وسد بهم باب الحصن واقام خالد بدومة ثم رجع الى الحيرة وكان منها قريباً حيث يصحبها
ونظراً لما تقدم علم ان تاريخ دومة الجندل او قصر الاخير كان بعد الاسلام وبعد ارباب
اكيدر وعدم دفعه الصدقة اي الزكاة وحيثه الى الحيرة في عهد ابي بكر الصديق. وبهذه الرواية
التاريخية الموثقة بقول ثقة المؤرخين يبطل قول المرحوم الألوسي في ان قصر الاخير
شيده (الأكيدر) قبل الاسلام. وكذلك رأي المستشرق (ماسينيون) الذي بسطناه آنفاً
والمتضمن ان هذا القصر قد شيد من قبل معمار ايراني قبل العهد الاسلامي في العراق لاجل احد
ملوك الحيرة من اللخمين اصبح مفنداً ولا قيمة له ازاء هذه الحقيقة الناصعة

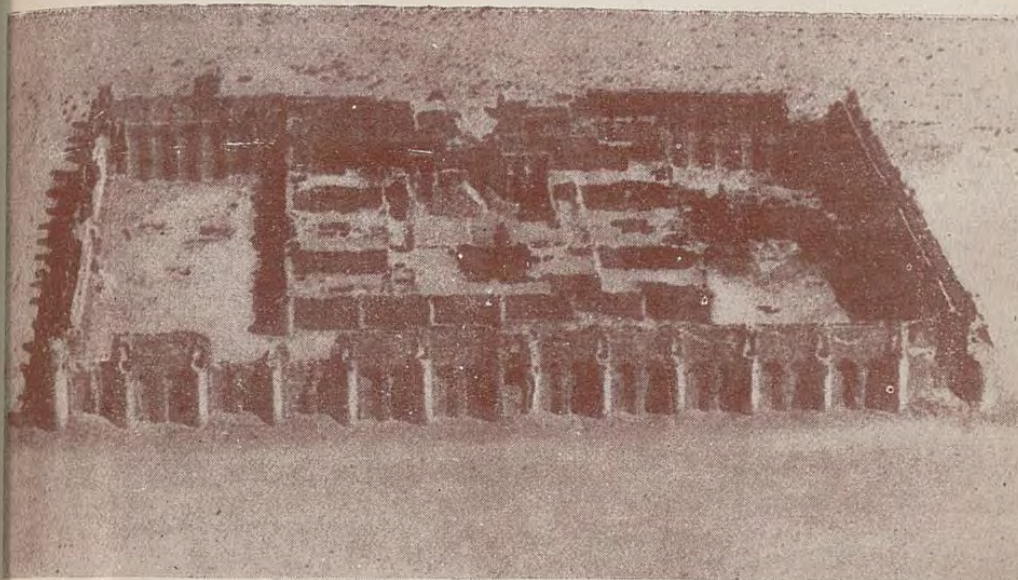
اما قول ماسينيون (او ربما كان قصر السدير الذي تغنى به الشعراء هو الاخير نفسه)
فلا صحة له ايضاً حيث ان قصر السدير هو الخورنق ومحل هذا القصر قرب ابي صخير اليوم
ولم تزل اطلاله عبرة المعبرين ويوجد ايضاً قصر (السديري) في منطقة الحيات بين العراق ومجد
يعود الى عبد العزيز السديري احد عمال الحكومة السعودية والقصر الآن خرب. واما السدير
الذي تغنى به الشعراء فلم يكن قصراً بل احد امار الكوفة ومثله بارق وهو الذي عناه المتنبي بقوله



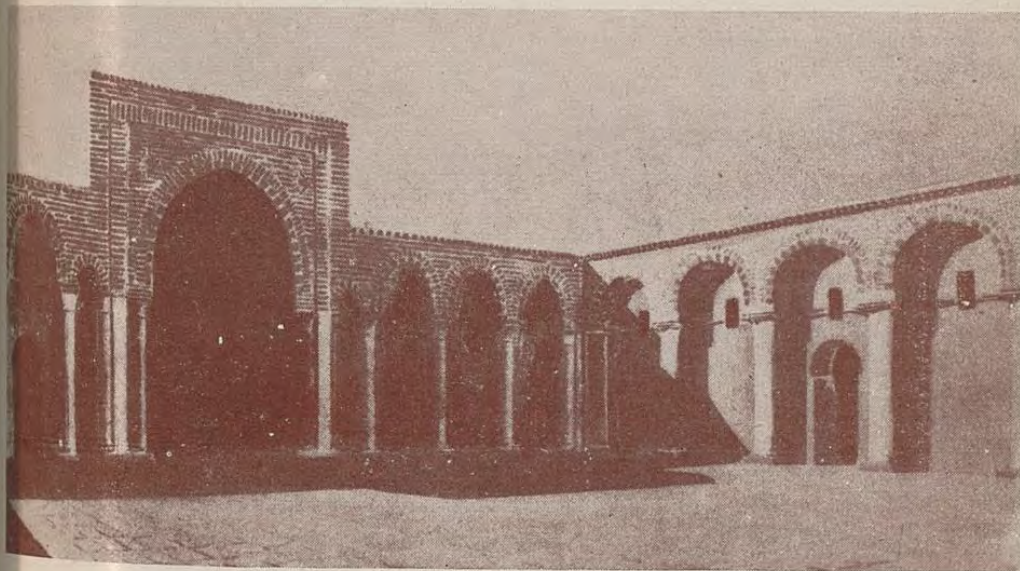
منظر تصوري لجهة الحصن الخارجية (عن أسكار رويتر)



رجة قصر الاخضر (منظر تصوري للقدم الشمالي)



منظر جويّ للقصر والحصن مأخوذ من الجنوب



رجبة قصر الاخضر (منظر تصوري للقسم الجنوبي)
[نقلت جميع هذه الصور عن نشرة دار الآثار العربية بالعراق]



تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق
وبهذا دحضنا قول كل من المستشرق (ديولافوا) مؤيد (ماسنيون) والمستشرق (المس بل)
فما يتعلق بقولها : في ان الاخير هو دومة الحيرة المؤسسة في العهد الاموي في حيرة المناذرة .
وعلى هذا سقط ايضاً ما فكر به المستشرق الشهير هرسفيلد الالماني من ان قصر الاخير من جملة
اعمال الحكومة العباسية التي قامت بها في القرن الثالث والرابع من الهجرة لوجود الشبه بين ريادة
بناء قصور سامراء والاخير . وبالوقت نفسه دفعنا شبهة المستشرق (كره سويل) التي دفعته الى
القول بان الاخير قد شيد في عهد عيسى بن موسى بن اخي السفاح والمنصور الذي كان والياً
على الكوفة مع ان عيسى بن موسى لم يكن ابن اخي السفاح واما هو عيسى بن موسى الذي حكم الكوفة
وطرد عماله في عهد الخليفة المعتمد على الله وهو ابن أخت عبدان صاحب دعوة القرامطة بسواد
الكوفة وهو الذي رأس طائفة القرامطة التي نجم قرنهما في بلد عين التمر (شفائه) بلد ابني العتاهية
الشاعر الزاهد المشهور والقائل

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

أما المستشرق موزيل فقد أخطأ خطأ كبيراً في ما قام به من التحقيق عن تاريخ الاخير
وكذا ان تقع في ما وقع فيه الاستاذ موزيل وكادت رواية المؤرخ العربي المسعودي
مجهلاً في ضلال مبين كما أضلت موزيل من قبلنا ورواية المسعودي كما رواها في كتابه (التنبيه
والأشراف) صفحة ٣٣٠ و ٣٣١ هي : —

ان القرمطي سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين قد سار سنة ٣١٣ الى
الكوفة وبعد ان عمل بها ما عمل بالبصرة من سفك الدماء والتخريب قفل الى الاحساء بالذرية
والثقة وسلم البلد الى اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخير صاحب اليمامة بن ابراهيم بن موسى
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب النخ

ثم ان المسعودي أيد في صفحة ٤٣٠ و ٥١٣ من كتابه مروج الذهب قيام « عقبة »
المعروف ببني الاخير مقام محمد بن يوسف في اليمامة والبحرين بعد هروب محمد بن يوسف أخي
اسماعيل بن يوسف المار الذكر من مكة المكرمة من وجه ابن الساج الأشروسي الذي بعثه الخليفة
المعز لأجل خلاص مكة من شره وشر أخيه اسماعيل الذي توفي قبله

وقد عزز هذه الرواية الأخيرة ايضاً الكامل لابن الاثير في صفحة ٥٣ من الجزء السابع
وكذلك تاريخ الطبري من قبله في صفحة ١٣٦ و ١٥٢ من الجزء الحادي عشر الا أنها لم
بؤيدا المسعودي في ما ذكره عن تسليم بلد الكوفة الى اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخير
ولم يتفقا معه في تسميته (بالاخير) بل لقباه (بالطالي) فقط . وبنتيجة استقصاء البحث ظهر

ان الحق كان بجانب الطبري وابن الأثير بتأييد المسعودي نفسه فقد ذكر في كتابيه (مروج الذهب) و (التنبيه والاشراف) ان وفاة اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخير كانت في سنة ٢٥٢ هـ في حين ذكر ان في سنة ٣١٣ هـ سلم أبو طاهر سليمان القرمطي بلد الكوفة الى المومأ اليه . مع ان اسماعيل بن يوسف توفي في مكة المكرمة بعد أن فعل فيها الافاعيل المنكرة وخلفه بعده اخوه محمد بن يوسف والذي هرب من وجه ابن الساج الاشروسي قائد الخليفة المعتز . فأى الروايتين أصح يا ترى . واعتماداً على هذه الرواية قطع المستشرق «موزيل» في ان كلمة الاخير اسم شخص معروف في التاريخ . وهو اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخير حاكم اليمامة على الكوفة من قبل القرامطة (في اوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي) فقال ان الاخير يجب ان يكون دار الهجرة التي أسست من قبل الحاكم المشار اليه

وقد مرّ بالقارئ الكريم كيف أثبت التاريخ فساد هذا الرأي وبطلانه وهناك برهان آخر على سقمه وهو ان دار الهجرة التي أسسها القرامطة ، لم تكن هي الاخير ولا في الكوفة او الحيرة وانما كانت في واسط على نهر «الموققي» وذلك كما جاء في الجزء الثامن صفحة ٥٨ من كامل ابن الاثير . حيث ذكر ان من حوادث سنة ٣١٦ هـ . بناء دار الهجرة من قبل أحد زعماء القرامطة يدعى حريث بن مسعود وكان يتقلد الحرب في واسط والتحق به أكثر من عشرة آلاف من سواد الكوفة من الذين كانوا يخفون اعتقادهم مع طائفة أخرى تسكن عين التمر كانت تحت أمرة عيس بن موس الذي استولى على الكوفة وهزم عماله في عهد الخليفة المقدر بالله وهو ابن أخت عبدان صاحب دعوة القرامطة بسواد الكوفة وكان بناء دار الهجرة في (الموققي) — بالضم ثم الفتح — منسوب الى الموفق ابن أحمد الناصر لدين الله بن المتوكل على الله وأخي المعتد على الله ووالد المعتض بالله وكان قد ولي عهد أخيه . والموفق من كبير حفرة الموفق وفي أعلاه (قصر بزوفر) وفي أسفله قصبة خسرو سابور قرب واسط وخسرو فيروز . كما جاء في معجم ياقوت صفحة ١٩٨ من المجلد الثامن

فأين هذا مما ذهب اليه المستشرق الاستاذ «موزيل»

هذا ولا يعزب عن بال الإلباء ان حركات القرامطة في العراق وسورية والحجاز ومصر كانت عبارة عن اعمال عصابات وقطاع طريق لم يتسع لهم الوقت او تستقر لهم حالة ليقوموا بعمل جبار مثل تشييد (دومة الجندل) او الاخير تلك المباني والاثار الخالدة . خاصة وقد استولت مادتهم وذبحوا عن بكرة أبيهم في العراق بعد سنة ٣١٧ هـ كما يخبرنا التاريخ . ومما يؤيد أيضاً زيف رأي موزيل ومن ينذهب مذهبه ما نقله صاحب المعجم عن بعض الرواة الى ان التحكيم بين علي ومعاوية كان بدومة الجندل وبذلك يقول الأعور الشني

رضينا بحكم الله في كل موطن وعمرو وعبد الله مختلفان
وليس بهادي امة من ضلالة بدومة شيخا فتنة عَمِيان

اما المسجد والحراب فقد احدثا بعد فتح دومة الجندل اي الاخير من قبل خالد بن الوليد وقيام عويم بن الكاهل الاسلمي والياً على عين التمر وعليها بعد مسير خالد الى الحيرة والدليل ان الحراب لا يتناسب وضخامة القصر وحصنه . اما ما جاء في آخر صفحة (٣٦) من نشرة دار الآثار وهو (فليس من المعقول والحالة هذه الاقدام على استدلال تاريخ الاخير من اسمه فغير وجه لان الآثار قد تسمى باسماء مشييدها كما سمي قصر الجعفري نسبة الى جعفر المتوكل على الله و (الماحوزة) التي شيد فيها الجعفري وغيره من قصور المتوكل (بالمتوكلية) او (الجعفرية) وكما يطلق البغداديون اليوم على جامع مزجان كلمة (مرجان) فقط وعلى قضاء الهاشمية التابعة الى لواء الحلة (الهاشمية) نسبة الى الهاشمي عبد الله السفاح و (اشناس) اي قصر اشناس قائد المعتصم المشهور وهكذا (المستنصرية) الى المستنصر بالله (والنظامية) الى النظام . واشباه ذلك مما لا يدخل تحت حصر على اتانوافق دار الآثار على ما اورده من الملاحظات الاخرى في اعلى الصفحة المذكورة وبسطاً بعضها في ما تقدم من البحث ولكننا لا نتفق معها في اتخاذها العقل حجة لاستدلالها على نفي نسبة (الاخير) المحرفة عن (الاكيدر) الى الملك اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحى بن اعيان الحارث بن معاوية بن خلاوة بن ابامة بن سامة بن شكامة بن شبيب بن السكون بن اشمر بن ثور بن غفر وهو كندة السكوني الكندي كما قدمنا وان كان اعمادها على حجة العقل تؤيد ما ذهبنا اليه لان العقل يصدق هذه النسبة ويبررها مع ان العقل لا يركن اليه في دراسة الآثار . لهذا كان على دار الآثار ان تصل الى معرفة (دومة الجندل) ومشيدها (اكيدر) من طريق البحث التاريخي والأثرى بتسجيل استغرابها في صفحة (٣٣) بقولها (من الغريب ان تاريخ هذا القصر والحصن غير معلوم بالضبط الخ) ثم تعلل ذلك بحجة انه لا يوجد في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة اشارات صريحة تدل عليه واخيراً تردف قولها هذا بالجملة الآتية :

(ولهذا نستطيع ان نقول ان كل ما يعرف عن تاريخ الاخير لا يتعدى في الحالة الحاضرة حدود التخمينات والفرضيات » ولكن نقول لمن نشر نشرة (الاخير) لو اجهدت نفسك قليلاً في البحث والاستقصاء في الكتب الصفراء كما ينعتها المجددون لوجدت ضالتك في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة كما نوهنا عنها آنفاً ولعلمت ان قصر الاخير هو (دومة الجندل) وان مشيده هو (اكيدر) وان عصر تشييده هو العصر الاول من تاريخ الاسلام وفي عهد الخليفة الاول من الخلفاء الراشدين وليس هناك اية شبهة او تضليل . بيد ان الضلال هو تقليدنا واتباعنا كل ما يقول المستشرقون كوحى منزل بلا تمحيص وروية وآسفاً

أرض شكسير

زار الشاعر قرية استرادفورد اون أفون بإنجلترا . وهي المهـد
الاول لأحلام شكسير . وأرض طفولته . فقال هذه الأبيات

خفق القلبُ حَفَقَةً في حَمَاكِ وتلقَى الخيالَ من دُنْيَاكِ
قسماً بالذي بَرَاكِ من الشَّعْر وبثَّ الجمالَ فوق ثَرَاكِ
ما عرفتَ الجمالَ في غير نادِيكِ ولا ذِقْتَهُ بغير رَبَاكِ

* * *

ها هنا شاعرٌ أقامَ وَغْنَى صبَّ في مزهر الطبيعة لُحْنَا
كلما شدَّ عُدُوْدَهُ وتغنَّى مَلَأَ الكونَ والعوالمَ فَنَّا
وصفَ النفسَ وهو أفصحَ لفظاً والأحاسيسَ وهو أصدقَ معنى

* * *

بقعة أنتِ من بقاع الجمالِ مسرحَ الشعرِ والهوى والخيالِ
رقَّ فيك الأصيلُ تحت الروابي والمساءَ الحزينُ خلفَ التلالِ
والحشيشُ الذي حوَالِكَ يَهْتَزُّ إذا داعبَتْهُ رِيحُ الشمالِ

* * *

وجرى الماءُ كاللجينِ الجاري عاكساً ظلَّ هذه الأشجارِ
وسمِعنا السنينَ تنعمُ فيه هازئاتٍ بنعمةِ الأوتارِ
وسكرنا هنا بغيرِ شرابٍ وانتشينا هنا بغيرِ عقارٍ !

* * *

ثم قالوا : هنا تنفَّسَ شاعرٌ وهنا رَفَّ في الحماثلِ طائرٌ
وهنا فاضَ خاطرُ عبقرِيٍّ لم يفضْ قبله من الشعرِ خاطرٌ
وهنا في ظلالِ تلك الروابي سحرتني من الجمالِ مناظرٌ

العمى يبصرون

ترقيع العمى البصري

والكهربائية في العين

لعوض جندي

« ليست العين عرضة للدواء التي تعترى اجزاءها الباطنية المختلفة فحسب ، بل قد تتأثر من أمراض غيرها من أعضاء الجسم ، فتظهر اعراض تلك الاسقام جليلة في العيون . ونعني بها الامراض التسممية ، والتسمم ببعض العقاقير ، وكذلك الاصابة ببعض امراض الدم وغيرها من الامراض العامة كالبول الزلالي والبول السكري وتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم ، اذ تتيسر أعراض تلك العلل جميعها لتقرئ العين^(١) وذلك حينما يلجأ اليه المريض مستشفياً عينيه . ويشفي كل سنة في انكلترا وغيرها من البلدان المتحضرة ألوف من العميان اذ يستعيدون حاسة البصر عقب العمليات الجراحية البديعة التي يعملها لهم الجراحون الرمديون . وغدت ازالة السحابة «الكتراكوتا» — أو اظلام عدسة العين — على أيدي مهرة الجراحين ، من اعظم ضروب الظفر التي احرزتها الجراحة الحديثة وقد استطاع أحدهم من عهد قريب نزع قرنية^(٢) امرئ وترقيع عين آخر بها . وأضحى من المسور اجتتاب كثير من حوادث العمى وذلك بالتحاذ الحيطه الواجبة منذ الطفولة »

هذا بعض ما روته مجلة طبيب العائلة الانكليزية منذ بضع سنين وعقبت عليه بقولها ايضاً : — أصيبت بالعمى من سنوات الانسة «دافني» ده موريه الروائية الانكليزية المشهورة وذلك عقب حادثه استهدفت فيها قرنتا عينيهما للضرر ، فقام احد اطباء العيون بترقيع عينيهما بقرنيتين جديدتين فاستعادت بصرها . وجاء في الانباء البرقية من لندن في ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ما يأتي : —

عملت في اوائل الشهر الماضي عمليتان مدهشتان في مستشفى لندن الرمدي المركزي ، وهما تطعيم قرنية العين . وقد أسفرتا عن نجاح باهر . وكان أحد اللذين أجريت لهما هذه العملية كفيفاً منذ ولادته والآخر منذ ٢٨ سنة . ويؤمل ان يعاد اليهما بصرهما قريباً . ففي حالة الذي ولد أعمى منهما ، لا بد ان يمضي بعض الوقت حتى يتسنى تدريبه على أن يحل حاسة النظر محل

(١) النقرس الطيب الماهر المدقق (٢) القرنية — السواد الذي في وسط البياض

حاسة الادراك باللمس ، غير انه صار الآن قادراً أن يعدَّ أصابعه ويميز بين الالوان
قرأنا هذه الانباء ثم نشرت صحفنا المحلية من عهد قريب حوادث تضارعها غرابة فتذكرنا
ما كتبناه في هذا الموضوع الخطير من ربع قرن وذلك في مجلة المحيط التي صدرت في شهر مارس
سنة ١٩١٣ لصاحبها المرحوم الاستاذ عوض واصف فأرنا اقتباسه لقراءنا تمهيداً لهذا البحث
الطبي الجراحي المستفيض : —

من معجزات العمليات الجراحية الحديثة غير ما سبق أن ذكرناه في الاجزاء الماضية من
المحيط — عملية تطعيم العيون اي رقيعها — فقد قرأنا في احدى المجلات العلمية الانكليزية أن
بعض الجراحين أمكنه صيانة بصر مريض كان مصاباً بعلّة في احدى عينيه وذلك باستئصال
الجزء المصاب واستبداله بجزء سليم من عين انسان آخر

وأول ما يخطر على بال القارئ عند قراءة هذا النبأ أن العملية المشار اليها تقتضي تضحية
عين من عيون الاصحاء والحقيقة نقيض ذلك لانه لو كان اتلاف السليم ضرورياً لنجاح هذه
العملية ، لاصبحت عقيمة . والواقع انه من الميسور استعمال عيون ، مما تنزع من الناس لاسباب
مختلفة ، بشرط ان يكون الجزء الخاص المطلوب لأجل اجراء الترقيع خالياً من المرض . وهذا
العمل لا يستوجب التضحية بعيون الأصحاء . والدليل على ذلك انه قد اجريت حديثاً عملية على
أيدي جراح فرنسي لشاب كان فاقداً تقريباً حاسة البصر من احدى عينيه من احتراقها بحجر سخن ،
ونشأ عن ذلك الاحتراق كون قرنية عين الشاب « وهي الجزء الشفاف من غطاء المقلة الذي
يعلو القرنية والبؤبؤ » أصيب اصابة بليغة كوّنت غشاءً منع الضوء منعاً كلياً من الوصول الى
شبكة العين . ولذلك ثقب الجراح هذا الغشاء وادخل في الثقب قطعة من قرنية أخذت من عين
مريض آخر كان مصاباً بداء الغلوكوما ^(١) . وبعد مضي ثمانية ايام التحمت الأغشية وتمت عملية
الترقيع ، وبعد مضي شهر واحد رفعت العصائب عن العين المرقعة وتمكن المصاب من الابصار
قليلاً ، وفي خلال سبعة أشهر تحسن بصره تدريجاً حتى صار معادلاً لعشر قوة العين الطبيعية
أي انها غدت منطبقاً عليها المثل السائر — نصف العمى ولا العمى كله

وهذه العملية غريبة في حد ذاتها لأن قرنية العين من الأغشية الرقيقة التي تفقد شفافها بعد
موت الإنسان غير انه يمكن حفظها شفاقة باستخراجها توتاً ووضعها في محاليل معينة تكون درجة
حرارتها معادلة لحرارة البشرية فيتيسر حفظها « حية » عدة ايام كما يتضح من الحادثة الآتية
وهي التي رواها جريدة «فرنسيسكو كول» التي تصدر بمدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة
الأميركية وتعدُّ من اغرب ما حدث في تاريخ الطب وهي : —

« ان رجلاً كفيفاً من أهالي دنفر بالولايات المتحدة اسمه أبرام طلب الى ولاية الأمور هناك أن يمنحوه عيني قاتل سجين في تلك المدينة رهين الحكم عليه باعدام حياته وقد ألحق الأعمى عريضته التي اشرنا اليها بتقرير من أحد اطباء المدينة عينها قال فيه الطيب إنه فحص عيني أبرام وإنه يرى اجراء العملية المطلوبة وأن نجاحها ممكن »

وعقب الجريدة المذكورة آنفاً على ذلك النبأ بقولها « واذا اجابت الحكومة طلب أبرام حضر الطيب المذكور مصحوباً بالجراحين اللازمين ، عند اعدام حياة المجرم ليتمكنوا من اخراج عينه عقب موته في الحال ، قبل نقل الجثة من غرفة الأعدام . وبعد اخراج العينين يضعونهما في محلول ملحي ثم يهرعون من فورهم الى المستشفى القريب من السجن حيث يرقعون قرنيتي الكفيف فيبصر . فان تحققت هذه الآمال ، كان هذا العمل خطوة في سبيل ارتقاء الطب والجراحة ومقبلاً للعاهات البصرية » . ثم ما نشرته في مجلة المحيط

ثم جاء في جريدة الأهرام المؤرخة في ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٨ ما يأتي : —

الأحياء يبصرون بعيون الموتى — مدير مستشفى الرمد بروض الفرج يحدثنا عن دقائق عملية استبدال القرنية المعتمة بقرنية شفافة . اجراء العملية في مصر في اثناء اجتماع المؤتمر الدولي للرمد نشرنا منذ أيام رسالة لمراسل الأهرام في نيويورك تحدث فيها على العملية العجيبة التي أجريت لقسيس ولقي من طلاب فن الموسيقى فارتد إليهما بصرها وافتتحت عيناها — وذلك في الاسبوع الماضي — على عالم لم ينظراه منذ أعوام كثيرة وهذه العملية هي استبدال القرنية المعتمة بقرنية شفافة رد الأعمى بصيراً . ولما كان المعروف عن مصر أنها « بلاد العميان » لكثرة العمي . وأمراض العيون فيها ، فقد رأينا ان نحاول الوقوف على أصل هذه العملية وتقاصيلها ومقدار علم الطب الرمدي في مصر بها . ولهذا قصد مندوب الأهرام الى مستشفى الرمد بروض الفرج بصفة كونه أكبر مستشفى للرمد في مصر وطلب الى حضرة الدكتور محمد بكري مديره ، الادلاء ببعض البيانات على هذه العملية فتفضل حضرته بالمعلومات القيمة التالية ، قال : —

﴿ تاريخ العملية ﴾ ترجع فكرة مكافحة العمي باستبدال القرنية المعتمة بأخرى شفافة الى سنة ١٨٨٨ إذ بدأ بعض العلماء في التفكير فيها . ومنذ عشرين سنة تقريباً اتخذت المسألة — راجع ما قلناه في مقالنا الذي نشرناه منذ خمس وعشرين سنة في مجلة المحيط وأعدنا نشره في صدر هذا البحث — شكلاً جديداً ومجحت بعض العمليات . وفي مقدمة الأطباء الذين توفروا على دراسة هذه العملية ثلاثة وهم : تودور تومس « وهو انكليزي و « الشنج » وهو الماني و « كاسترو نيشو » وهو أميركي وهو من الأطباء المعاصرين الذين نجحوا في تجاربهم ولا يزالون بالولن الدرس والبحث للتقدم في هذه العملية

﴿الصعوبات التي تعترض العملية﴾ والعملية مع خطورتها ودقتها ليست صعبة ولكن الصعوبة الجدية هي في إيجاد الحالات التي تستوفي شروط العملية إذ هي نادرة جداً إذ يشترط أن تكون عتامة القرنية تامة وغير لاصقة بالقزحية . وهذا نادر جداً وعلى الاخص في مصر لأن الأغلبية العظمى في العتامات التي تصيب العين عندنا تكون نتيجة قرح لا تكاد تحتل نصف القرنية حتى تكون قد دمّرت طبقاتها وأحدثت ثقباً فالتصاقاً بالقزحية . ولا زال التجارب مستمرة للتغلب على عقبة الالتصاق حتى يتمكن اكبر عدد ممكن من ضحايا السحابات التامة ، من الانتقاع بهذه العملية التي تردّ إليهم البصر بعد فقدده . اما السحابات غير التامة وهي المركزية فيمكن أن يصبر المريض بها بعملية «الني الصناعي» وهي عملية معروفة وسهلة ويقوم بها كثير من الأطباء — وهذه العملية (ترقيق القرنية) معروفة تماماً لكثير من الاطباء الرمدين في مصر . وتوجد في مصر أحدث الآلات المستعملة لها ، وهي في مستشفى الرمد بروض الفرج . بل ان هذه العملية قد اجريت في مصر في اثناء انعقاد مؤتمر الرمد الدولي الحديث ، اذ قام بها استاذ بلغاري في مستشفى قلاوون أمام بعض اعضاء المؤتمر يوم زيارتهم للمستشفى . وكان الطبيب يحمل الآلات اللازمة للعملية ، وكانت المريضة سيدة . وكان بصرها بعد العملية وعقب خروجها من المستشفى جزئياً . وكان المفروض أن تتردد على المستشفى لملاحظة (التطور) في نظرها ، ولكنها انقطعت فجأة . وحاولت ادارة المستشفى البحث عنها فلم تعثر عليها حتى الآن . وهناك تجارب جديدة تجري الآن في بعض الحيوانات ونحن نترقب العثور على مريض تتوافر فيه الشروط المطلوبة لاجراء هذه العملية له ونحوها : — استبدال قرص مربع من العتامة بقرص مربع شفاف من قرنية شفافة من ميت ، على أن يجري هذا الاستبدال بعد فترة قصيرة من الوفاة . اي حوالي نصف ساعة . وقد كانت العملية في بدء أمرها تجري بالاستبدال من حيوان الى انسان ثم تطورت من انسان الى انسان آخر ثم ميت حديثاً الى الحي — ثم ماروته الأهرام وسنزيد هذا البحث وضوحاً في فرصة أخرى

﴿الكهربائية البشرية في العين وسائر أعضاء العيون﴾ كهربائية العين — «وهي مصدر قول الشعراء سحر العيون» — جاء في صدها في أحدث الانباء من اميركا ما يأتي : —
يعتقد ولتر ميلز Walter R. Miles الأستاذ في جامعة Yale يایل أن العين البشرية بطارية كهربائية مقدّمها مشحون بكهربائية ايجابية ، ومؤخرها ، حيث توجد الشبكية ، مشحون بكهربائية سلبية . وأن الفرق بين طاقتي تينك الكهربائيتين ، يمكن اكتشافه وقياسه بلصق قطع رقيقة من الاوراق المعدنية على الجلد العلوي والسفلي للعين ثم وصل الأسلاك الكهربائية

فولتمتر voltmeter اي مقياس الكهرباء القلطائية وذلك بعد تقوية التيار في دائرة كهربائية في باطن صمام مفرغ من الهواء

ومتى تتحرك العين ، تحيى المجالات المشحونة بالشحنات الكهربائية المختلفة ، تحت القطبين الكهربائين اللذين يوصلان بالعين فتجلى ذبذبات التيار الكهربائي بنفسها على ميناء المقياس ومقدار الضوء الذي يسقط على العين ، عند قياس كهربائيتها ، يحدث فرقاً طفيفاً في النتيجة . وقد تختلف العين الواحدة عن اخيها اختلافاً ينياً كاختلاف الوري بعضهم عن بعض . أما العاهات الصرية الصغرى فتحدث اختلافاً ضعيفاً

أما كون الحدقة نفسها ، لا العضلة المحدقة بها ، هي مصدر التيار الكهربائي ، فقد ثبت ثبوتاً قطعاً وذلك عند اعادة التجارب في الأشخاص العور . فاذا ما زالت الحدقة ، لا يتولد التيار الكهربائي ، بغض النظر عن محجر العين ، سواء أشاغراً كان أم مشغولاً بعين زجاجية والدماع مصدر لتلك القوة الكهربائية ، وفروعه التي تعد بالالوف المؤلفة ، أي الاعصاب الدقيقة ، وهي بمنزلة اسلاك كهربائية معزولة ، تحمل التيارات من الدماغ الى اعضاء الجسد قاطبة « يدان تلك الاسلاك الدقيقة يختلف فعل بعضها عن بعض ، فمنها طائفة تسمى الاعصاب المحركة لأنها تنقل النبضات الى العضلات ، وزمرة اخرى تنقل الاحساس بالألم من الجلد الى الدماغ وفي الجسم جماعة من الاعصاب تنقل نبضات الضوء ، واخرى تنقل النبضات التي تتولد من موجات الهواء حول الاذان وهي ما يترجمه المخ ، بالصوت . ومن الاعصاب فرقة تنقل النبضات من اللسان ، ويسمى ذلك الفعل بالذوق . بل ان خلايا الاعصاب تحمل تيارات كهربائية . وقد تبين حديثاً ان كل خلية حية ، بطارية تخزين . وأن في وسع العلماء إحصاء طاقات هاتيك الخلايا وذلك بمقاييس «عدادات» كما تقدم القول اذن ثبت لنا ان للكهربائية شأنًا جليلاً في التقلبات الكيميائية التي تطرأ على النسيج الجسمية

ولكهربائية الحياة مظهر آخر يتبين في ضرب من السمك ولاسيما في الرعّاد البرازيلي وفي طوائف سمك القرموط والشلبة والبياض الافريقية التي تصيد فريساتها بصقها برعدها الكهربائية وفي تلك الأنواع الواح عظيمة كهربائية تسكن شحنات ذات قوة تمغنط الابر وتحلل المركبات الكيميائية وتقذف الشرر — ومبعث تلك الظواهر جميعها محرك عصبي يمتد من مخ السمكة الى سائر بدنها . وقد تكفي طاقة التيار الكهربائي الذي يصدر من الوردنك الذي يتفاوت طوله من قدمين الى ثلاث اقدام ، لو هن عزيمة رجل صنيدي

وقد فصلنا ذلك كله في مقالنا على «العلم وحياء الموتى» في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٥ وفي مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٦ وفي مقال «الكهربائية البشرية» في ديسمبر سنة ١٩٣٦

التصوير الفني

في القرآن الكريم

لسير قطب

منذ نيف وثلاثة عشر قرناً، تمّ القرآن، وأصبح المرجع الأول للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم. وفي خلال هذه الفترة الطويلة درس القرآن دراسة لا بأس بها من نواحي التشريع، واللغة، والتاريخ. ولكنه لم يدرس من الناحية الفنية دراسة حقيقية

نعم تناول بعض الباحثين في البلاغة، وفي أولهم عبد القاهر والزخشري، الأول في «عجاز القرآن» والثاني في تفسيره «الكشاف». ولكن الدراسة الفنية الكاملة، التي تتناول هذا الكتاب الكريم كسجل لأبلغ أسلوب عربي، وتكشف عما حوى من الجمال التصويري، وتشرح خصائصه الفنية، ولوازم أسلوبه، وحيوية تعبيره، وروحانية اتجاهه، هذه الدراسة الواجبة، لم توجد حتى اليوم، ومن الواجب أن توجد في القريب. والذي يلوح غريباً في هذا، أن الناحية المهمة، هي الناحية التي نزل القرآن من أجلها، فيزة القرآن الأولى هي إعجازه الفني وعلى هذا الأساس واجه العرب، وبهذه القوة كانت فتوحه في الصحراء. ولكن لا غرابة في الحقيقة. فالبحوث الفنية ترف عقلي ونفسي لا يكون في طفولة الأمم، ولا في أوائل فنونها. بل يجيء بعد أن تستكمل ضرورياتها، وتستكفي من حاجاتها وتشبع بنيتها، ثم تأخذ في الترف، وقد فرغت من مطالب الضرورة فإذا هي عنيت بالنواحي الفنية قبل ذلك، فهي عناية المتسلي، أو عناية المتذوق، أو عناية المأخوذ ولن تكون عناية الناقد الذي يحلل ويعلل ويحتاج إلى قدر لا بد منه من النضوج. لذلك عني العرب، وعني المسلمون بدراسة القرآن من وجهة التشريع أولاً، لأنه أهم عنصر من عناصر حياتهم اليومية. ثم عنوا بالنواحي اللغوية والتاريخية، وبعض النواحي الفنية، في أطوار متعاقبة من نموهم الطبيعي. ولعلنا اليوم قد صرنا إلى المرحلة التي نتناول فيها القرآن الكريم ككتاب أدبي، وننظر فيه من الوجهة الفنية الحرة، ونتملى ما فيه من جمال روحي غير مقيد بقيود الضرورة، ونحلل ما حواه من مذاهب فنية (١)

(١) وجه الاستاذ الفاضل محرم المقتطف نظري إلى أن التوراة والانجيل طبعاً في أميركا ليدرسا دراسة أدبية بحتة. والقرآن بأسلوبه العربي أولى بهذا

جرّد القرآن — مؤقتاً — من قداسه الدينية ، وجرّده من أنه كتاب تشريع ونظام حكم ، تجد فيه بعد هذا وذلك كتاباً أدبياً ، فيه فن ، وفيه جمال ، وفي كثير من أساليه سحر خاص ، وخيال خصب . وطبيعي أنك لا تنتظر هذا السحر ، وهذا الخيال في كل آية وكل سورة ، لأن فيه ما هو تشريع ونظام حكم ، وفيه ما هو تاريخ وتسجيل ، وهذا وذلك ليس مستحسن أن يكون فيهما سحر وخيال ، فأما يستمدان بلاغتهما من صفات أخرى . من الحكمة والساد في النظم ، ومن الصدق والدقة في التاريخ . وفي القرآن صور فنية كاملة تحتاج تارة إلى ريشة الصور الماهر ، تبرزها في مظهر خلّاب وتارة لقلم الروائي القدير ، يخرجها في قلب كامل وهي في كلتا الحالتين تتطلب خيالاً قوياً يتتبع صورها ويكمل اجزاءها التي حذفت بمهارة كي تدع للخيال فرصة وفسحة يعمل فيها ويستشعر اللذة والجمال وهذا التصوير الفني في القرآن أربعة أقسام :

صورية مجردة ، وقصص فني تتابع فيه الصور وتتلاحق ، ونوع بينهما هو الحواريميل إلى القصة تارة ، وإلى الصور المجردة تارة ، وتعبيرات فنية عن حالات نفسية ، أو مناظر طبيعية ... الخ

١ — صور فنية

١ — « والذين كفروا بربهم . أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ ، يحسبه الظمان ماءً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه والله سريع الحساب »
« أو كظلماتٍ في بحرٍ لحيٍّ ، يغشاه موجٌ ، من فوقه موجٌ ، من فوقه سحابٌ : ظلماتٌ بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »
هنا صورة فنية ساحرة ، فيها روح القصص ، وفيها خيال قوي ، وهي بعد في حاجة إلى ريشة مدعة لابرار الظلمات ، في بحر لحيٍّ ، « يغشاه موجٌ ، من فوقه موجٌ ، من فوقه سحابٌ »
وفيها متعة للخيال يتتبع هذا الظمان ، يسير وراء السراب ، « حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً »
ووجد مفاجأة عجيبة لاخطر على البال ، « وجد الله عنده فوفاه حسابه » . ثم يتتبع الظلمات ويتخيل الرجل الضال فيها « إذا أخرج يده لم يكد يراها »

ولست في حاجة إلى تطبيق هذا المثل على « الذين كفروا بربهم » وبيان صدق تصويره لحالتهم ، فذلك بحث ديني ، لا يعني الناقد الفني كثيراً ، فأما نريد من الدراسة الفنية أن تستقل بنفسها ، وألا تقع في الغلطة التي وقعت فيها الدراسات السالفة ، وحسبنا أن تنوء عن الجمال الفني في الصورة ذاتها ، كتعبير أدبي مستقل

٢ — « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين ، مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات »

لا يبصرون. صم بكم عمي فهم لا يرجعون. أو كصيب من السماء، فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم. كما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير»
 ها هنا صور متتابعة، في كل منها خيال، وبحال لعمل الخيال. ولا سيما تلك الصورة الفريدة: «كأضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا» بعد التمهيد لها بأنهم «يجعلون أصابهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت». ولوسجلت الصور المتحركة منظرًا كهذا، بما فيه من الحركة والتتابع، لكانت موفقة جد التوفيق، فكيف والمنظر هنا تسجله الألفاظ، فلا تنقص منه حركة واحدة، تستطيع الصور المتحركة إثباتها. لا بل تبرزها وتفضلها في أنها تدع متعة للخيال، وهو يخلق الصور ويمحوها، ويكمل الحركات ويتبعها، بينما الصور المتحركة تحرم الخيال نشاطه لأنها تبرز المناظر كاملة للعين، فلا يكون فيها من الجمال، إلا جمالها الذاتي

٣ — ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون. إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين، مقنعي رعو سهم، لا يرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواء

إنني لا أمل ترديد هذه الآية، واستحضارتلك الصورة، وهي صورة فريدة للفرع والجل والرهبة والاستسلام: «مهطعين. مقنعي رعو سهم. لا يرتد إليهم طرفهم. وأفئدتهم هواء»
 أربع صور متتابعة متواكبة، أو أربعة أجزاء في صورة واحدة، وإن فيها لغذاء للخيال الخصب، وإن فيها لمتعة فنية راقية

٤ — وتقرب من هذه في الروعة، وتزيد عليها في قسوة الفرع: «إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد»

وعلى الرغم من العنف في تصوير الهول هنا، وعلى الرغم من الجمال الذي لا شك فيه في هذا التصوير، فإن الصورة السابقة أجمل وأسحر، وأدخل في المعاني الشعرية والصور الفنية والفرق بينهما، هو الفرق بين صورة الخائف تضطرب أوصاله، وترتجف أعضاؤه، وصورة الخائف لا يترك له الفرع قدرة على اضطراب الأوصال وارتجاف الأعضاء

والفرق بينهما أن الثانية مجرد تصوير للفرع المذهل، بينما تزيد الأولى معاني الطاعة الذليلة الذاهلة «مهطعين مقنعي رعو سهم» ومعاني الرهبة الصامتة الواجبة «لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء»

٥ — ومن هذا النحو قوله في يوم الحشر: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»
 فما يوجد أخضر من هذا، ولا ادق، في بيان اشتغال القلب والفكر، بالهم الحاضر القاهر حتى لا موضع لسواه، ولا التفات لغيره في هذا الزحام

٦- ومن الصور العنيفة الصاخبة : « هذان خصمان اختصموا في ربهم . فالذين كفروا فطعت لهم ثياب من نار ، يصب من فوق رءوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ، وذوقوا عذاب الحريق » والروح الفنية تهبط في هذه عن سابقتيها معاً ، ولكنها ترتفع فتكاد توازيهما عند « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » لأن الصورة هنا تحيا وتتحرك ، فتغذي الخيال ٧- وهناك صور أقل فنيّة من هذه المثل جميعاً ، لأنها موكلة بالخيال الساذج ، وذات وجه واحد ، أو حركة واحدة ، يستجلبها الخيال في لحظة واحدة . ومثال ذلك « القارعة ما القارعة » ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش »

أو « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب . » أو « يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميمٌ حميماً . وفي هذا المثال الاخير ارتقاء عند : « ولا يسأل حميمٌ حميماً » ميت بصلة إلى « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ولكنه لا يبلغ مبلغه من الناحية الفنية وفيما عدا هذا ، : منظر واحد تعرضه كل آية ، لا يحوج الخيال إلى أكثر من لحظة واحدة وهذا هو الفارق بين المثل الأخير والأمثلة الأولى المركبة المتحركة

٢ - قصص في

في القرآن قصص كثيرة ، وهو تارة قصص تاريخي ، وتارة قصص تمثيلي ، (لتمثيل حالة ولو لم تقع) وتارة يصلح لهذا ويصلح لذلك ^(١) ومن أمثلة القسم الاول : قصص ابراهيم وموسى وعيسى ونوح ، وقصص عاد وثمود ومدين . الخ ومن امثلة القسم الثاني : قصة الرجلين « جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ... الخ » في سورة الكهف ومن أمثلة القسم الثالث : قصة ابليس وآدم ، وقصة ابني آدم

على أن اكمل ما يمثل به للقصص الفني في القرآن ، هو قصة مريم ، وذلك رغم أن قصة يوسف مثلاً أطول وأكثر مناظر . ولكن الأولى أحياء وأدخل في الحكمة الروائية ، وفيها مجال أوسع لشتى الانفعالات النفسية ، وهي تحتوي مشاهد مدهشة لرواية « سينمائية » تتخللها فترات تترك للخيال الحصب مجالاً متسعاً للتصور ولتكملة الحلقات المحذوفة بمهارة عجيبة

وتبدأ القصة هكذا : « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا ، فتمثل لها بشرأ سوياً ، قالت : إني أعوذ بالرحمن

(١) يتسع هذا الموضوع لبحث مطول خاص بالتصنيف في القرآن

منك إن كنت تقيا» وهنا يتمثل الخيال تلك الفتاة العذراء ، الطيبة القلب ، وهي من أسرة صالحة ذات تقاليد، عارية أو شبه عارية ، يفجؤها رجل . . . وهذا هو المنظر الاول من القصة « قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ! قالت : أنسى يكون لي غلام ، ولم يمسي بشراً ولم أك بغياً ؟ »

ثم ليمثل الخيال مرة أخرى مقدار الفزع والحجل الذي يعتور هذه الفتاة ، وذلك الرجل الغريب يصارحها بما يחדش سمع الفتاة الخجول ، وهو أنه يريد أن يهب لها « غلاماً » . ثم تدركها شجاعة الأثني تدافع عن عرضها : « أنسى يكون لي غلام ، ولم يمسي بشراً ، ولم أك بغياً » هكذا صراحة ! وبالألفاظ المكشوفة ، فهي والرجل في خلوة ، والغرض من مباحثته لها قد صار واضحاً وما يخفف من وقعه أن يقول لها : « إنما أنا رسول ربك » فهي جديرة أن تكذب هذا القول ، الذي لا يقوم عليه دليل لديها ، وأن تعصم بالشجاعة والصراحة ، فالحياء لا يجدي في مثل هذه الاحوال ، ومن هنا كانت صراحتها في ألفاظ ردها وفي لهجتها « قال : كذلك قال ربك : هو عليّ هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمراً مقضياً ! »

ثم ماذا؟ هنا تجد في القصة فجوة فنية كبيرة ، تدع خيالك أن ينطلق ، وان يتصور عشرات الصور والأوضاع ، التي تناسب ما انعكس في نفسك من المواقف الأولى ثم تمضي قصتنا في طريقها بعد هذه الفجوة العميقة : « فحملته ، فانتبذت به مكاناً قصياً ، فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت : يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسياً منسياً . يا الله . يا للمسكينة ! »

لئن كانت في الموقف الأول تواجه الأخلاق والحصانة ، بينها وبين نفسها ، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع ، وهي الآن تواجه الألم الجسمي الحاد ، ثملة في دقة « فأجاءها المخاض » بجانب ما تتوقعه من الفضيحة ، وبجانب هذا كله حيرة العذراء في أول مخاض وهي وحيدة جاهلة بكل ما يتعلق بهذه الناحية من تحضير وتدير

كل أولئك يجتمع على فتاة ، لم تك بغياً ، كما قالت هي بحق . فأى هول ، وأي ألم ، وأي عذاب ، يتمثل في قواها : « يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسياً منسياً »

« فناداها من تحتها ألا تحزني ، قد جعل ربك تحتك سريباً ، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلي واشربي وقرّي عيناً ، فإمّا ترين من البشر أحداً ، فقولي : اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً »

وسواء كان « عيسى » هو الذي ناداها ، أو كان الروح الامين ، أو كان ذلك هاجساً

عجس في ضميرها ، فحسبته طيفاً مسموعاً ... (وهو ما يقع كثيراً للانسان في مثل هذه الحالات التي ينفل فيها العقل الواعي ، فيتنبه العقل الباطن ويتصرف) . سواء كان هذا أو ذاك أو ذلك لقد هدأ من روعها ، وطمان قليلاً من رجفتها ، وأعادها الى التفكير العملي في مواجهة الموقف وهذا التحليل لم تذكره القصة ، لأنها تركت للخيال تكملة المقال

ثم تحس بنجوة صغيرة بين هذا الحديث ، وبين ذهابها الى القرية ، فلا تدري كم مرّاً من الزمان ، ولا كم تتابع من الافكار . وبعدها

« فأنت به قومها حملة ! قالوا : يا مريم ، لقد جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هرون ! ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغياً »

وهنا يعود للقصة عنفها ، وللموقف رهبتها . فها هي ذي تواجه قومها بطفل . وهام اولاء لا يقتصدون في تعنيفها ، والتهكم بها ، وتذكيرها بخروجها على تقاليد أسرتها « يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغياً »
فيها لها من مسكينة !

« فأشارت إليه ! قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً ؟
ولعل التهمك الذي بدا في حركاتهم ونظراتهم ، حين أشارت إليه أضاعف ما حملته ألفاظهم واستنكارهم « كيف نكلم من كان في المهد صبياً ؟ »

وإن المسكينة لتحتمل الموقف ، وتواجه التهم ، وإنك لتامسها من وراء سطور القصة ، تردد مرة ومرة : « يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسياً منسياً »
وما أنقذها من هذا الهول ، إلا أن :

« قال : إني عبد الله ، آتاني الكتاب ، وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبرّاً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقيماً ، والسلام عليّ يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حياً »

وهنا يسدل الستار على ذلك الموقف الرهيب العجيب ، والأفئدة ترجف في الصدور ، والأعين تدمع للتصاير ، والأيدي تدوي بالتصفيق

وفي هذا الوقت تسمع في لهجة التقرير ، في أنسب فرصة للاقتناع والاقتناع :
« ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله ان يتخذ من ولد ، سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون »

إنها قصة فنية ، ذات مناظر مشوقة ، وفيها متعة للذهن والخيال ، ومجال للتحليل النفسي ، والنظرات الفلسفية

سر البقعة الحمراء

على سطح المشتري

حرارة الشمس آخذة في الارتفاع



المشتري اكبر السيارات التابعة للنظام الشمسي . سماه العرب بهذا الاسم لانه اشترى الحسن لنفسه كما قالوا . ويسمى الغربيون هذا السيار باسم « جوبيتر » وهو اسم كبير آلهة الرومان يقابله زفيس عند اليونان قبلهم ومردوخ عند البابليين والاشوريين . ولعلهم سمّوه بهذا الاسم تشبيهاً له بكبير آلهتهم او لأنهم حسبوه أليق الاما كن بسكنى كبير آلهتهم فسمّوه باسمه . وليس همّنا في هذا المقال ان نصف المشتري من حيث هو كوكب سيار وصفاً عاماً ، واما همّنا ان ننظر نظرة خاصة في البقعة الحمراء التي تعلو سطحه والرأي الحديث في تفسير سرّها بعد ان اختلفت الآراء في ذلك

كتب العالم الفلكي موريل Morrell في مجلة « انباء لندن المصورة » مقالاً في هذا الموضوع ، قال فيه ان قوام المشتري كتلة مركزية من الصخر او المعدن قطرها ٤٤ الف ميل يحيط بها طبقة كثيفة من الجمد ثخانتها ١٦ الف ميل ثم طبقة جوية كثيرة الغيم ثخانتها ستة آلاف ميل . والبقعة الحمراء شاسعة المساحة طولها نحو ٣٠ الف ميل وعرضها نحو سبعة آلاف ميل فمساحتها تعدل مساحة قارات الارض ومحيطاتها مجتمعة . وهي في رأيي تمثل حادثاً كونياً خطيراً اصيب به المشتري في الزمن الغابر قد يكون قبل قرنين او ثلاثة قرون . وهنا يخطر لنا : اذا اصيب المشتري من قرنين او ثلاثة قرون بحادث اصطدام خطير ترك فيه هذا الأثر ، أفلا يجوز ان يقع للارض ما وقع للمشتري؟ والجواب ان ما وقع للمشتري — اذا صح هذا الرأي — يجوز ان يقع للارض . ولكن دع عنك التأمل في مصيرنا جانباً وهلمّ بنا ننظر في هذه البقعة الحمراء وسرّها

ان علماء الفلك يعلمون انه جاء وقت لم يكن فيه أثر للبقعة الحمراء على سطح المشتري . وفي ١٩ مايو سنة ١٦٦٤ رآها الفلكي هوك (وهو من معاصري نيوتن) . ومن ثمّ اكبّ العلماء على دراسها دراسة مدققة مفصلة رصداً وحساباً . فأسفرت هذه الدراسة عن ان البقعة الحمراء



صورة تخيلية تمثل اصطداماً بين المشتري ومذنب أحدث « البقعة الحمراء »
على سطح المشتري بحسب رأي الفلكي موريل . نقلاً عن مجلة « أبناء لندن المصورة »



صورة متخيَّلة لعبد الرحمن الداخل منقولة عن كتاب أسباني «تاريخ
العرب في أسبانيا» تأليف كوندية (الترجمة الانكليزية)

ليست مستقرّة في مكان ثابت على سطح المشتري وإنما تسير بسرعة متفاوتة بالقياس الى مناطق الغيوم والتيارات التي على سطح السيّار فكأنّها طافية عليه ثم لاحظوا ان منطقة من مناطق التيارات الغنية على سطح المشتري - وهي التي تعرف باسم الاضطراب الاستوائي الجنوبي South Tropical Disturbance - تمرّ كالاعصار بسرعة ١٦ ميلاً في الساعة امام البقعة الحمراء من دون ان تؤثر في قوامها ، فقالوا ان مادة البقعة يجب ان تكون متصفة بخواص عجيبية تمكنها من الاحتفاظ بقوامها

وكان الرأي قبل بضع سنين انها قارة على سطح المريخ في دور التكوين والتجمد ، فكأنّها جزيرة متجمدة طافية في منطقة نصف مصهورة . وهو تفسير بارع سهل ولكنه لم يتفق والحقائق الفلكية والرياضية المعروفة . وقد زاد سرُّ هذه البقعة غموضاً وتعقيداً في العهد الاخير منذ أخذ فريق من علماء الفلك كجينز الانكليزي وورسل الاميركي بان قوام المريخ ليس كما كان يظن كتلة حامية يحيط بها غشاء كشف تخين من الغيوم تحدث فيه اعاصير وانفجارات ، بل هو في رأيهم كما قدما من قول موريل كتلة صلبة جامدة باردة

والحسابات الرياضية القائمة على ما يعرف من حرارة سطح الطبقة الغيمية التي تحيط بالمشتري ومعدل كثافة مادّة — وهي اقرب في ثقلها النوعي الى الجمد منها الى الحديد او البازلت — حملت العلماء على القول بانّ داخل المشتري كتلة صلبة من مواد كثيفة وانه يحيط بها غلاف ثخانتة ١٦ الف ميل من الجمد ice ويحيط بهذا الغلاف جو مثقل بالغيوم ثخانتة ستة الآف ميل . ومن الطبيعي ان تكون الطبقات السفلى في جوّ هذه ثخانتة شديدة الكثافة لشدة الضغط الواقع عليها . فاذا اجتمع الضغط الشديد والبرد الشديد سالت بعض الغازات كالأيدروجين وبقي بعضها غازياً فتكون نتيجة ذلك ان تجد مقادير من العناصر السائلة طافية على العناصر الغازية . وهذا يفسر الاضطراب الدائم المشاهد في المشتري حتى لقد وصفه بعضهم بقوله انه دائماً في حالة مخاض هذا الرأي الجديد يفسر ما يصاب به المشتري من الاعاصير الشديدة ثور وتتحرك ثم تزول ويلتوها غيرها . الا ان البقعة الحمراء ليست من هذا القبيل . بل ان وجودها من المصاعب التي ماقت تحول دون قبول هذا الرأي الجديد القائل بان المشتري كوكب متجمّد . كان اسهل على العلماء ان يقولوا انها شق في جسم نصف مصهور . اما ان يقولوا انها شق في طبقة من الجمد ثخانتها ١٦ الف ميل فتعذر . ثم ان احتفاظها بقوامها من دون تغيير يصيبه مدة ٢٧٤ سنة يحول دون التسليم بانها اضطراب جويّ

القبوض يحيط بنشأتها وثبوتها . واذا اخذنا برأي جينز وورسل في ان المشتري كتلة متجمدة غدونا ونحن لا نجد حلاً لنشأة « البقعة الحمراء » الا بان تكون اثرأ لاصطدام بين المريخ وجسم سموي آخر . وقد يكون هذا الاصطدام بين المشتري وأحد المذنبات

(انظر الصورة التي امام هذه المقالة) او بين المشتري وإحدى النجيمات Asteroids التي اقتربت من المشتري حتى اصبحت على قرب وافر منه فجذبها اليه فسقطت على سطحه وهذا يفسر مساحة البقعة الحمراء واحتفاظها بقوامها

والرأي الغالب عند موريل ان احتمال نشوء البقعة الحمراء عن اصطدام إحدى النجيمات بالمشتري اكبر من احتمال حدوثها باصطدام احد المذنبات به . ولا يخفى على القراء ان النجيمات في عرف علماء الفلك ثار سيار تفتت ، وهي واقعة بين فلك المريخ وفلك المشتري ولكثير منها افلاك شاذة ، وقصة اكتشاف اولها ثم تعدد المكتشف منها حتى ليُحصى بالآلاف من اروع القصص الفلكية . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان بعض العلماء يظن ان اربعة من اقمار المشتري الصغيرة لم تنشأ كما نشأ قر الارض او اقمار المشتري الاخرى بل اصلها نجيمات اقتربت من المشتري فجذبت اليه واخذت تدور حوله مع اقماره الاصلية . ثم هناك للمشتري قر آخر صغير لا يزيد قطره على ١٦٠ ميلاً يدور حول المشتري على ٦٨ ألف ميل من سطحه وهي مسافة قصيرة بالقياس الى الابعاد الفلكية ، ولذلك لا يستحيل ان يحدث ما يدخل هذا القمر في منطقة الخطر فاما ان تفتت كما تفتت بعض اقمار زحل فاصبحت حلقات واما ان يجذب الى سطح المشتري فيكون جذبه وأثره مثلاً حادثاً على نشوء « بقعة المشتري الحمراء »

قل حرارة الشمس

آخذة في الازدياد ؟

يذهب الدكتور جورج جامو Gamow استاذ الطبيعة النظرية بجامعة جورج واشنطن الاميركية الى ان حرارة الشمس آخذة في الازدياد ، وانها ستبلغ مبلغاً من الحرارة تذوب فيه الارض ومن عليها — او بالحرى تبخر — كما تذوب قطعة من الجمد في فرن حامٍ . الا ان الزمن الذي ينتظر ان تبلغ فيه الشمس هذه الدرجة من الحرارة بعيد جداً وحالة الارض الجوية لن تتأثر بهذه الزيادة قبل انقضاء بضعة ملايين من السنين

هذا الرأي الجديد ، توصل اليه الاستاذ جامو من نظرية جديدة ابتدعها لتفسير مصدر الحرارة في الشمس وهي نظرية تقلب معظم ما يقال عن نقصان طاقة الشمس وفقد حرارتها رأساً على عقب . وعند هذا الباحث ان اكثر المصادر احتمالاً لتوليد حرارة الشمس هو فعل تولد الهليوم من الايدروجين في قلب الشمس حيث الضغط والحرارة على درجة عظيمة من الارتفاع ونحن نعلم ان تحويل الايدروجين الى هليوم على سطح الارض يتم باطلاق ذرات الايدروجين

على عناصر أخرى بسرعة وطاقة عظمتين. أما في قلب الشمس فحرارتها العالية البالغة ٢٠ مليون درجة مئوية تحل محل الطاقة الكهربائية العظيمة التي تطلق بها ذرات الايدروجين في المعامل على الأرض

والحرارة تتوقف على حركة الذرات والجزيئات ، فإذا ازدادت سرعتها في حركتها ارتفعت حرارتها وإذا كانت الحرارة نحو ٢٠ مليون درجة مئوية فهذه الدقائق تطلق متحركة بسرعة تقرب من سرعة الضوء . فإذا اصطدمت ذرتان من الايدروجين وهما سائرتان بهذه السرعة لصقت احدهما بالآخرى أو اندمجت فيها فينشأ من ذلك ذرة هليوم ووزنها كما لا يخفى مجموع وزن ذرتين من الايدروجين الا قليلاً جداً . اي انه عند ما تندمج ذرتان من الايدروجين لتوليد ذرة من الهليوم يضيع مقدار صغير جداً من كتلة ذرتي الايدروجين. فأين يذهب؟ والرأي ان هذا القدر من الكتلة يتحوّل حرارة بقوة الاصطدام العنيفة . وكلما زادت سرعة التحوّل من ايدروجين الى هليوم زادت حرارة الشمس وازدياد حرارة الشمس زداد سرعة التحوّل وبذلك تمضي الشمس في زيادة حرارتها كأنها تسير في دائرة

ولم يكتف الدكتور جامو بدراسة تولد الهليوم من اصطدام ذرات الايدروجين بعضها ببعض بل عمل حساباً لتولدها من اصطدام ذرات الهليوم بالليثيوم وغيره من العناصر وفي جميع هذه الحالات تتولد ذرات هليوم ويتحوّل مقدار يسير من الكتلة الى حرارة ويرى الدكتور جامو ان في الشمس من المواد الكافية لتوليد الحرارة مائة مليون مليون سنة . اما ما يحدث للشمس بعد ذلك فليس لنا ان نفكر فيه الآن

وقد كانت الشمس في بدنها — بحسب رأيه — كتلة من غاز الايدروجين . فتحوّل جانب من هذا الغاز الى الهليوم بالطريقة المتقدمة خلال ثلاثة آلاف او اربعة آلاف مليون سنة بحيث لا يجد من الايدروجين في كتلة الشمس الآن اكثر من ٦٠ في المائة منها . والقول الأخير مؤيد بالبحث الطيفي . وبقص مقدار الايدروجين في النجم زداد النجم تألقاً الى ان ينفد الايدروجين ثم يبدأ النجم في التقلص فيصبح كثيفاً ويقل اشراقه . والنجوم الصغيرة الحجم الكثيفة المادة الضعيفة الاشراق معروفة لعلماء الفلك الحديث وهم يطلقون عليها اسم « الاقزام البيض » وهي تصنف عادة بصغر الحجم وارتفاع حرارة السطح وقلة الضياء واول نجم كشف من هذا القبيل هو النجم المعروف باسم « رفيق الشعرى » . فكثافة مادته تزيد مائتي الف ضعف على كثافة الماء . وهناك نجم آخر من هذا القبيل يزيد كثافته على كثافة الماء سبعة ملايين ضعف . ولا تزال « الاقزام البيض » تشع اشعاعاً ضعيفاً وبه نراها ولولاه لما رؤيت . فهي في المراتب الأخيرة من حياتها الاشعاعية قبل ان تتحوّل اجراماً مظلمة . وهذا هو مصير شمسنا بعد ان يتحوّل كل ما فيها من الايدروجين الى هليوم

بكر

لعمرو ابو ريسته

أُفقت مع الحُلُم المسفر على نغم شاردٍ مسكرٍ
تدقق يسكب في قلبك السطري ربيع الحياة الطري
فألفت دنياك غير التي درجت عليها... ولم تشعري
مفان ريًا الجمال الحيّ مجسّحة بالهوى المبكر
وأنت عليها انقلات الحيس من الطيب في البرعم الأخضر

رويدك لا ترحمي بالرؤى خيالك يا عَفّة المُرير
أنا حفنة من رماد المني على مجمر الزمن الأزور
هويتك في غصة المؤمنين الى جرعة من فم الكور
وفوق جفوني عصاب الدهول فلم أتبصر ولم أبصر
ظلمتُك ظلم انهار الخيال على يقظة الشاعر العبقر
دعيني طروباً أزجي الخطى على مخصب الوهم والمقفر

[نقلا عن مجلة الجمهور البيروتية]

عالم الروح

والعلم الحديث^(١)

لأحمد فهمي أبو الخير

﴿تعليمات مخصوصة لغير الجلسات﴾ عند ما يكون التواصل ملائماً ومرضيّاً يسأل الروح المتكلم هل كان الحاضرون مرتين في جلوسهم ترتيباً صحيحاً . فإذا لم يكونوا كذلك فما هو الترتيب الواجب اتباعه . بعد هذا يسأل الروح من هو . وأي الموجودين هو الوسيط . وما إلى ذلك . فإذا حدث اضطراب أو اختلال فسبب ذلك يرجع إلى تعسر توجيه الحركة في مبدأ الأمر التوجيه الصحيح . وعلاج ذلك الصبر والناة

وإذا رؤي ميل إلى ابداء الظواهر بوسائل غيفة ، أو إلى إيقاع الوسيط في الغيوبة فليطلب إلى الروح أن يؤجل هذا إلى أن يحضر أحد الروحانيين المدربين . فإذا لم يلتفت إلى هذا الطلب بحسن إيقاف الجلسة . فعملية تدريب وسيط الغيوبة تكون أحياناً عملية مخفية لامل الباحث غير المدرب واختبر النتائج التي تحصل عليها بالحجة والبرهان السليم ، واحتفظ لنفسك بالعقل الراجح والمنطق الصحيح ، ولا تصدق كل ما يقال لك ، لأن العالم الكبير غير المنظور يضم عدا الكثيرين من أهل الحجا والعقل مجموعة من أهل الخرق والجهل والغرور — وأولاء أقرب إلى سطحنا من العقلاء الأخابر . ولا تتق بالاسماء الضخمة اذا ذكرت لك مالم تكن مستوثقاً منها . ولا تتوان لحظة عن أعمال الفكر ووزن الأمور بالعقل . وحذار ان تدخل في بحث خطير مع روح فضولي أو سخي . ونم في نفسك الرغبة في كل ماهو تقي طيب صادق . وسوف تتقدم بسرعة في هذا السبيل اذا انت اقتنعت تماماً اقتناعاً مسيباً بأن هناك بعد الموت حياة أخرى ، وان خير طريقة لان بعد الإنسان نفسه لهذه الحياة هي أن تكون حياته هنا قبل الموت حياة طيبة طاهرة نقية

ويزيد على ذلك العلامة الروحي دلاس H. A. Dallas ما يأتي : —

(١) بقية ما نشر في العدد الماضي من المحاضرة التي أقيمت في القاعة الشرقية بالجامعة الاميركية

(١) لا تكثر من عمل التجارب . وليكن ذلك بمعدل مرتين في الاسبوع على الاكثر ، على ألا يكون في أيام متتالية

(٢) وكقاعدة عامة حذار أن تقبل على اجراء التجارب وأنت في غير صحة جيدة ، أو كنت متعب الجسم منهوك القوى ، وعلى الاخص اذا كان المجموع العصبي مضطرباً . فلا يمكن أن يرجى تقدم روحي ما لم يكن المجموع العصبي سليماً والمنح متزاناً هادئاً

(٣) حذار أن تجري التجارب عرضاً . حدد يوماً وساعة ، وليكن لكل تجربة وقت معين محدود — هو ساعة في العادة — واحتفظ بهذا التحديد وأصر عليه

(٤) واذا طلب اليك الحراس ، وهم الارواح المهيمنون ، أن توقف الجلسة فأوقفها على الفور ، فان في اطالة التجارب بعد أن يعلن الارواح المهيمنون انتهاء عمل غير محدد ، لان القوة

الروحية لا يوجهها عندئذ أولئك الذين برهنوا على أنهم مهيمنون قادرون ، بل قد تستخدمها أرواح غير مسئولة ، وقد تكون خبيثة شريرة ، ما دامت فرصة التواصل تكون لا تزال سائجة

(٥) حذار من اجراء التجارب في الاماكن العامة التي يغشاها مختلف الناس حيث تكون التأثيرات مختلطة . وهذا فيما عدا تجارب الجلاء البصري والسمعي — أي رؤية غير المنظور

وسماع غير المسموع — فالوسيط عندئذ لا يكون في حالة الغيوبة ، ثم هو يرى ويخاطب الارواح التي تريد مخاطبة بعض الحاضرين . وقد يبلغ الحاضرون الوفاً كما يحدث في الاجتماعات

في قاعة البرت هول الملكية بانكلترا

(٦) لا تلتحق بدائرة ما لم تعرف شيئاً عن أخلاق اعضائها

(٧) ابدأ كل تجربة بروح خالصة راغبة في حماية الله وهدايته وارشاده ، واجهد دائماً

أن تحتفظ بعقلك هادئاً رزيناً

(٨) حاول أن تعرف أي الارواح الحارسة المرشدة اكثر ارتباطاً بك من غيرها ،

وسلها حمايتك ومساعدتك . فهؤلاء يصدون عنك الارواح غير المرغوب فيها والتي قد تتدخل دون استدعاء . وأولاء المساعدون قد يشيرون عليك بما يرون من تفصيلات ، كأن يخبروك مثلاً

عن الأشخاص الذين تدعوهم الى دائرتك ، وعن عدد مرات هذه الاجتماعات وما الى ذلك

﴿مجرة التحضير الحريية﴾ هي حجرة مبنية بالطوب . مربعة الشكل . طول ضلعها ثمان

ياردات وارتفاعها أربع ياردات . صفت في وسطها كراسي تسجل وزن الجالس ابتداء من جلوسه الى قيامه بطريقة الباروجراف

وفي وسط السقف هزاز كهربائي يهز جو الحجرة باستمرار وبه يمكن الاستغناء عن الفونوغراف . وبجوار هذا الهزاز فتحة ركبت عليها آلة فوتوغرافية . وفي ركنين من الحجرة

توجد آلتان أخريان للتصوير السينماتوغرافي تلتقطان باستمرار صوراً طيلة الجلسة وتوجد على الجانبين آلتان تبعثان بأشعة الضوء تحت الأحمر لتشغيل آلات التصوير الثلاث هذه وتوجد على الحائط بين الآلتين الفوتوغرافيتين آلة ثالثة يليها ضوء فوق البنفسجي . ولا تأثر لوحات هذه الآلة بالأشعة تحت الحمراء . وتستعمل لتصوير كل ما يمكن للضوء البنفسجي التقاطه . وعلى الاخص البناء الاكثوبلازمي

وفي الركن الثالث توجد آلة لتسجيل الصوت تسجل كل ما يدور من أحداث خلال الجلسة أما الترموجراف الموجود في الركن الرابع فلتسجيل درجة الحرارة . ففي أثناء الجلسة تنخفض درجة الحرارة مع ان الواجب ان ترتفع بسبب حرارة الموجودين . ولذلك وضعت أنبوبة للتسخين لا ينبعث منها ضوء البتة . وتثبت درجة الحرارة عند درجة ٦٠ على مقياس فهرنهايت ما انعدم حدوث الظواهر الروحية . فاذا حدثت الظواهر انخفضت الدرجة الى ٤٠ ولعل العلماء العاملين يستطيعون تحليل هذه الظاهرة وتفسيرها . ذاك بالاختصار هو وصف حجرة التحضير الحديثة

﴿ عالم الارواح ما هو ؟ ﴾ بعد ان تم الاتصال بالعالم الروحي او العالم الاثيري أمكن

الاستفسار عن حقيقته من العلماء المقيمين فيه . وما سأذكره من المعلومات خلاصة لما نقل عنهم يتألف عالم الروح من سبعة مستويات . أو سبع كرات متحدة المركز ، الذي هو مركز أرضنا . وهذه الكرات الاثيرية السبع مع الكرة الارضية الثامنة متداخلة بعضها في بعض ، وتمتد في الفضاء الى ابعاد شاسعة ، وليست هناك مسافة بين السطوح بالمعنى الذي نفهمه ، وانما هي أشبه شيء بالمسافة الموسيقية أي درجة اهتزاز

وتحدث أرضنا في البوصة الواحدة من ٣٤٠٠٠ الى ٦٤٠٠٠ موجة اهتزازية ، نحس بها نحن الكائنات الفيزيكية . ولكل سطح او لكل كرة مجال اهتزاز خاص بها لا يحس به الا المرنمون مع اهتزازاته . ويلى كل مجال تاليه في زيادة السرعة الاهتزازية . وعلى ذلك فأعلى الاهتزازات الارضية درجة تمس أقل اهتزازات السطح الثاني أو الكرة الثانية درجة وهكذا

وتتلقى كل كرة ضوءها وحرارتها من شمس اثيرية متحدة مع شمسنا في المركز . فالشمس كالعالم الاثيري مكونة من ثمان كرات أي ثمان شمس . شمسنا إحداها . وكل سطح من هذه السطوح الشمسية الاثيرية يهتز مترنماً مع السطح المقابل في السطوح المحيطة بأرضنا ليمده بالضوء والحرارة . ولكل سطح في العالم الاثيري جو يحيط به يؤثر فيه كما يؤثر جونا فينا ، إلا أن أحوال المناخ هناك أكثر اعتدالاً . وهناك تغير الفصول ايضاً ، وانما في السطوح الثلاثة الأولى التي تعلو سطح الارض درجة اهتزاز ، وابتداءً من السطح الرابع فما فوق تختفي التغيرات المناخية تماماً . ولا يوجد ليل فوق أي سطح من السطوح بل يوجد شفق . والالوان هناك أجمل كثيراً

منها في عالمنا ، وأكثر تنوعاً وتلاًواً ، ولذا كانت المناظر هناك أجمل منها هنا لدينا وحسبي هذا القدر من التفصيل هنا ومن رغب زيادة في التفصيل فليقرأ التعقيب الذي عقبته به على ترجمتي العربية لكتاب « على حافة العالم الاثيري » لمؤلفه العلامة فندلاي رئيس المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن . على ان هناك حقائق تجب علينا معرفتها ، ضمنها العلامة فندلاي الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب (١)

﴿ العلاج الروحي ﴾ بقيت كلمة لا بد منها عن العلاج الروحي ، وأرجو ان أوفق لبسطه في محاضرة أخرى . هذا العلاج بعيد كل البعد عن الشعوذة والدجل لانه مبني في الواقع على أحدث طرق العلاج ، ونعني بها طرق العلاج بالإشعاع ان يكون في الواقع مملوءة بأشعاعات كثيرة لم نوفق نحن الا الى كشف جزء ضئيل منها . وقد تحدث علماء العالم الروحي عن هذه الاشعاعات ذاكرين أننا نحن سكان الارض لم نستكشفها بعد فالاطباء المقيمون في عالم الروح بتسليطهم هذه الاشعة النفاذة قد استطاعوا ابراء كثير من الامراض المستعصية ، وفي مقدمتها السرطان . ولا يخفى ان أحدث علاج للسرطان هو العلاج بأشعة الراديوم ، ولكن هذه قد أخفقت في حالات كثيرة ، وعلى الأخص حالة سرطان المخ . فالمرضى يحضرون في الجلسة التي يعمل فيها الوسيط المعالج وقد غشيتهم الغيوبة ، وبمعاونة مساعدين ذوي قوة روحية ، ولكن في غير غيوبة ، يتم العلاج باللمس والتدليك يقوم بهما الوسيط أو مساعده . وتشخيص المرض لازم لاتقان العلاج . وفي الحالات الخطيرة يدفع المريض الى النوم الطيب الاثيري الذي يعمل بطريق الوسيط ، فلا يشعر المريض من ثم بأي ألم . وقد برىء من المرض ألوف باستخدام الاشعة الروحية التي تسلط على الجسم الاثيري للمريض لان برء الجسم الفيزيقي انما يكون عن طريق الجسم الاثيري . ولقد رد البصر والسمع الى كثيرين ممن فقدوها ، بل لقد ردت الحياة الى كثيرين ممن حار فيهم الطب والأطباء ، وذلك بالعلاج الروحي وأغرب ما في العلاج الروحي نوع يسمى العلاج الغيائي . وفيه يكون المريض في بلد ناء عن بلد المعالج الروحي ، ومع ذلك تصل الاشعاعات الروحية وينقذ المريض . ولقد حدث علاج من هذا القبيل لمرضى مقيمين في مصر ، والمعالج الروحي في لندن ، وقد كتب الله الحياة لهؤلاء بعد ان عجز الطب والاطباء عن علاجهم (٢)

(١) تراجع هذه الاقوال في كتاب « على حافة العالم الاثيري » صفحة ١١١ — ١١٥

(٢) المقتطف : وقد روى المحاضر بعد ذلك حادث اصابة بالسرطان في مصر شفيت صاحبها بهذه الطريقة وعندنا أنه لا يمكن الاخذ بهذا الرأي حتى تتولاه جماعة من اطباء البحوث والامتحان فيفحص المرضى حتى يتيقن الاطباء من صحة الاصابة ثم يعاد فحصهم بعشفاهم بطريقة العلاج الروحي حتى يتيقنوا انهم شفوا

جَدِّيْقَةُ الْمُقْتَضِفِ

الحركة الادبية

في سوريا ولبنان

لإلياس أبي شبكة

الادب الفارسي

وخدمة الوثنيين له في الهند

للسيد أبو النصر أحمد الحسيني

مرتبجي ظل الغمامة

من قصيدة لكثير

الحركة الأدبية

في سوريا ولبنان

لم تعرف الحركة الأدبية في لبنان وسوريا ، منذ عشرين سنة ، نشاطاً قائماً على عقيدة صحيحة وإيمان راسخ كالنشاط الذي عرفته في السنوات العشر الأخيرة . ففي هذه السنوات العشر انتقل الادب في هذه البلاد من مرحلة اللهو والتردد الى مرحلة الجد والعزم ، فلم يبق ألهية يتفرغ لها الاديب على هامش مشاغل الحياة كما يتفرغ الصانع او التاجر للعبة الزد او الشطرنج على ان الانتاج ما يزال ضعيفاً بالقياس الى قوة اليقظة الادبية في مجموع الأمة لا بالقياس اليه قبل اليوم . فقبل اليوم — ولنحصر كلامنا في هذا الثلث من القرن العشرين — كان القلم لا يثمر على الغالب الكثير الا في الصحف والمجلات وقصارى ما يطمح اليه القارئ ان يقع في الصحف على مقال أدبي في كل اسبوع او قصيدة في كل شهر أو شهرين . فبشارة الخوري مثلاً ، هذا الشاعر الذي ملأت شهرته الاقطار العربية ، لم تتعرف اليه المطابع حتى الآن ، فقصائده مشتتة هنا وهناك وقد لا يفلح — اذا استثنى المأثورة منها — في مهر الادب بأكثر من مائة صفحة ، ومهما تكن هذه المائة الصفحة بليغة فلا يصح ان تعد انتاجاً في حياة اديب . وما نقوله عن بشاره الخوري نقوله عن شبلي الملائط والمرحومين امين تقي الدين والياس فياض ومعظم الذين حملوا أعلام الحركة الادبية في مطلع هذا القرن . فشبلي الملائط لم ينشر الا ثلاث مسرحيات او اربع منقولة عن الفرنسية وديوان شعر فيه الف وثلاثون قصيدة وفيه السمين واذا نحن ضربنا صفحاً عما في ديوان الملائط من شعر المناسبات العارضة ، هذه المناسبات التي كثيراً ما ظهرت على اقلام الشعراء العرب في كل عصر فكانت حائلاً دون انطلاق الفكر الاستقلالي مع العاطفة الغريزية ، لا يبق

لنا في هذا الديوان إلا بضعة قصائد لا يصح أن تعدّ انتاجاً في حياة اديب. ولم ينشر الياس فياض إلا بضعة مسرحيات منقولة عن الفرنجة وديواناً صغيراً قد لا يليق فيه بكرامة الشاعر أكثر من اربع قصائد او خمس. اما أمين تقي الدين فقد يكون الأديب الوحيد الذي لم يعتمد في تلك الحقبة خصلة غيره في الاغارة على تريكة الغير. على انه — لسوء الطالع — لم يخالف من النشر والشعر ما يملأ كتاباً حسن العرض

ولا يزيد بهذا ان شكر فضل هؤلاء الأُدباء، فقد كانوا فاتحة حسنة لهذا القرن بخروجهم في حلبة الشعر على غفلة القرن التاسع عشر، وان قصروا في حلبة النثر وفي التوسع الفكري والابداع عن بعض جهابذته كاليازجي والشدياق واديب اسحق. واذا حق لنا أن نلومهم فعلى كونهم شهدوا أوجع مأساة عرفها التاريخ ولم تشهد لأقلامهم منظراً موحجاً من هذه المأساة، اللهم إلا بعض قطع لا قيمة لها. أيمر بنا المنجل الاسود على شفرته المقدسة كجناح الموت سحن الجوع والمرض والذل والظلم والحقد ولا يقوم فينا شاعر أو ناثر يغمس ريشته في هذا البؤس؟ ألا يقوم فينا شاعر او ناثر اجترت عيناه حصيد تلك الشهادة فيطبع على جبين التاريخ الادبي لوحة خالدة مما انطبع على عينيه؟

كانت الحركة الادبية التي نشطت في جريدة « البرق » عام ١٩٠٨ على يد طائفة من رجال العلم كالشيخ اسكندر العازار وفليكس فارس والغلاييني ودادود مجاص وبشاره الخوري وشبلي الملاط وغيرهم مستهل النهضة التي حاولت قبل الحرب الكبرى النزوع عن القديم المألوف، عن الادب البطريكي والسلطاني الذي تقشّر في ذلك الحين. على أن هذه النهضة لم تعط اكملها قرب ما بينها وبين الحرب، الحرب التي عطّلت الصحف إلا المملوكة منها وغضّت شرف الفكرة الحرة في البعض الكثير من رجال العلم فاصبح الأدب سلعة تباع على أبواب الحكام بخوراً وقرابين

وبعد أربع سنوات مرّت على السُّبُبات السياسي والادبي في لبنان وسوريا لم تجرؤ الناشئة على النظر الى الماضي لهول المشهد، ولا الى الحاضر لفراغه الموحج.

فاستسلمت الى الغرب الفاتح المنقذ وراحت تعباً ماهباً ودباً من صادراته، مؤمنة بكل مايشحنه حتى بحواشيه . ولشدّ ما تأثرت في ذلك الحين بموجة الأدب المهاجر حامل الروح الشرقية في الجسد الغربي ، واذا هي اصداء مشوهة لذلك الانتاج السماعي الخصب . وان يكن الأدب المهاجر قد نفخ في الناشئة اللبنانية والسورية روحاً لاعهد لها بمثله فقد استعبد لها للغة المضعوفة وسيّر لها في طريق متحيّرة بين القوضى والتقليد

وفما هذه الناشئة تضطرب بين الغرب والغرب ، بين الاصوات الشرقية المغربية في الاميركيّتين والشمالية منهما بوجه خاص ، وما تشحنه أوربّا الفاتحة ، سيدة مصائر الناس ، كان حملة الاقلام المحضرون — اولئك الذين لبسوا الوجهين قبل الدستور العثماني وبعده — يحاولون لباس الوجه الثالث باسم التحرر السياسي

ولكن ... فيما هؤلاء منصرفون عن الادب الى استثمار السياسة في العهد الجديد كان بعض المفكرين الأحرار في الشباب يلقون في الناشئة بذرة التحرر الأدبي . كان الاستاذ عمر فاخوري في جريدتي « المعرض » « والبيان » بيروت والرحوم احمد شاكر الكرمي في « الزمان » بدمشق يقودان طليعة هذه الحركة التحريرية المباركة

وهذه الحركة لم تنقبض الى هدفها الا في جريدة « المعرض » الاسبوعية فاعشر سنوات الا قليلاً تألفت في هذه الجريدة رابطة من أدباء الشباب وراحت تدفع مبادئها الأدبية فتقسط حيناً وتظلم حيناً ، تهدي تارة وتضل أخرى ، وبين طرفها واعتدالها قامت في الشباب هضة لم يخرج الادب منها لا خاسراً ولا مغبوناً وكانت جريدة « البرق » مازال سياسية فحواها منشئها الاستاذ بشاره الخوري الى جريدة أدبية أسبوعية . على أن الاعصاب الادبية التي ساهمت في تحريرها لم تكن من العنف بحيث نستطيع مجازاة « المعرض » — وكان الشباب في ذلك الحين أميل الى التطرف والقوضى منه الى الاعتدال والنظام — فلم يُقسط للبرق

في النجاح فوقفت في منتصف الطريق واستغنى صاحبها بشهرته عنها وأغنى العالم الأدبي بشعره عن صحيفته. وإذا حق لنا أن نلومه فعلى انصرافه في الكثير الغالب الى التغني بما يُحْمَل عليه لا بما يندفع اليه. ولا نزاع في أن الاستاذ بشاره الخوري يشرف في احساسه العاطفي الصرف على العالم الذي عاش قبل الحرب والعالم الذي يعيش بعدها، فهو انتقل حي من عهد الى عهد، من عهد رزح فيه الادب تحت ثقلين: الضغط السياسي الحميدي والرشادي والضغط الروحي الناشئ عن ضعف اليقين بالنفس، الى عهد تحاول فيه الناشئة توطيد استقلالها الروحي توطئة لاستقلالها السياسي الصحيح. فهل يستطيع سبيلا الى تأدية الرسالة الملقاة على عاتقه؟ فشاعر الأمة يجب أن يكون عظيماً كالأمة

وفي ذلك الحين، فيما الحركة الأدبية ماضية في نشاطها بجريدة «المعرض» وبعض الصحف اليومية — ومعظم صحف بيروت تخص الأدب بصفحة في كل اسبوع — كانت حركة أدبية رصينة تنشط في سوريا، بمجلة «الحديث» الشهرية في حلب، وبجريدة «فتى العرب» وغيرها في دمشق. وما عتمت هذه الحركة أن أعطت ثمارها فأصدرت المطابع مؤلفاً نفيساً عن المتنبي للاستاذ شفيق جبري ومؤلفاً آخر عن سيد قريش للاستاذ معروف الارناؤوط. وأذكر أن المغفور له شوقي قال لي يوماً إنه سلخ ثلاثة أيام على قراءة «سيد قريش». والواقع أن هذا الأثر الخالد الذي يضارع بلغته وألوانه ملحمة «الشهداء» لشاتو بريان هو، على ما في إخراج الفني من الهنات، أفضل كتاب أدبي مُهرت به المكتبة العربية في سوريا. ولم يقف جهد معروف الارناؤوط عند «سيد قريش» بل تجاوزه الى كتاب آخر قد يقل عنه خطراً هو «عمر بن الخطاب»

وفي تلك الحقبة الطيبة من حياة سوريا الأدبية صدر في بيروت أول جزء من «أدباء العرب» للاستاذ بطرس البستاني، وتبعه الجزء الثاني فالثالث. وكانت المطابع في الوقت نفسه تصدر كتاب «المراحل» للاستاذ ميخائيل نعيمة و«جبران خليل جبران» للمؤلف نفسه. وقد أحدث هذا المؤلف الأخير ضجة صحفية وخطابية لم يسبق لها مثيل إلا في النادر القليل. ويرجع السبب في هذه

الضجة الى بعض حقائق أوردتها الاستاذ نعيمه في كتابه الخالد ودرس على ضوءها سلوك جبران في حياته الخاصة وعلاقة هذه الأخيرة بحياته الأدبية . وكان الاستاذ أمين الريحاني قد بدأ منذ سنوات يقلد جيد المكتبة العربية بروائعه ، فبعد الجزء الرابع من الريحانيات « ملوك العرب » وبعد ملوك العرب « النكبات » وبعد النكبات « مجد الجديدة » وبعد مجد الجديدة « قلب العراق » وبعد الآن كتاباً عنوانه « قلب لبنان » وأمين الريحاني يقف اليوم على هضبة الانبعاث الفكري موقف نبيٍّ من أنبياء المجتمع الآتي ، ففي أدبه إيمان بالشباب ، إيمان بالوطن وإيمان بالمستقبل

في بيروت اليوم جريدتان اسبوعيتان يغلب عليهما الطابع الأدبي هما « الجمهور » و « المكشوف » ولكلٍّ من هاتين الجريدتين أقلام وهدف تلتقي على صعيد الأدب ومهما بعدت بينهما شقة السياسة الشخصية التي تخلقها أحوال الادباء في كل بلد فلا تستطيعان الاساءة الى الغاية التي تسعيان وراءها . وقد يكون هذا التباعد باعثاً لحياء الحركة الأدبية وإضرار اللهب في عروقها . وإذا نحن قابلنا بين قوتي الاقلام التي تساهم في هاتين الجريدتين رأيناها متعادلتين . على أن لجريدة « المكشوف » داراً للطباعة ما فتئت منذ سنتين تغذي المكتبة العربية بنتاج مرجو الفائدة . ويكفي جريدة « المكشوف » فضلاً أنها أفسحت لكثيرين من الأدباء المغمورين سبيل الظهور وشجعت الادباء الآخرين على العمل فنشطوا الى الانتاج نشاطاً لم يُعرف مثله قبل اليوم

ولا زبد أن نختم هذه التوطئة للفصول المقبلة في « الحركة الادبية بسوريا ولبنان » قبل أن نأتي على عرض سريع لأبطال هذه الحركة . ففي سوريا طائفة من حملة الاقلام قطعت الدليل على إدراكها رسالة الادب وخطرها في حياة الامة بزرعها البذور المرجوة الثمر ، في ربة ملائمة وجو صالح . وقد ذكرنا من هذه الطائفة الاستاذين جبري والارناؤوط . ونذكر الآن الشاعر خليل مردم بك في دمشق ، والشاعر عمر أبو ريشه في حلب ، والشاعر محمد سليمان الأحمد

المعروف بيدوي الحيل في بلاد العلويين . فللاستاذ مردم وبدووي الحيل قصائد لم تجمع حتى الآن في كتاب ولكنها أحلت شاعريها محلاً موفور الكرامة بين شعراء العصر . أما الأستاذ أبو ريشه فله ديوان حافل بأطيب الشعر ، وقد يكون أبو ريشه الأديب السوري الوحيد المنصرف الى الاتاج في هذه الايام ، فهو يعد ملحمة بعنوان « الاساطير » تم مقدمتها التي اتصلت بنا على مجموعها . وقد شاء الشاعر ان يفتح ملحمة بمثل ما كان شعراء الملاحم الاغريق والرومان يفتحون ملاحمهم بمخاطبة ربة الشعر . قال :

لا تنامي يا راويات الزمان فهو لولاك موجة في دخان
تتوالى عصورها وبها منك ظلال طريّة الالوان
ابداً تبسم الحياة عليها بسمة المطمئن للحدثات
اسمعي حفيف اجنحة الالهام من افقك القصي الداني
وانثري حولي الاساطير فالروح على شبه غصة الظمان
حسبك أن اردّها لك من قلبي صلاةً ومن شفاهي أغاني

وفي سوريا ادباء مهياًوا التربة لاتاج حسن كالدكتور منير العجلاني في دمشق والاستاذ سامي الكيالي، صاحب مجلة « الحديث » الحلبية التي ما برحت منذ سنوات تطلع علينا كل شهر بنماذج طريفة من أدب صاحبها وسائر ادباء العرب وفي لبنان رهط من حملة الافلام اكثر اتاجاً وانصرافاً الى الادب من اخوانه في سوريا على ان المذاهب الغربية ما تزال تسطو على بعض الادباء اللبنانيين سطواً يقصهم عن جوهر نفوسهم ، ولكن هذا البعض بدأ بتحرر من ربة الغرب ويخلق لنفسه عالماً روحياً له طابعه وله تقاليده . وقد ذكرنا من ادباء لبنان اكثر من واحد ، ونذكر الآن الشاعر امين نخله الذي عرف ان يبدع لنفسه سواء في الشعر او النثر رمزية عربية التعبير متزنة التفكير لا يشقى العقل في تفهم اغراضها ومعانيها وصورها . والشاعر الدكتور حبيب ثابت الذي نفّض القلم اخيراً من طريقه الشعريّة « ادونيس » والشاعر سعيد عقل الذي امتاز برغبته في التسلل الى ديلميس اللاوعي ... والاستاذ صلاح لبكي ، شاعر « أرجوحة القمر » الذي يعطف على

القلب البشري بخشوع موجد . والشاعر الياس خليل زخريا صاحب القلم اللازوردي .
والشاعر نقولا بسترس النافخ من الشعر في ناي . والشاعر ميشال طراد الذي
ابدى في الشعر الريفي طريقة هو أقرب فيها الى جاسمان منه الى ميسترال .
وعمر الزعني ، يرائجه هذا الزمن . والاستاذ بطرس البستاني ، صاحب « ادباء العرب »
وفي طليعة المنشئين والنقادين . والاستاذ عمر الفاخوري ، صاحب « الباب المرصود »
الذي يرجع اليه فضل المتقدم في توجيه النقد الفني . والاستاذ فؤاد افرام البستاني
صاحب « الروائع » الذي ملك على حداثة سنه ناصية العلم واحتل مكاناً رفيعاً في
عالم الادب . والاستاذ مارون عبود ، الاديب الحيار وأحد أئمة النقد الأدبي في
هذا العصر . والاستاذ ميخائيل نعيمة ، الاديب الذي وقف من قم الفكر على
واحدة لم يبلغها من نوابع الشرق إلا نقرأ قليل . والاستاذ رثيف خوري الذي
ساهم بقسط وافر في الحركة الفكرية الحديثة . والاستاذ لطفي حيدر الذي عرف
في قصته « عمر افندي » أن يحفظ التوازن بين التقاليد الشرقية والغربية فلم تقطع
معه شعرة معاوية . والاستاذ توفيق يوسف عواد الذي يحاول مع الاستاذ خليل
تتي الدين رفع القصة الى المستوى المنشود . وقد بذل حتى الآن جهداً محموداً في
« الصبي الاعرج » و« قيص الصوف » و« عشر قصص » . والاستاذ يوسف
غصوب ، شاعر « العوسجة المتهبة » وناسج الفصول الجميلة في مختلف نواحي
الادب . والدكتور نقولا فياض ، الشاعر الخطيب الذي يرجع اليه فضل التقدم
في الشعر الوجداني السائد الى يومنا هذا . والاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ،
حجة التاريخ في هذا العصر . والاستاذ انيس المقدسي صاحب المباحث الرصينة في
تطور الأدب العربي . والدكتور أسد رستم صاحب المؤلفات التاريخية القيمة .
والدكتور قسطنطين زريق الكاتب الاجتماعي الرصين

ومعظم هذه الصراير المذهبة يدندن في جريدة « المكشوف » للشيخ فؤاد
حيش وجريدة « الجمهور » للاستاذ ميشال ابو شهلا الياس أبو شبكة

الادب الفارسي

وخدمة الوثنيين له في الهند

— ١ —

لم تضرب الهند كلها بوابل العرب الثاقب ، ولا بسهم سلطانهم الخارق ، غير الموجة التي مست سواحلها الغربية ، مثل السند وما جاورها ، حتى لم يضرب فيها ايضاً حكمهم بجرانه الى مدة طويلة ، والا لكان مصير الهند من جهة وحدة اللغة والثقافة كمصير مصر ، وإن كان العامل الهام الآخر لتلك الوحدة في مصر هو قربها من جزيرة العرب واتصالها المباشر بها

على ان سكان الهند الوثنيين مع مناعة السياج الطبيعي حول بلادهم وجسامته — اذ يحرق بهم شمالاً همالايا وهو أعلى الجبال في العالم قاطبة ، ويحفهم جنوباً وشرقاً وغرباً المحيط الهندي وهو الثالث في العالم في العمق والسعة — لم يقدروا ان يحافظوا على سكون بالهم ، وركود حالهم من تعكير النيل ، وتشويش الغريب . فقد طرق ابوابهم النازحون ، وقهر بلادهم الفاحشون من اليونان ، والسيث^(١) والافغان والعرب ، والترك ، والمغول حيناً بعد حين . فلم يكن للهندي الوثني الغارق في تفكيره الفلسفي العميق بدءاً من ان يتأثر في لغته وثقافته وافكاره وآرانه بمن احتك بهم . فاليونان ، والسيث ، والعرب ، والترك ، والافغان ، والمغول وغيرهم جميعاً لعبوا دوراً هاماً في تاريخ الهند في صوغ الفكر الهندي على طابعهم الخاص بعض الصوغ فكما ان الهند تأثرت بتلك القوى الخارجية في عاداتها واطوارها واديانها واخلاقها كذلك تأثرت منها بلغاتها ولهجاتها

ولا يمكنك ان تقشع غمام ذلك الاثر في لغات الهند ولهجاتها ، ولا ان تدرك مبلغه وتستقصى مداه اذا لم تسبر غور ما وصل اليه مجهود الهنود الوثنيين في اعادة لغات هؤلاء النازحين الى بلادهم ، ولم تختبر حال تضلعهم من فنون الاداب فيها

حيث أصبحوا خيرين بقرض الشعر، بصيرين بمذاهب الكلام، عارفين بمواضع النقد، متصرفين في ضروب الأنشاء فيها مسددّين فيها بالامر، وموفقين بالمراد من تلك اللغات اللغة الفارسية التي حملها الافغان والترک والمغول الى الهند فكانت لغة رسمية طويلة مدة حكومتهم فيها . وللفارسية علاقة دانية وقرابة وطيدة الى أسرة اللغات الآرية التي اليها يمت جميع اللغات واللهجات الهندية . لذلك يجوز انه لم يجد الهندي الوثني تعامها عزيزاً مُعتصاً ، ولا الخوض في ادبها شروداً منحصاً بالقياس الى اللغات الاجنبية الاخرى ، فأطاعته امورها بأعنتها ، وانقادت له مطالبها بازمتها

كان لهؤلاء الهنود مع جيرانهم في الشمال علائق الجوار الحسنة ، وصلات التجارة المثينة من الزمن الغابر الى قبل عهد سبكتكين ^(١) اي قبل ان تعبر جيوش ابنه السلطان محمود الغزنوي ^(٢) هر اندس — الحد الفاصل حينئذ بين الهند والدولة الغزنوية — في غاراته الشهيرة على الهند . بيد ان الداعي القوي الذي أهب بهم الى صرف عنايتهم في اتقان لغة هؤلاء الفاتحين النازحين الى بلادهم ، والضارين فيها بجرائهم ، والذي أجأهم الى بذل وسعهم وطاقهم لحوز قصب السبق في حلبة آدابها واحراز فوق النضال في ميدان نظمها ونثرها ، كان طبعاً في العهد الاخير . وهو عهد — القرن العاشر الميلادي — نجد فيه العلامة الفيلسوف ابو ریحان البيروني مكباً بين ظهرانهم على دراسة لغتهم وفلسفتهم وعاداتهم واخلاقيهم وعلومهم وقنومهم وجامعاً لكتابه الشهير عن الهند ، أوضاعه المحكمة ، وأغراضه المتشعبة ، ومناهجه السديدة ، وفوائده الكثيرة . وهو ايضاً عهد بدأت فيه الكلمات الفارسية والعربية تدخل اللغات الدارجة في شمال الهند ، اذ ترى الشاعر الهندي الذائع الصيت « شاندكيو » وهو شاعر بلاط الملك « برثيوي راج » يستعمل في رثائه الشهير لممدوحه الملك كلمة « بروردكار ^(١) » و« سلطان »

(١) تولى سبكتكين من سنة ٩٧٦ الى سنة ٩٩٧ ميلادية (٢) تولى السلطان محمود الغزنوي من سنة ٩٩٨ الى سنة ١٠٣٠ ميلادية وأغار على الهند من سنة ١٠٠١ الى سنة ١٠٢٤ ميلادية اثنتا عشر مرة الى ان ضم الى حكومته اقليم البنجاب والكجرات (٣) ومعناه باللغة الفارسية « الرب »

ولكن مما يؤسف له ان مصادر المعلومات عندنا في هذا المبحث من مباحث التاريخ الهندي قليلة . لان علماء اللغة الفارسية سواء أكانوا فارسين أم الذين ترعرعوا في الهند لم يروها في مصنفاتهم — كما يظهر لنا — جديراً بأن يوكلوا بها رعايتهم ، ويوفوا عليها عنايتهم ، ويلقوا ضوءاً على هاته الظاهرة من جد الهنود الوثنيين ونشاطهم . فواله داغستاني مثلاً صاحب الكتاب الشهير « رياض الشعراء » في تراجم شعراء اللغة الفارسية يفتخر باهماله في كتابه ذكر الشعراء الهنود الوثنيين باللغة الفارسية . وعليه فاهمال داغستاني المشرب بالكبرياء ومن هذا حذوه قد جعل جمع المواد لهذا الباب الغامض من تاريخ الفكر الهندي صعب المزام ووعر الملتبس . لذلك فالقرون الاولى من استيلاء المسلمين على الهند لا تقدم لنا مراجع تستحق الاعتبار للمبحث

على انه في الاخير حين رجحت الاعتبارات السياسية والاجتماعية كفة الموقف لمصلحة هؤلاء الهنود في تعلم اللغة الفارسية واتقانها ، حملوا إصره ، وتكفلوا عبثه ، فبرعوا فيها وحذقوها . لذلك نجد في « تاريخ فرشته » أنهم في عهد دولة لودية (١) في الهند كانوا كلفين بلغة حكاهم ومشغوفين بدراستها ، فمن ذلك الزمن ثابروا عليها كلباً ، وظهروا لها طلباً حتى بلغوا من الاتقان فيها غاية استحقوا بها أعلى المناصب وأرفع المراتب في الدولة فيما بعد . فكان مثلاً لدى اغارة ملك المغول ظهير الدين بابر وابنه نصير الدين همايون (٢) على الهند ، يتشرف برياسة الوزارة في الدولة الافغانية (٣) الآتية الى الانحلال حينئذ ، هندي وثني مسمى « هيموبقال »

اختار المغول بعد فتحهم الهند وطناً لهم — وهي ميزة تميز بها الفاتح المسلم الشرقي عن الفاتح المستعمر الغربي . فان الغربي مهما كانت البلاد المفتوحة أغنى روة ، وأعذب ماءً ، واجود هواءً من بلاده ، لا ينقل مركزه منها الى تلك البلاد ، فتدقق روتها

(١) دام عهدها في الهند من سنة ٨٥٥ الى سنة ٩٢٣ هجرية

(٢) تولى ظهير الدين بابر الامر من سنة ١٥٢٦ الى ١٥٣٠ ميلادية وأما ابنه نصير

الدين همايون فن ١٥٣٠ الى ١٥٥٦

(٣) دامت هذه الدولة في ناحية من نواحي الهند من سنة ١٥٣٩ الى ١٥٥٤ حتى

استولى عليها المغول

الى الخارج ، فيستحيل ظلها الذي اتسق فيه الخفض حروراً ، وماؤها الذي اطرده في النعيم مهلاً ، وجوها الذي انبلج فيه الأنس وحشة فيئذ أهاليها من البؤس والفقر بذذاً ، تتفجر في وجوههم الاهوال ، وتغبر في عيونهم الآمال ، لاشريك من اوليائهم في عواطفهم ، ولا حليف من ساداتهم في مصائبهم ، ولا نصير من حكمهم في حاجاتهم ، ولا مغيث من ولائهم في استغاثتهم — لذلك لا يسهم المغول بحكم اخوة الوطن الواحد ، ومازجوا ، وزاوجوا ، وعاشروهم مجتمعى الشمل ومتصلي الجبل ، مصيخين لكل أنة العاني ، ومصغين الى كل نشجة الباكي ، ومغيثين لكل لهفة المستغيث ، فبلغوا به في قلوبهم منزلة لا تساوى ورتبة لا تدانى

بهذا التمازج والخلطة والمعاملة الحسنة أغرى المغول الهنود الوثنيين ، وأوقدوا في قلوبهم نار الشوق الى التمكن من اللغة الفارسية والتضلع من علومها وفنونها ، أضف الى ذلك ما زاد نزوعهم اليه وهو المشابهة والمماثلة بين افكار التصوف الاسلامي بالفارسية وبين أفكار ويدتا^(١) بالسنسكريتية . فكان اكبر مظهر أشرق بهاؤه ، ولاح علاؤه لهذا التمازج بين الحاكم والمحكوم في عهد العاهل العظيم جلال الدين اكبر^(٢) اذ اصبح الادب الفارسي العربي الذي حملهُ المسلمون الى الهند في هذا العصر الذهبي مصدراً عاماً لاهام الجميع . ولقد بلغ تقرير الهنود الوثنيين في هذا العهد الزاهر للثقافة الإسلامية مبلغاً حلمهم على تعلم العلوم الإسلامية الشرعية واجادة اللغة الفارسية والعربية ، وايضاً على بناء المساجد للمسلمين كما بناها لهم « راجا بهكوان داس » وابنه الشهير « راجا بان سنغ »

لم يكن تشجيع الملك العظيم جلال الدين اكبر وعونه للادباء في بلاطه مقصورين على المسلمين ، فقد ترجم بأمره العلماء الهنود البراهمة البارعون في ادب السنسكريتية وعلومها مع اشتراك العالم المسلم المؤرخ الشهير عبد القادر البدايوني كتباً نفيسة من اللغة السنسكريتية وادبها الى اللغة الفارسية مثل « سنكهاسن بتيسى » و« رامايانا » « وويدات » فاصبحوا بهذا على اتصال بعلماء اللغة الفارسية المسلمين في بلاط

(١) اسم كتاب مقدس عند الهنود الوثنيين (٢) أكبر ملوك المغول في الهند تولى الامر من سنة ١٥٥٦ الى ١٦٠٦ ميلادية

الملك وأسلم بعضهم على أثره مثل « بهون » . فشاعر بلاط الملك « فيضي » وشقيقه الوزير الشهير والعالم الجليل « ابو الفضل » صاحب الكتاين القيمين « اكبرنامه » « وآئين اكبري » كانا هنديي الاصل . « وفيضي » هذا مع كونه شاعراً مطبوعاً باللغة الفارسية اذ له فيها ديوان عظيم معترف به من الادباء والشعراء ، كان عالماً تحريراً باللغة السنسكريتية فان القصة « نالاداماياتي » التي كتبها نظماً باللغة الفارسية تدل على استقائه اياها من المصادر السنسكريتية وطول باعه فيها ، وكذلك كان اديباً متقناً باللغة العربية فان تفسير القرآن الكريم الذي صنفه بالعربية بالحروف الغير المنقوطة وسماه « سواطع الالهام » يشهد على براعته وقدرته فيها

وعليه فما لاشك فيه انه في مثل هذه الاحوال الموفقة في بلاط الملك برع الامراء الهنود الوثنيون في لغة البلاط الفارسية شعراء وكتاباً . فالملك نور الدين جهانكير ^(١) ينوه في مذكراته « ترك جهانكيري » بامير راجبوتي ^(٢) وثني مسمى « راجا منوهر داس » الذي كان محبوباً عند والده الملك جلال الدين اكبر لعلمه الغزير واطلاعه الواسع باللغة الفارسية . فهو يحمل ذكره ، وينشر مناقبه مظهراً تقديره الكامل لبراعة هذا الامير في الشعر الفارسي مستشهداً لرأيه فيه بالشواهد الكثيرة من شعره . ولم يرفع هذا التقدير الملوكي والعطف السامي « راجا منوهر داس » الى الصف الاول من العلماء الهنود الوثنيين الذين ساهموا في ارتقاء الأدب الفارسي وتقدمه في الهند بل ما أحرزه من الاعتراف والتقدير من علماء ايران وادبائها وشعرائها بأنفسهم كالعالم الاديب والشاعر المطبوع بالفارسية لذلك ارتفع بشعره الصوت وسار في البلاد الى ما وراء الحدود الهندية فتداوله الناس بالذكر الجميل ونال اعجابهم حيث ادرج الشاعر الفارسي الكبير الذائع الصيت

(١) تولى الامر من سنة ١٦٠٦ الى ١٦٢٨ ميلادية (٢) نسبة الى قبيلة « راجبوت »

في الهند وهي من قبائل الهنود الوثنيين الشهيرة

« صائب » بعض آياته في مجموعته المختارة من الشعراء المختلفين ، وهو عزّة رنت إليها حينئذٍ الابصار وطمحت إليها القلوب . وكان شعره رائع الأسلوب يتدفق طبعاً وسلاسةً مشبّعاً بالأفكار الصوفية الرقيقة واليك ترجمة بعض الآيات المختارة منه قال : —

ينبغي لك ان تعلم الانفراد والاتحاد من عينك
فانه وان كانت كل منهما منفردة ولكنهما لا تنظران الا بالاتحاد

وقال أيضاً : إن الشيخ يطمئن الى إيمانه ، والبرهمني يفتخر بكفره
ولكن سكران جمال الحبيب لا يبالي بالايمان ولا بالكفر

ومن شعره الصوفي ما يلي ترجمته : —

يا ربي اشرح صدري بالحب

واعطني قلباً كنز الأسرار

واطبع قلبي بالحب الخالد

واجعل شعار حبك روحي

أنا أسألك يا ربي فضلك العام

فان القنوط منك حرام

إن أذنت بان اروي غلتي من بحر وحدتك

فذلك لا ينقص شيئاً منه

اعطني النطق لحمدك

والقوة للمشي في سبيلك

أنا لا أعرف يا ربي ! ما هو الايمان والكفر ؟

ولا الواقع في شرك هذا أو ذاك

فان كنت كافراً فاعطني الايمان

اعطني اليقين يا ربي فاني اطلبه منك

السيد ابو النصر أحمد الحسيني الهندي

(يتبع)

«مرتجي ظل الغامة»

من قصيدة لكثير:

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا
فوالله ما قاربتُ إلاّ تباعدت
وكنا سلكنا في صَعُودٍ من الهوى
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا
فإن تكن العُتْبَى فاهلاً ومرحباً
وإن تكن الأخرى فإن وراءنا
فاني وإن صدّت لمتنٍ وصادقٌ
فما أنا بالداعي لعزّةٍ بالجوى
فلا يحسب الواشون أن صابتي
فوالله ثم الله ما حلّ قبلها
وما مرّ من يومٍ عليّ كيومها
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه
وللعين أسرار اذا ما ذكرتها
واني ونهامي بعزة بعدما
لكل مرتجي ظل الغامة كما

ولا موجعات القلب حتى تواتت
بصرمٍ ولا أكثرث إلاّ أقلّت
فما توافينا ثبت وزلت
فما توائقنا شددت وحلّت
وحقّت لها العُتْبَى لدينا وقلمت
مناوح لو سارت بها العيس كلّت
عليها بما كانت الينا أزلّت
ولا شامت إن نعل عزّة زلت
بعزّة كانت غمرة فتجلّت
ولا بعدها من خُلّة حيث حلّت
وان عظمت أيامٌ أخرى وجلت
وللنفس لما وطّئت كيف ذلّت
وللقلب وسواس إذا العين ملّت
تخلت مما بيننا وتخلّت
تبوّأت منها للعقيل اضحلّت



السياسة الدولية

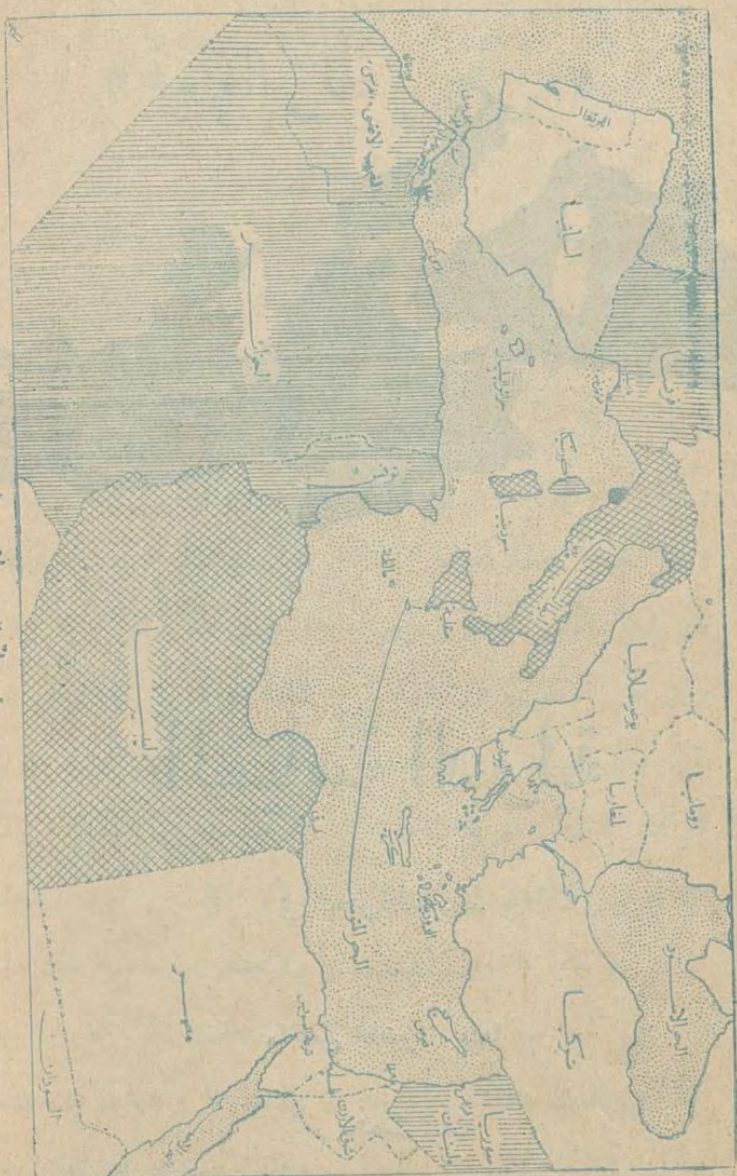
في البحر المتوسط

ملخص محاضرة ألقاها

محمد رفعت بك

المراقب المساعد لتعليم البنات بوزارة المعارف
ومؤلف « تاريخ مصر السيامي الحديث »

خريطة البحر المتوسط وسواحلها



السياسة الدولية

في البحر المتوسط^(١)

يشاهد الباحث المحقق في السياسة الدولية في البحر المتوسط أربعة عوامل مهمة تتحكم في الموقف الحاضر بين الدول

﴿العامل الأول﴾ : التسلح الذي تتسابق فيه الدول الكبرى والصغرى تسابقاً لم يشهد العالم مثله قبل الآن . وإذا كان التاريخ يذكر عهد الفروسية في العصور الوسطى حين كان العرف يقضي على كل رجل حر نبيل بان يتسلح ويتعلم فنون السلاح والقتال فان عهدنا الحاضر سيذكره التاريخ بأنه العصر الذي تسلحت فيه الأمم بجميع طبقاتها من قمة رأسها الى اخص قدمها وان التسلح قد شمل كل شيء وذلت له العناصر جميعها من ارض وماء وهواء

اما اسباب هذه المغالاة في التسلح فكثيرة وتختلف بحسب احوال كل دولة ولكن هناك أسباب عامة تفسر ظاهرة التسلح الحديثة منها ضعف اداة السلم التي تمخضت عنها الحرب العظمى وهي عصبة الأمم وضياع الثقة بمبدأ التضامن الدولي للتأمين ضد الحرب الذي يسمونه Collective Security فعظم الدول التي كانت تؤمن بهذا المبدأ لم تر في اول الأمر ضرورة قصوى تدعوها الى زيادة التسلح فلما تفتحت العيون عن مشهد انهيار هذا المبدأ منذ سنتين حين وقفت دولة واحدة تتحدى الجميع زالت الغشاوة من فوق اعينهم وأخذ الجميع يتسلحون معتمدين على انفسهم

ومن هذه الأسباب ان العالم الحديث قد فقد الثقة فيما كانوا يسمونه بالمحالفات والمعاهدات فقد برهنت الحوادث قبل الحرب العظمى وفي اثائها وبعدها الى الآن ان المعاهدات ماهي الا نصوص من الورق يرمى بها في سلة المهملات اذا لم تخدم اغراض صاحبها في الوقت الذي بناؤه وان القداسة التي كانت للعهود والمواثيق قديماً قد حل بها الهوان كما حل بكثير من النظم والتقاليد التي كان يعز بها قديماً فجاء التيار الحديث فخرقها ومزقها فيما مزق شذر مذر وأظن ان الانجاه الحديث في العلاقات بين الدول سينحرف تدريجاً عن المحالفات والمعاهدات وينحول الى اتفاقات وقية تؤلف سريعاً لعلاج حالات معينة ثم يزول ويحل محلها اتفاقات أخرى

(١) خلاصة المحاضرة التي ألقى بقاعة يورت بالجامعة الاميركية في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٨

كما حصل بين دول البحر الأبيض المتوسط حين اشتدت وطأة حركة الغواصات المجهولة والقرصة ف عقدوا مؤتمر « نيون » في سبتمبر سنة ١٩٣٧ وكما حصل في مونيخ في سبتمبر الماضي بين الدول الأربع لحل مشكلة تشيكوسلوفاكيا

لذلك كان من خطر الشأن بمكان عظيم ان تكون كل دولة مستعدة لأية مفاجأة حتى يخشى جانبها ويعمل حسابها فيرتفع سعرها في السوق السياسي الدولي متى أزفت ساعة المساومة ولهذا كانت المسابقة القائمة الآن بين الدول في التسليح وكان هذا النشاط العصبي الذي نلاحظه كل يوم بل كل ساعة في العلاقات السياسية بين الدول

﴿ العامل الثاني ﴾ : اضطراب مياه البحر المتوسط — مضى وقت كان فيه البحر المتوسط قبلة أنظار السياح من مختلف أنحاء العالم لما حبته الطبيعة به من جو منعش وسما صافية وشمس دافئة تبعث الحياة والنشوة في النفوس ومن ألوان زاهية ساحرة وفاكهة وأغاب ونخيل وما أنشأه الإنسان على سواحه من آثار خالدة ومعابد ومساجد وكنائس ومآذن وتماثيل هي آيات من الفن والذوق والجمال أبدعتها شعوب البحر المتوسط في مختلف العصور وأخذها المدينة الحديثة نماذج تحاكيها وتقتبس منها. لقد انطلقاً فجأة جمال هذه المناظر وكان عصا سحرية قد حولت هذه المباهج التي كانت ملقاة في الشوارع من جميع أرجاء العالم ومبعث الجمال والشاعرية في نفوسهم الى مناظر حربية تسود سواحل البحر وتعج بها شواطئه فمن قواعد حربية وبحرية تنشأ من جديد الى أخرى قديمة تجدد وتعزّز ومن دبابات تسد الطرق الى طائرات تملأ الجو بهديرها ومن مطارات ومصانع وثكنات الى مبان شاحخة ظاهرها خدمة العلم وباطنها تغذية الحرب هذا الى العواصف السياسية التي تهاجمه بين حين وآخر فتجعل خطر الحرب والدمار قريب النزول وحينئذ تغشى موجة الاضطراب هذه الشعوب الوادعة التي تتفياً منذ القدم ظلال أغصان الزيتون رمز السلام والسعادة في العالم

وليست هذه اول مرة تهب فيها على هذا البحر العواصف والاعاصير. فقد سار البحر الشعوب التي تسكن ارجاءه في رقيها وتدهورها فكان نصيبه تارة الهدوء والسلام وتارة تجذب مياهه وسواحه التيارات السياسية والاجتماعية فتعرضه لأشد ما عرفه التاريخ من اخطار ولا اظن اني بحاجة الى تعداد ما قام في البحر المتوسط من كفاح وحروب بين الشعوب في عصور التاريخ المختلفة ففي البحر المتوسط قام النزاع بين الفرس والاعريق ، وبين روما وقرطاجنة ، وبين الصليب والهلل في عهد الحروب الصليبية ، وظلت هذه الحروب تختفي وتظهر في البلاد المقدسة تارة وتارة في مصر واخرى في صقلية واسبانيا الى ان تسلط الهلال في شرق البحر وجنوبه وتسلط المسيحية في الغرب والشمال

ثم جاءت حركة الاستكشافات الحديثة فكشف كولبس عن القارة الجديدة وساح فاسكوده
جما حول رأس الرجاء الصالح الى الشرق فأحدث هذان الاستكشافان انقلاباً اقتصادياً هائلاً
انتقل على أثره ميدان النشاط في الملاحة والتجارة الى المحيط الاطلسي واتجه مركز الثقل في
العالم غرباً تاركاً البحر المتوسط ومدنه ودوله في ركود لم تعكره سوى أعمال القرصنة التي انتشرت
في القرنين السادس عشر والسابع عشر قرب سواحل الجزائر وما جاورها . وظلت شعوب
البحر المتوسط تغط في نوم عميق استمر الى قرب نهاية القرن الثامن عشر حين أيقظها من سباتها
دوي الثورة الفرنسية وصرخة نابليون في الشرق

ولقد بلغ من قلة اكرثات الدول الكبرى بشأن البحر المتوسط أن نابليون حين قام بحملته
الشهيرة سنة ١٧٩٨ قاصداً مصر أمكنه أن يفلت بأسطوله من رقابة إنجلترا سيدة البحار رغم ما
ارصدته لمراقبته من سفن وقوات ذلك لأنها لم تدرك قصد نابليون من حملته البحرية ولم تقطن
الى انه يريد احتلال مصر . وأخيراً ظهر للبحرية الانجليزية ان نابليون زل مصر واحتل في
طريقه اليها مالطة . عند ذلك تبهت الدول الى مكانة البحر المتوسط في العصر الحديث وعادت
الحركة والنشاط الى مياهه وأعقب الحركة اضطراب سرعان ما أدى الى معارك حربية عنيفة . ثم
سكنت العواصف نوعاً واهتمت الدول في منتصف القرن التاسع عشر بالبحر المتوسط لغرض واحد
هو منع روسيا من اختراق البوغازات والخروج منها جنوباً مهددة مصالح الدول الأخرى

واستمر الحال كذلك حتى بعد فتح قناة السويس واحتلال إنجلترا مصر الى ان نمت قوة
إيطاليا في اوائل القرن العشرين واخذت تصبو الى الاستعمار كغيرها من دول أوروبا وكان
أن تحركت في سنة ١٩١٠ للاستيلاء على طرابلس فاحتاجت مياه البحر المتوسط من جديد وهماهي
العواصف السياسية تهب على البحر المتوسط من الشرق ومن الغرب ومن الوسط بسبب إيطاليا
— في الشرق باستيلائها على الحبشة واهتمامها بطريق القناة . وفي الغرب بتدخلها الى جانب
الوطنيين في اسبانيا . وفي الوسط بتهديدها تونس . وبفضل هذا النشاط الايطالي اصبح البحر
المتوسط من أهم مواطن القلق والاضطراب في العالم في الوقت الحاضر

﴿ العامل الثالث ﴾ : نهضة الشعوب المحكومة — تختلف الشعوب التي تسكن سواحل البحر
المتوسط عن الشعوب الأخرى التي تحكمها الدول الأوروبية في افريقيا وآسيا . فشعوب البحر
المتوسط شعوب راقية لها قوانين وأديان الهيية ولغات وأدييات وكان لها في الماضي تاريخ مجيد
ومدنات اقتبست منها المدنية الحديثة نوراً وعرفاناً ولها آثار تعزبها وتحفزها الى العمل على
استرداد مجدها الغابر لذلك كان الشعور القومي والوطني بين الشعوب المحكومة في البحر المتوسط
نوباً وكان عمل الحاكم الاجنبي في اخضاع هذه الشعوب عملاً مخفوفاً بأشد الاخطار فمن اضطرابات

الى قلاقل وثورات وحروب قد تقهر فيها الشعوب المحكومة فتسكن فترة من الزمن تستجم في أثنائها لتقوم ثانية تواصل جهادها في سبيل الاستقلال. لذلك ما كادت تعرف فقط الرئيس ولسون الاربع عشرة وتعلن الهدنة في نهاية الحرب العظمى حتى أخذت الشعوب المحكومة تسعى لتحقيق امانها وكان من جراء ظهور هذه الروح القومية بين شعوب البحر المتوسط ان اضطرت بريطانيا ثم فرنسا اخيراً الى تصحيح علاقاتها مع الشعوب التي كانت تحت وصايتها او حمايتها بعقد محادثات يعترف فيها باستقلال هذه الشعوب وتحفظ فيها لدولة الحاكمة بمزايا الدفاع عن ارضها وقت الحرب او عند خطر الحرب وذلك باستعمال طرقها وسككها الحديدية وموانئها ومطاراتها. وكانت الحالفه البريطانية العراقية اولى هذه المحالفات سنة ١٩٣١ ثم اعقبها مصر سنة ١٩٣٦ وها هما سوريا ولبنان تعقدان مع فرنسا مثل هذه المحالفات والشعوب الاخرى التي لاتزال تجاهد في سبيل استقلالها تطالب بعقد مثلها

والمهم ان الشعوب الاسلامية التي تسكن سواحل البحر المتوسط في حالة تطور جديد يصعب معه ان تستكين الى حكم او تدخل اجنبي

﴿ العامل الرابع ﴾ التيارات السياسية المتعارضة في البحر المتوسط — اقليم البحر الابيض المتوسط تعبير جغرافي صرف فليست هناك وحدة تجمع بين شعوبه سوى الوحدة الجغرافية اذ تشترك هذه الشعوب في مظاهر وصفات خاصة تميز جو هذه الاقاليم ونباتها وطبائع سكانها، كما تشترك في ان المعادن في هذه المنطقة قليلة وان موارد الحامات ليست كثيرة. وان محصولات هذه الاقاليم متشابهة. اما فيما عدا ذلك فالتباين بين هذه الشعوب عظيم

وفي الشرق والجنوب نجد الشعوب التي تعتنق الاسلام والتي تعمل جهدها للتخلص من نفوذ الاجنبي وفي الشمال والغرب نجد الدول المسيحية ذات الأثر الكبير في توجيه السياسة الدولية في البحر المتوسط. ومن هذه الدول ظهرت الآراء الجديدة التي كانت سبباً في اضطراب مياه هذا البحر. وتتلخص هذه الآراء في مبدئين هامين: الاول مبدأ التوسع والتسلط في الحكم وتنادي به إيطاليا: والثاني مبدأ الاحتفاظ بالحالة الحاضرة والديمقراطية في الحكم وتنادي به انكلترا وفرنسا. ويعمل الجانبان جهد طاقتهما في اكتساب الانصار فينحاز الى إيطاليا من دول البحر المتوسط المستقلة البانيا وحكومة فرنكو في اسبانيا وينحاز الى جانب بريطانيا وفرنسا اليونان وتركيا ويوغسلافيا ومصر وحكومة اسبانيا الجمهورية. والكفاح بين هذه الآراء قد بلغ منتهى الشدة وليس أدل على شدته مما نرى الآن في اسبانيا من استماتة الجانبين في سبيل النصر. وهو كفاح سيزداد على مر الايام وسيعيد الى الازهان ما كان بين الصليب والهلال في العصور الوسطى

ولا يتطرق الى الذهن ان مجرد التباين في الآراء والمعتقدات بين الامم كاف لاثارة الحروب بل لابد من اسباب اقتصادية او استراتيجية أي حرية تستند اليها هذه الآراء فتدفع بمنتهى الى الحرب. على هذه الاسس قامت الحروب في الماضي وعليها ستقوم في المستقبل. وسرى عند بحثنا في سياسة الدول المختلفة ما للعوامل الاقتصادية من أثر في توجيه سياستها غير ان هناك حقيقة ظاهرة وهي انه ما دامت الدول التوسعية مصممة على تنفيذ سياستها وما دامت الدول الديمقراطية لا تريد ان تمس الحالة الحاضرة بأي تغيير فان النزاع بين الفريقين لا بد ان يؤدي يوماً الى الحرب

قواعد السياسة البريطانية

ولنبحث الآن في سياسة الدول التي يهملها البحر المتوسط ولنكتف في هذه المقالة بسياسة كل من بريطانيا وايطاليا

بريطانيا يقولون ان البحر المتوسط هو في منزلة الشريان للامبراطورية البريطانية واطن ان هذا التشبيه مبالغ فيه كثيراً لأنه اذا انقطع هذا الشريان فلن تموت الامبراطورية البريطانية لأن هناك طرقاً أخرى تربط انجلترا بمستعمراتها واهمها طريق رأس الرجاء الصالح الذي استخدمه الانجليز في اثناء الحرب العظمى خوفاً من الغواصات الالمانية التي كانت تملأ البحر المتوسط فأُسفر استعماله عن نجاح تام. حقاً ان السرعة عامل مهم في عالم التجارة والحركات العسكرية ولكن الوقت الذي يستغرقه طريق رأس الرجاء الصالح الآن لا يزيد كثيراً عما كان يستغرقه طريق البحر المتوسط وقناة السويس عند بدء استعمالها

ولكننا اذا انتقدنا قولهم ان البحر المتوسط شريان للامبراطورية البريطانية فلا نستطيع ان نشكر انه طريق سلطاني مهم يقرب المسافة بين بريطانيا واجزاء امبراطوريتها تقريباً فتوقف عليها سلامة هذه الأجزاء في وقت الحرب. فبواسطة البحر المتوسط وقناة السويس تستطيع انجلترا ارسال جيوشها في زمن قريب الى نقط الضعف التي تتطلب المدد والمعونة

لذلك كان من الطبيعي ان تعمل انجلترا على المحافظة على هذا الطريق بانشاء محطات تكون لها بمنزلة نقط بوليس لتأمين الطريق ضد العابثين. ومن حسن حظها ان جاءت مواقع المحطات في نقط استراتيجية على درجة عظيمة من خطر الشأن فلها جبل طارق على الباب الغربي وعدن وجزيرة برين عند مدخل باب البحر الاحمر ولها عند مدخل البحر المتوسط من الشرق فلسطين وحليفتها مصر التي تملك قناة السويس. ولها وسط البحر جزيرة مالطة ثم لها قبرص

وامتلاك انجلترا لكل من هذه المحطات علامة على تطور خاص في الموقف الدولي ويكفي ان نقول كلمة عن كل منها

﴿ جبل طارق ﴾ اما جبل طارق فقد احتلته إنجلترا سنة ١٧١٣ بمقتضى معاهدة آرخت التي انتهت بها حرب الوراثة الاسبانية وكانت إنجلترا قد خشيت انضمام قوات فرنسا واسبانيا ضدها بعد ان صار حفيد لويس الرابع عشر ملكاً على اسبانيا كذلك ارادت إنجلترا ان يكون لها قاعدة بحرية بعد ان اتسع ملكها في الشرق على اثر إنشاء شركة الهند الشرقية ويعتبر جبل طارق معقلاً متيناً للانجليز يضربون به المثل في الثبات والمتانة ويبلغ عدد سكانه ٢١٦٠٠٠ منهم ١٥٠٠٠ تقريباً من الاسبان والايطاليين واليهود وهم جميعاً موالون لبريطانيا ولا خوف منهم في أي وقت . وأهم عيب في هذا الحصن أن أرضه جبلية ولا تصلح لاقامة المطارات ضمناً لمكانة إنجلترا في جبل طارق راعت حكومتها عند توزيع مناطق النفوذ بين فرنسا واسبانيا أن (سبتة) والأقليم المقابل لجبل طارق في يد اسبانيا وهي الدولة الضعيفة حتى لا تقوم قاعدة بحرية فرنسية تنافس جبل طارق وتعرقل سير الملاحة البريطانية في مضيقه

﴿ مالطة ﴾ لما اتجهت أنظار الانجليز الى مصر وطريق البر الى الشرق رأوا ضرورة أخذ مالطة من الفرنسيين بعد أن احتلها نابليون لتكون قاعدة بين جبل طارق ومصر وفعلاً لم يجد الانجليز صعوبة في احتلالها سنة ١٨٠٠ وقد تأيّد احتلال إنجلترا لها في مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ ولقد سار الانجليز في حكم مالطة وفق خطتهم التقليدية فلم يتدخلوا في شؤون الدين الكاثوليكي وهو السائد بين السكان كما لم يتدخلوا في استعمال اللغة الايطالية مع الانجليز . وما أنه لايفصل مالطة عن صقلية سوى ٧٠ ميلاً تقريباً فان أثر ايطاليا في مالطة كان عظيماً وبكفي أن تكون الكنيسة ورجالها تابعين لايطاليا أو للبابا وأن تكون اللغة الايطالية لغة الثقافة بين الأهالي واللغة الرسمية في المحاكم مع اللغة الانجليزية لتسدر كمدى تغفل النفوذ الايطالي في مالطة . ولم تكن إنجلترا تهتم بذلك كثيراً حين كانت تربط إنجلترا بايطاليا أو اصر المودة القديمة ، ولكن لما تيسنت إنجلترا ما تكشّهُ ايطاليا من سياسة توسعية ظهرت آثارها للعيان في حرب الحبشة أعادت إنجلترا النظر في سياستها في مالطة فأغلقت المدارس والاندية الايطالية ومنعت اللغة الايطالية من المحاكم واستبدلت بها اللغة المالطية وأبعدت كثيرين من المعروفين بميولهم الايطالية . واندمج الانجليز مع المالطين وقبلوهم في أديتهم وحفلاتهم فاذا أضفنا الى ذلك أن ثروة الجزيرة متوقفة على ما تنفقه بريطانيا على قواتها وما تنفقه الشركات الانجليزية على سفنها التي ترسو بها أدركنا بسهولة سبب ولاء المالطين لانجلترا واستقرار الحالة في هذا الحصن البحري استقراراً يدعو الى الاطمئنان

وهناك رأي بأن مكانة مالطة كقاعدة بحرية منذ أن قوي سلاح الطيران قد أخذت تناقص ويستدلون على ذلك بأن إنجلترا لما حشدت أسطولها في أثناء الأزمة الحبشية وأزمة سبتبر

الماضي فضلت أن يكون ذلك في ميناء الاسكندرية بدلاً من مالطة حتى لا يتعرض الاسطول لهجوم سلاح الطيران الايطالي. ولكن هذا لا يؤثر في مكانة موقع مالطة الحربي وسط منطقة تشبك فيها مصالح ايطاليا في صقلية وفرنسا في تونس وقد اهتمت بريطانيا أخيراً بتحصين الجزيرة وتعزيز حاميها وانشاء مطار بها

أما قبرص فعهد انجلترا بحكمها حديث نوعاً. استأجرتها من تركيا سنة ١٨٧٨ عقب انتهاء مؤتمر برلين الذي وضع حداً لمطامع روسيا في تركيا وكانت قناة السويس قد افتتحت سنة ١٨٦٩ واشترى دزرائيلي أسهم الخديو سنة ١٨٧٥ فكان لا بد لانجلترا من قاعدة بحرية قريبة من القناة وتشرف منها على أملاك الدولة العثمانية في الشرق. والقبرصيون من صميم اليونان جنساً ولغةً وميولاً سياسية ويودون لو أمكنهم الانضمام الى أمم الكبرى بلاد الاغريق ويعزز مقام الانكليز بالجزيرة وجود أقلية من الاتراك يبلغ عددهم ٦١,٠٠٠ وهم موالون للانكليز وعدد القبرصين ٣١٠,٠٠٠

ولم يكن في قبرص ما يدعو الى اهتمام انكلترا بها فابتعت فيها أيضاً سياسة ترك الأمور تجري في أعينها وتركت الدعوة ينشرها القساوسة الاغريق لنصرة سياسة الضم الى اليونان فقامت الثورة سنة ١٩٣١ وهجم الثوار على بيت الحكومة فأحرقوه عند ذلك تنهت انكلترا فاشتدت في حكمها وأخضعت الثوار وأبعدت الاساقفة المحرضين على الثورة ومنعت الأعلام الاغريقية من الظهور وقضت على حركة الدعاية لليونان. ثم جاءت الازمة الحبشية فهدأت كثيراً من حماسة القبرصين لحركة الانضمام الى اليونان إذ وجدوا أنهم في الحقيقة مخيرون لا بين انكلترا واليونان ولكن بين انكلترا وايطاليا. وليس بين ايطاليا واليونان حب مفقود أو غير مفقود فقد حرصت الكنيسة الارثوذكسية على تنشئة الشعب على كره ايطاليا كما أن الاغريق لم ينسوا ضرب ايطاليا جزيرة كورفو سنة ١٩٢٣ تهديداً لليونان. لذلك يكتفي القبرصيون الآن بالعلاقة الروحية وبالحب الافلاطوني بينهم وبين أممهم. وأما العلاقة السياسية فيختصون بها انكلترا لأنها أقدر على ملء جيوبهم مالا وقلوبهم طمأنينة

﴿فلسطين﴾ : والآن نصل الى صخرة تصطبغ حولها مياه البحر المتوسط وتتكرر عليها أمواجه ألا وهي صخرة فلسطين فقد أصبحت فلسطين منذ الثورة الاخيرة التي قامت سنة ١٩٣٦ أضف نقطة في جسم الامبراطورية البريطانية. والمدعش أن بريطانيا لا تهاض الفلسطينيين دفاعاً عن كيان الامبراطورية ولكن مدفوعة بعوامل تاريخية وانسانية نحو طائفة معينة ويرجع تاريخ هذه المسألة الى سنة ١٩١٥ في أثناء الحرب العظمى إذ استغل الحلفاء شعور العرب بالجامعة العربية ضد الاتراك حلفاء الالمان واستمالوهم الى جانبهم فعقد السر هنري ماكماهون

معتمد انكلترا في مصر مع الملك حسين اتفاقاً سرّياً وعد فيه العرب بالاستقلال بعد الحرب. وفي سنة ١٩١٦ عقدت معاهدة سرية أيضاً بين انكلترا وفرنسا تعرف باسم منشئها Sykes-Picot وبمقتضاها تأخذ انكلترا من أملاك تركيا في الشرق، العراق بما فيه بغداد والبصرة وتأخذ فرنسا سوريا بما فيها اسكندرونة وعكا. وفي سنة ١٩١٧ أعلن وعد بلفور ويقضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين

ويلاحظ ان هذه الاتفاقات السرية والعلنية كانت مبهمّة وغير محدودة المعنى ففي الاتفاق مع العرب لم تبيّن حدود الدولة العربية المستقلة كما أن الاتفاق مع فرنسا على ان تأخذ سورية لم يكن ليتفق مع الوعد بإنشاء دولة عربية مستقلة
اما وعد بلفور فلم يبين فيه المساحة التي سيدخلها الوطن القومي ولا عدد اليهود الذي يسمح بهجرته الى هذا الوطن

وقد كان من رأي اليهود في ذلك الوقت ان يأخذوا تصريحاً بأن تكون فلسطين وطناً قومياً فلم يفوزوا الاً بإنشاء وطن قومي في فلسطين والفرق بين المعنيين ظاهر. ولو ان الحلفاء بروا بوعدهم للعرب فأقاموا دولة عربية واحدة او اتحاداً عربياً من سوريا وفلسطين وشرق الأردن لما قامت مشكلة الصهيونيين الحالية لأن اليهود الذين عاشوا مع العرب كأصدقاء قروناً طويلاً كانوا يستطيعون ان يوزعوا انفسهم في جهات عدة من الدول الجديدة بدلاً من حصرهم في هذا الاقليم الضيق من الأرض

ويظهر ان الانكليز ارادوا ان يتخلصوا من الفلسطينيين واليهود مرة واحدة فوضعوا في هذا المأزق كما كان يفعل قضاة العصور الوسطى اذا ارادوا عقاب النساء المشاغبات فكانوا يحجزون كل اثنتين في حجرة واحدة فأمّا ان تصطلحا واما ان تمزق إحداها شعور الأخرى! وتواجه انكلترا الآن في فلسطين مشكلة من أعقد المشكلات اذ كما يهيم انكلترا ارضاء العالم الاسلامي بانصاف اهل فلسطين فكذلك يهيمها ألاّ تقضب ملوك المال من اليهود في اوربّا واميركا والخلاصة ان مركز بريطانيا في البحر المتوسط لا خوف عليه مادامت اسبانيا بحالتها الحاضرة ولا يضعف من مركز بريطانيا سوى مشكلة فلسطين ولذا يبدو ان حلها سيكون سرّياً
اما ما يقول بعضهم من ان بريطانيا بالمحافظة على نفوذها وممتلكاتها في البحر المتوسط تعرض نفسها لهجوم منافسيها وتحمل نفقات باهظة هي اولى بصرفها في جهات اخرى ولذلك فهم ينصحون بانسحاب بريطانيا من البحر المتوسط فقول لا قيمة له

١— لأن بريطانيا اذا تركت البحر المتوسط رغبة في صون السلم فإنها بذلك تمهد الطريق فوراً لأحلال دولة اخرى محلها وبذلك يختل التوازن الدولي وتقوم الحرب التي تعمل على تقادها

- ٢ — اذا تركت انككترا البحر المتوسط تركها حلفاؤها فيه وصعب عليها ايجاد غيرهم اذا قامت الحرب
- ٣ — ان اقتصار انجلترا على ممتلكاتها فيما وراء البحار من غير ان يكون لها في البحر المتوسط مصالح حيوية يحولها في الحال الى دولة ساحلية من الدرجة الثانية في المقام وتصبح شبه هولندا في اوربا وهي تملك مستعمرات كثيرة وراء البحار
- ٤ — ولا ننسين ان طريق البحر المتوسط يمر على سواحل دول متعددة واستمرار الملاحة والتجارة من هذا الطريق يكون في منزلة اعلان العالم بعظم نفوذها ورواج بضائعها
- ٥ — وأخيراً لا ننسين ان بريطانيا تعتبر نفسها دولة عالمية وقد اصبح البحر المتوسط بعد ان اعلنت اميركا مبدأ عزلتها السياسية عن القارة واتبعت سياسة الحواجز الجمركية في الداخل من اهم المراكز السياسية والاقتصادية في العالم فاذا نزلت بريطانيا عن نفوذها في البحر المتوسط فكأنها نزلت عن مكانتها الممتازة بين الدول

اتجاه السياسة الإيطالية

نتقل الآن الى سياسة ايطاليا في البحر المتوسط وهنا نرجعنا صيحة ايطاليا التي لا تنقطع فهي تادي بكل صوتها ان البحر المتوسط هو بحرنا وعليه يطلقون في كتبهم ومقالاتهم وكلامهم Mare Nostrum اي بحرنا ويعتمدون في ذلك على ان سواحل ايطاليا تغمرها مياه البحر المتوسط. ولكن في هذه التسمية مبالغه كما قلنا في حكاية الشرير بالقياس الى الامبراطورية البريطانية حقاً ان لايطاليا سواحل يبلغ طولها ٢٥٠٠ ميل مغمورة بالبحر وان الرومان القدماء سيطروا على البحر المتوسط واقاموا على سواحل دوله رومانية استمرت عدة قرون حتى انك تخضر في اي ناحية من سواحل البحر فلا بد انك واجد اثرأ رومانياً

وحقيقة ان الخلق الايطالي ومستوى معيشة الايطالي وقدرته على الاندماج في شعوب البحر المتوسط تقربه الى نفوس هذه الشعوب وتميزه عن اهل الدول الكبرى الاخرى، ولكن نفوسهم «بحرنا» فيه مس لشعور دولة صديقة كصر يمتد ساحلها من السلوم الى جنوبي سواكن اذ البحر الاحمر ليس الا امتداداً للبحر المتوسط، ولمصر في البحر المتوسط والبحر الاحمر تاريخ مجيد قديماً وحديثاً — قديماً حين كانت مصر ترسل اساطيلها في عهد الملكة حتشبسوت منخرعاب البحر الى بلاد «پنت» وهي ارض الصومال التي تحتلها ايطاليا الآن — وحديثاً حين كانت مصر في عهد محمد علي ثالث دولة بحرية في البحر المتوسط بعد انجلترا وفرنسا وحين كانت تحكم سوريا ولبنان وفلسطين وبلاد العرب وجزءاً من آسيا الصغرى وكريد

وحين احتلت جنودها في عهد الخديو اسماعيل مصوع وهرر وزيلع وبربرة ووصلت مناراتها السبع على ساحل البحر الاحمر جنوباً الى بربره
واذا كان الايطالي يمتاز على الآخرين بأنه أقرب الى قلوب أهالي البحر الايض من غيره
فأنا من هذه الشعوب نفسها لهما ودماً ودينها دين الاكثرية وثقافتنا قد نفذت الى قلوب هذه
الشعوب قبل أن تنفذ الكتب الايطالية الى حوائثهم

تقول ايطاليا أنها في البحر وسط الطريق وهذا حق اذا اعتبرنا البحر المتوسط وحده
ولكننا اذا اعتبرنا البحر الاحمر امتداداً للبحر المتوسط فتكون مصر لا ايطاليا هي القاضية
على أوسط مكان في البحر وليس أدل على مكانها المتوسط من وجودها في مفترق الطرق بين
القارات الثلاث ويكفي أن تكون مصر هي المالكه لقناة السويس التي هي مصدر الحياة والنشاط
السياسي والتجاري لهذا البحر لتقول بملء فيها أن البحر المتوسط لها قبل أن يكون لغيرها
كانت ايطاليا تقول منذ سنتين مضت أن البحر المتوسط يجب أن يكون بحيرة ايطالية ولكنها
الآن بعد أن ضمت الحبشة فقد أصبح البحر لها كما هو لا نكلترا وفرنسا طريق مواصلات قبل
أن يكون بحيرة. ولهذا اتجهت أنظارها أخيراً الى التدخل في شؤون قناة السويس وغيره من
المسائل الخاصة بالمواصلات

والحقيقة أن ايطاليا من حيث موقعها في البحر المتوسط في موقع لا تحسد عليه اللهم إلا اذا
كانت السيادة البحرية لها فهي كباقي بلاد البحر المتوسط تحتاج الى كثير من المعادن والخامات
الاولية ولا يمكنها الاعتماد كلية على ما تنتجه البلاد القريبة منها كالمانيا مثلاً بل لا بد لها من استيراد
أشياء كثيرة مثل الفحم وزيت البترول والقطن والمطاط والبن والقصدير. وهذه الأشياء ترد إليها
أما عن طريق القناة وأما عن طريق جبل طارق وتبلغ نسبة ما يرد الى ايطاليا من خارج البحر
المتوسط ٧٥٪ من وارداتها ونسبة ما يرد من ذلك عن طريق جبل طارق ٧٠٪ وعن طريق السويس
١٧٪ وعن طريق الدردنيل ١٣٪ لذلك تضطر ايطاليا الى أن تولي وجهها شرقاً نحو السويس
وغرباً نحو جبل طارق والمفتاحان بيد بريطانيا أو حلفائها ولا أجل أن تكون ايطاليا على
استعداد وجب أن تكون لها قوة دولتين بحريتين حتى تستطيع مراقبة الموقعين من الشرق
والغرب وهيئات أن يتم لها ذلك لاسيما وأن التسليح في بريطانيا وفرنسا جار على قدم وساق
وكل ما تستطيع ايطاليا في مركزها الحالي اذا جاءت ساعة الخطر ان تعرقل حركة المرور
في البحر المتوسط وذلك بالاكثر من السفن السريعة الخفيفة والغواصات التي ثبت في
الحرب العظمى أنها تستطيع ان تعوق الملاحة في البحر المتوسط ولكن سلاح الغواصات تستطيع
استعماله أية دولة ولو لم يكن لها سواحل على البحر المتوسط بدليل ما قامت به الغواصات الالمانية

في هذا البحر في أثناء الحرب، كذلك تستطيع إيطاليا الضغط على إنجلترا وحليقتها مصر غرباً من طريق ليبيا ومن الجنوب الشرقي من طريق الحبشة وأترية والصومال وبذلك تكون مصر والسودان مهددين بعدو واحد من جهتين مختلفتين وهذا يفسر اهتمام إيطاليا بحشد قواتها في ليبيا والحبشة في أثناء الأزمات. يقابل ذلك أنه إذا أعلنت بريطانيا الحصر البحري على إيطاليا تعذر عليها استيراد ما تحتاج إليه من الخارج كما يتعذر عليها الدفاع عن مستعمراتها خارج البحر المتوسط بدليل أن ألمانيا لم تستطع الاحتفاظ بمستعمراتها أمام قوة إنجلترا البحرية.

لذلك كان اهتمام إيطاليا بمساعدة القوات الوطنية في أسبانيا إذ هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها إيطاليا أن تنفذ إلى خارج البحر المتوسط ما دامت القناة وجبل طارق في أيدي الآخرين. وتستند قوة إيطاليا في البحر المتوسط إلى الدعامات الآتية :

١ - **البانيا** : وهي مرتبطة منذ سنة ١٩٢٧ مع إيطاليا بمعاهدة دفاعية لمدة عشرين سنة ولايطاليا في البانيا رؤوس أموال كبيرة معظمها في السكك الحديدية والطرق والاشغال العامة ولها خبراء في المصالح الحكومية

ومكانة البانيا من الوجهة الحربية أن مرتفعاتها تتحكم في بوزغاز أرتو مفتاح البحر الادرياتي إلى البحر المتوسط وبوزغاز أرتو الذي يفصل إيطاليا عن البلقان هو المنفذ الوحيد ليوغوسلافيا إلى البحر المتوسط وعرضه ٤٥ ميلاً . ولا بانيا ميناء أن حريان فالونا ودورازو . وفضلاً عن ذلك فقد كشفت أخيراً آبار لزيت البترول تستغلها إيطاليا وتنتج مقدار ٣٠٠.٠٠٠ طن سنوياً وهو ١٠٪ مما تستهلكه إيطاليا سنوياً من البترول . وتتبع البانيا سياسة موالية لايطاليا فهي لم تشترك في ميثاق البلقان الذي يجمع بين تركيا ورومانيا واليونان ويوغوسلافيا كما أنها لم تشترك في تنفيذ العقوبات الاقتصادية ضد إيطاليا في أثناء أزمة الحبشة

٢ - **جزيرة بنتلاريا** : وقد ظهر ما لهذه الجزيرة من الشأن الكبير في السنوات الثلاث الأخيرة إذ تقع هذه الجزيرة في موقع استراتيجي هام بين صقلية وتونس ويبلغ ارتفاع صخورها ٢٥٠٠ قدم وبالجزيرة بحيرة صغيرة تصلح لاقامة قاعدة جوية للطائرات البحرية وقد سارعت إيطاليا في تحصين هذه الجزيرة فأصبحت من أهم قواعد البحرية في البحر المتوسط . وقد حظرت مرور الطائرات من فوقها

٣ - **جزيرة رودس وجزر الدودكانيز** : ومركز إيطاليا في هذه الجزر مهدد من ناحية تركيا التي كانت تملك هذه الجزر ولا تزال ترنو إليها لقربها من سواحل آسيا الصغرى ولوجود أقلية تركية في رودس . وكذلك يميل سكان هذه الجزر من الأغريق إلى الانضمام إلى أهم الكبرى اليونان . وأهمية هذه الجزر وباقي جزر الأرخبيل في الحرب أنها تصلح أن

تكون مخابيء للغواصات والمدمرات وغيرها من السفن الصغيرة السريعة
 ٤ — ﴿ليبيا﴾ وقد اصبحت الآن مركز إيطاليا فيها آمناً وقوياً بعد ان كان مهدداً في
 الداخل بقيام السنوسيين ضدّهم . وقد انشأوا أخيراً طريقاً ممهداً قرب الساحل من حدود
 تونس الى حدود مصر يبلغ طوله ١٢٠٠ ميل كما انهم اقاموا اسلاكاً شائكة مزدوجة على الحدود
 الشرقية يبلغ طولها ٢٢٠ ميلاً ويحاول الايطاليون الآن بمختلف الطرق كسب قلوب الأهالي

وليس لإيطاليا خطة سياسية معينة تنتهجها فليس بينها وبين إحدى الدول عداوة مقيمة كما
 أنه ليست لها صداقة مقيمة مع أحداها رغم قيام محور برلين روما . ولا يزال موسوليني بعد
 فتح الحبشة متردداً بين رأيين الأول يقول بضرورة التفاهم مع الديمقراطيات الكبرى حفظاً
 للإمبراطورية الإيطالية الناشئة التي لا تستطيع البقاء اذا قامت الحرب وكانت إيطاليا في غير صف
 بريطانيا وفرنسا، وحجة انصار هذا الرأي ما يتوجسونه من أثر زيادة قوة ألمانيا عند حدود
 إيطاليا الشمالية بعد ضم النمسا والسوديت وبعد تغلغلها سياسياً وتجارياً في وسط أوروبا وشرقها.
 والرأي الثاني يقول بضرورة استغلال الفرص والمحافظة على محور برلين روما وخلق الاهداف
 والغايات امام الشعب الإيطالي حتى لا تخمد حماسه وتضعف رسالة الفاشستية

ولا إيطاليا على سواحل البحر المتوسط أكثر من ٢٠٠.٠٠٠ إيطالي يسكنون أرجاءها المختلفة
 من هؤلاء نحو ٩٠.٠٠٠ في تونس و ٦٠.٠٠٠ في مصر ومعظم هؤلاء من العمال والميكانيكيين
 واصحاب المطاعم والفنادق وليست لهم مصالح حقيقية ذات قيمة اذا قوبلوا بالفرنسيين أو
 البريطانيين ولكن إيطاليا تعني برجالها الآن أشد عناية وتعمل على تدريبهم وزويدهم بمختلف
 المساعدات من سياحات إلى إيطاليا ودخول في جامعاتها إلى إنشاء الأندية وإقامة المباني لهم
 وقد ارتفع ذكر إيطاليا أخيراً وصارت لها مكانة بين الأهالي تداني مكانة بريطانيا وفرنسا
 لا بسبب الدعاية التي ينشرونها في الصحف ولا بواسطة الراديو ولا بسبب المدارس
 والجامعات التي يفتحون أبوابها لمن يريد ولكن لسبب واحد له أثره الفعال في نفوس عامة
 الناس وهو النصر الذي أحرزته في حرب الحبشة والموقف الذي وقفته إيطاليا وتحدث به اجماع
 الدول تقريباً ضدها

وهناك سبب معنوي آخر له قيمته بين الشعوب التي تعمل على التوسع وهو روح الثقة
 والایمان التي عملا الشعب الإيطالي الآن ايها وجد فالجميع لهم قبلة واحدة هي دولة روما
 ولهم دين وطني واحد هو الفاشستية ورسول واحد يقودهم إلى النصر ويكاد في نظرهم يكون
 معصوماً من الخطأ

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

بين النقر والنقر

حول « اعترافات في العصر » و« هكذا تكلم زرادشت »

في الصفحة ١٣٠ من مقتطف يناير كلة
للاستاذ حبيب الزحلاوي عن ترجمتي لزرادشت
ولاعترافات في العصر اوردها بعد مقدمة
أعلن فيها ان لديه عشرة كتب مترجمة يعد العدة

هذا له قيمته ولكن في غير
مجال النقد الصحيح الذي يقوم
عليه اصلاح الاخطاء ومعارضة
الشذوذ في كل فن

ولو ان الاستاذ الزحلاوي
من طغمة القراء المتمتعين لا من
عداد الكتاب المفكرين لكاننا
نغتفر له ابداء التحيز وبذله

الاستهجان دون ان يعلم سبباً لتحيزه
واستهجانه

ومن غرائب النقد أن يقول لك كاتب ما
قاله صديقنا من انه لا يرد شكه وظنونه
« الا بقيام الدليل على صدق الترجمة وصحتها
وهي الاصل في عمل الترجمة »

وما نعلم ان الشك والظنون المبذبة على التوهم
يحق لها المطالبة بقيام الدليل على بطلانها

تلقينا من العلامة اللغوي
الاب انستاس ماري الكرملي
رسالة يناقش فيها ما جاء في
المقتطف الماضي عن كتابه
« نشوء اللغة العربية »
فارجأنا نشرها للعدد القادم
آسفين اضيق المقام

لوقوف حياها وقفة الناقد الصارم
ليحاسب ترجمتها « بالدقة والضبط
دون هواة ولا يحزن »

وقد توقعنا بعد هذه المقدمة
ان اجد ما اتوق اليه من درس
وخليل للترجمة يظهران نواحي
السطط والضعف فيها

وعهدي بالزحلاوي طمأحا الى

مجاراة كبار الناقدين فاذا به يأخذ بتقدير مطلق
فيقول انه وقف طويلاً عند كتابي راجع
الأصل الفرنسي ويقارنه بالترجمة العربية فتبين
له ان مترجم « رولا » الصادق الذي استطاع
ان يسير مع موسيه على نفس واحد في مراحل
الفصيدة الكبيرة كلها لم يؤات له التوفيق كله هذه
المرّة. اما عن ترجمة نيتشه فيقول ان المترجم
لم ينسر له قراءة سائر كتب المؤلف ولو انه

في شرعة اي بلد أو أي عصر ورد النص على تكليف المدعى عليه إقامة الدليل
ان الاصل المترجم عنه والترجمة امام ناظري حضرة الناقد وما نحن ممن يدعون
العصمة عن الزلل فليتفضل وليد لنا ان « لم يسعفنا استعدادنا النفساني » على نفوذ فكرة
المؤلف واين برزنا نحن لنخفيه ...

لو ان صديقنا الناقد أتى بأمثلة على ما يقرر ودلنا على المواضع التي قصّرنا فيها والمواقف
التي طغينا فيها على نيتشه وموسيه لكان تفضل على الأدب وهدانا الى التصحيح وما يسنكر
على المنطق والدليل الحق إلا الجاهلون

وعسى الصديق يبذل شيئاً من جهده في هذا السبيل وعساه يتخذ هذه الطريقة المثلى في
نقده للمكتب الثمانية الباقية فلا يتعسف في احكامه على مترجمها ، إن للأدب محاكمه وقضاة فلا
يقوم طاغية في دولته

وأخيراً نستطيع صديقنا الحاكم علينا بمثل هذا التسرع ان نسأله عما دعاه الى الظن « الكبير »
باننا لم نقرأ من نيتشه إلا كتاب زرادشت الذي أقدمنا على ترجمته واكثر مؤلفات هذا
الفيلسوف موجودة في مكتبتنا منذ عهد بعيد ثم ما لنا قد يهم بسائر كتب المؤلف فاذا كان يعتقد
أننا لم نفهم زرادشت فكيف يحسن بنا الظن ويترأى له أننا كنا سنفهم كتاب « ما وراء الخير
والشر » مثلاً ؟ ان نيتشه هو نيتشه في كل مؤلفاته ومن يقصر في فهم زرادشت فلا بد له من
الوقوف عاجزاً أمام « مشيئة القدرة » و « فجر الاصنام ». ونحن لم نعثر فيها طالعنا لكبار النقاد
على ما قاله ناقدنا من ان جميع مؤلفات نيتشه تعد كمفاتيح لزرادشت وهب أن أحدهم قال بهذا فان
لنا نحن أيضاً ان نقول ان في زرادشت من الجلاء في بعض فصوله ما يعين القارئ على فهم
الغامض في سائر مؤلفاته الاساسية. وليس في هذه المؤلفات كلها ما يحلج عنك ما غمض من أقوال
زرادشت ولصديقي الزحلاوي ان يقرأ كتاب السيدة لو أندرياس سالومه عن عاشقها فريدريك
نيتشه فقد حلت هذه الكتابة التي خشعت عبقرية الحيار أمام عبقريتها فلسفة محبها ورفيقها تحليلاً
لم نقرأ خيراً منه فكانت كلما وقفت أمام عقبة من تعاريج هذه الفلسفة رجع الى زرادشت أولاً ثم
الى سائر الكتب لتذليل صعبها

وعلى كل فها كنا ملزمين نحن بالرجوع الى أي تأليف لنيتشه عند ترجمتنا زرادشت

لان مهمتنا كانت قاصرة على نقل ما في هذا الكتاب الى العربية دون أن تتخطى دائرته
فكبراً وتعبيراً

أما ما يقوله الناقد في ترجمتنا للاعترافات من أننا تهانونا فيها تهانواً لا يرضاه لنفسنا لانتا كنا
على زعمه نترجم الفصل منها بنصف ساعة فقول مجرد عن كل دليل ونحن نصرح هنا أننا لو اعدنا
طبع الاعترافات فلن نستطيع تبديل شيء فيه كما يظن لانتا ترجمنا الكتاب وطبعناه تحت اشرافنا
وراجعنا نماذجه ثلاث مرات ، هذا ماوصلنا اليه وهذه هي طاقتنا فان تفضل الناقد أو أي
أدب آخر بتصحيح فاتنا نأخذ به ونشير الى مصدره شاكرين له معاومتنا في عمل ان كان
منه فائدة فهي ذاهبة الى محجة كل ادب ومستقرة في رغباته لا في الزمان
ثم ان الناقد يلومنا زاعماً اننا اتهمنا شيبينا بضلالات عصر موسيه وشكوكه والحاده ، ولو
انه رجع الى تمهيدنا لوفر على نفسه هذا النقد الفاضل لانتا قلنا بصراحة : اما هنا فداء العصر
« عصر موسيه » لم يزل يراود الشيبية وعواطفها مراودة لا تستسلم لها العقول والقلوب فان
شمس هذه السماء لم تشرق يوماً على جيل جحد ربه وقتل صيانة حبه بالقضاء على غيرته المقدسة
وقد اختتم صديقنا جميع هذه الانتقادات بقوله انه لم يكن لمصطفى صادق الرافعي او
لسواه من ذكرنا في تمهيدنا لترجمة زرادشت ان يحفزنا الى هذه الترجمة فان من هذان الى نيتشه
ورينان واضراهما انما هو فرح انطون

فهل يريد الناقد ان يقول ان احداً لم يكن ليعرف فلاسفة الغرب لولا المرحوم فرح ؟ ان
هذا العبقرى الكبير عاش قبلنا فكان من الطبيعي ان يقرأ نيتشه وغيره قبل ان قرأه من جاؤا
بعده ولا نعلم لماذا يريد الصديق الزحلاوي ان ينكر على اعلام من الأدب العربي ان يكونوا
من رغبوا لنا في ترجمة زرادشت أثناء محادثة جرت بيننا كما ذكرت في تمهيد الترجمة

هذا ما رأينا إرادته بصدد نقد صديقنا الزحلاوي الذي كتبه ولاشك في ساعة ملال في
حين كنا ننتظر منه نقداً يهدينا الى مواطن الخطأ ولعله فاعل في عودة الى زرادشت
والاعترافات او لعله على الأقل يأخذ بما عرضناه على رويته عندما يتناول بنقده الكتب الباقية
الاسكندرية

فليكس فارس

كيف ترور الارض حول الشمس

إذا تأملنا في أي رسم للفصول الأربعة نجد أن ميل محور الأرض الثابت في جهة واحدة له تغييرات أربعة بالنسبة للمدار وهي أولاً مائل داخل المدار وثانياً مائل جهة السير في المدار وثالثاً مائل خارج المدار ورابعاً مائل جهة عكس السير في المدار - ولو طبقنا هذا الفرض على العمل لما وجدناه ينطبق تمام الانطباق . مثال ذلك : إذا نظرنا إلى السماء ورأينا الطيور والطائرات وهي طائرة في الفضاء (هذان مثلان يمثلان الحقيقة لدوران الأرض حولها في الفضاء كالارض) ثم نظرنا على الأرض ورأينا الفطار والترام نجدها كلها إذا دارت في دوائر أو في انحناء أو في مدار كمدار الأرض أن محاورها جميعاً تكون مائلة داخل هذه الدوائر ما دامت تسير فيها وإذا غيرت مثلاً هذا الميل لمحاورها من داخلها إلى خارجها (وهذه صفة من الصفات الأربع التي اختص بها ميل محور الأرض وهو في نفس المدار كما بينا سابقاً) خرجت من السير أو الدوران فيها إلى أخرى غيرها أي إلى دوائر أو انحناء أو مدارات أخرى . هذه أمثلة نجد فيها الطبيعي كالطيور والصناعي كالمطارات التي هي وليدة العلم وتطبيق العلم على العمل والتي فيها أثبت العلم بصفة عملية أنه لا يمكن إيجاد دوران أو انحناء بدون ميل لمحاورها داخلها ولم يكن العلم قد أثبت هذا في الفضاء فقط وإنما أثبت أيضاً على الأرض في قضبان الترام والسكك الحديدية في جعلها منخفضة قليلاً عن الأخرى المقابلة لها والخارجية للدوران أو الانحناء

رى مما تقدم أن ما جعل مهندسي الطائرات والترام والفطار أن يميلوا محاورها داخل الدوران أو الانحناء كي يحصل الدوران أو الانحناء لم يكن عن جهل وإنما أملوها عن علم درسه فهو ميل اجباري لا اختياري . ومن حيث أن مجرد ميل محور الأرض لا دخل للجاذبية فيه ولا هو طبيعي لأن الطبيعي هو الاستواء فميل محورها إذن مسبب لذلك يجب أن تخضع للنظام السابق وهو أن يكون محورها دائماً مائلاً داخل المدار مادامت هي الأرض تدور في نفس المدار حول الشمس . وبالتجربة نجد أن هذا الميل لم يكن كافياً في تكوين الفصول الأربعة إذن يجب أن نبث عن كل ما يسبب الميل لنجد سبباً آخر يتم به الميل الأول وهو الناتج من الدوران والذي هو جزء من الحقيقة حتى تحصل الفصول — أما أهم ما يسبب الميل فالآتي : —

(١) ميل ناتج من عدم تساوي أجزاء أخرى مقابلة لها (٢) ميل ناتج من الدوران (٣) ميل ناتج من وضع أشياء على سطح غير مستو (٤) ميل ناتج من الصعود والهبوط في منحدر (ويحصل في الفضاء وعلى الأرض وفي الماء) وبعد الاختبار نجد رقم (٤) متجهماً لرقم (٢) حتى تحصل الفصول

اذن مدار الارض يجب ان يكون منحدرًا لا أفقيًا . مرتفع من جهة فصل الربيع والصيف ومنخفض من جهة فصل الخريف والشتاء . فاذا سارت الارض في ارتفاع تدريجي من الخط الفاصل بين الشتاء والخريف حتى تصل المستوى الأفقي للشمس ليحصل الربيع ومن هناك تأخذ في الارتفاع تدريجيًا عن هذا المستوى حتى تصل الى الخط الفاصل بين الربيع والصيف ومن عنده تأخذ في الهبوط تدريجيًا حتى تصل الى المكان الذي بدأت منه السير . يلاحظ ان السير في هذا المدار المائل مستوٍ يجعل محور الارض يميل الى اسفل اي الى جهة واحدة مهما صعدت الارض وهبطت فيه ويجعل له نفس التغيرات الاربعة بالنسبة للمدار وهي السابق شرحها ولكن حاصله هنا بصفة علمية عملية لا بصفة فرضية . بقي اشياء اخرى يجب ان اشرحها . سبق ان ذكرنا ان الانحناء او الدوران يسبب الميل ولكن ميل الانحناء يكون اقل بكثير من ميل الدوران ويمكن ملاحظة ذلك في الامثلة السابقة . ولما كان مدار الارض عبارة عن خطين بهما انحناء قليل عند الاعتدالين فالسير عندهما بسبب ميلاً قليلاً وكذلك السير عند الانقلابين بسبب ميلاً كثيراً لانهما حزين من دائرتين فيل محور الارض الثابت في جهة واحدة يميل قليلاً من نمرة (٢) داخل المدار عند الاعتدالين . ويميل منها اكثر (٢) عند الانقلابين ولكن يكون عندهما صالحاً في تكويناها لاني قد وجدت بالتجربة ان بعد الكرة الارضية في ارتفاع او في هبوط عن المستوى الأفقي للشمس بسبب هبوط اشعة الشمس قليلاً من عالياها الى اسفل عما لو كانت على استواء هي والشمس قليل الناتج من الدوران وهو نمرة (٢) يكون معوضاً لما فقدته من نقص في اشعة الشمس عند الصيف الذي احدثته نمرة (٤) وتنقص نمرة (٢) ايضاً ما قد زادت الارض من ظلام عند الشتاء الذي احدثته ايضاً نمرة (٤) فيل المحور اذن لم يكن مستقرّاً على حالة واحدة . بقي شيء آخر هم تقوم به ايضاً نمرة (٢) وهو ان الارض اذا كانت مثلاً على مدارها وقت الخريف ومددنا محورها المائل في جهة واحدة الى اعلا المدار في خط مستقيم ثم مددناه بالوصف السابق وهي في الربيع الى اعلا المدار في خط مستقيم لتقابل المستقيمان بالنسبة لميل كل منهما جهة الآخر من نمرة (٢) فيحصل من التلاقي وجود نجمة قطبية شمالية بالنسبة لوجودها عندهما . واما اذا مددنا المستقيمين الى اسفل من نفس المكانين السابقين فلن يتقابلا مهما مددناهما وعدم التلاقي او التقابل لا يارض طبعاً عدم وجود نجمة قطبية جنوبية بل يكون هناك فقط نجوم تدور في دوائر ولا تقرب عند القطب الجنوبي كاتي حول النجم القطبي الشمالي وجميع السيارات تنصف بهـ اذا اوصف لدورانها في شبه دوائر حول الشمس

سراي القبة

محمود متولي علي

مكتبة المقتطف

مستقبل الثقافة في مصر

للدكتور طه حسين بك

جزآن في ٥٥٠ صفحة ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

لا نعرف موضوعاً متعلقاً بالناحية الفكرية اعظم خطراً من موضوع الثقافة في مصر ولون اتجاهها فضلاً عن انه مشكلة الساعة . ونظن الدكتور طه حسين بك من احق الناس في معالجته وأقدرهم على النظر فيه ، ذلك بأنه عميد كلية الآداب ومعنى هذا انه من اصحاب أمر الثقافة العالية وبأنه واقف على الطباع العقلية لآباء مصر ومطلع على ما يجري في ميدان الفكر في البلدان الاوربية

والكتاب غزير المادة مشبع الفصول مسير الى نتائج قائمة

يسهل المؤلف الكلام بحديث الملاءمة بين الحياة المصرية الحديثة ومجد مصر القديم ويجرّه هذا الى الفحص عن العقل المصري فيفصل في أن هذا العقل ليس بشرقى بل هو أقرب الى العقل اليوناني للصلات التي قامت بين ارض الفراعنة والبطالسة وارض الاغريق ، وفي رأيه ان الحضارة الاسلامية لم تبعد الذهنية المصرية عن الذهنية الاوربية من حيث ان العقل الاسلامي كالعقل الاوربي يرد الى عناصر ثلاثة : حضارة اليونان ، حضارة الرومان ، الدين . ولولا ان يكون الامر هكذا لما سلخنا من الاوربيين في هذا الزمان الوان حياتهم المعنوية وما تأثروا بنظمهم السياسية وما اخذنا بطرائقهم التعليمية . ويستخلص المؤلف ان مصر ينبغي لها أن تأخذ بأسباب الحضارة الاوربية « في كل نواحي الحياة » من غير تردد ولا ممانعة

ثم ينتقل المؤلف الى مسألة التعليم فيطالب بإشراف الدولة على التعليم العام في جميع المعاهد سواء كانت وطنية او أجنبية ، حرّة او دينية ، على شرط ان يكون المشرفون من صفوة الأمة . ويجب ان ينسب التعليم الاولي على الفقير والغني لان التعليم امر ديمقراطي ، واذا خشي احد البطالة فاما المعالجة من طريقي اصلاح النظام الاجتماعي والموافقة بين التعليم النظري والحياة العملية لا من طريق ايقاف التعليم العام أو تفضيل فئة على فئة

ثم ينظر المؤلف في اضطراب التعليم وينسبه الى رجال الوزارة الفنيين والى المركزية في وزارة المعارف والى اعتداد الناس بالامتحانات وازالها منزلة الغاية لا الوسيلة والى احتكار التأليف المدرسي . ثم يعرض البرنامج الصالح فيطلب تعليم جغرافية البلاد وتاريخها ، واللغات الاجنبية ، وفرض اللاتينية واليونانية على طلبة العلم الخاص ، واصلاح علوم العربية وتبسيطها

ثم يشير الى اعداد المعلمين وواجب الوزارة في سبيل ذلك . كل هذا تمهيداً لاعلاء شأن الجامعة وجعلها مستقر الحضارة العالية ولا يكون هذا الا اذا استقلت مالياً وعامياً ، والجامعة قد بذلت جهوداً محسوسة نافعة . ويجري الكلام بعد هذا على التعليم الديني في الأزهر وعلى مجاراة الأزهر للتحول الاجتماعي على ان يقف عند الاشتراك في الحياة العملية . والتعليم الديني واجب للاقباط كما هو واجب للمسلمين لأن الكنيسة القبطية مصدر ثقافة دينية . ويتلو هذا حديث قوي عن الانتاج في العلم والادب من تأليف وترجمة ونقل . ومما يراه المؤلف ان حظ المشتغلين بالكتابة في مصر ضئيل فعلى الحكومة ان تعاوهم وتشجعهم على التأليف . وأما الاقطار العربية الشقيقة فعلى مصر ان تمد يداً اليها بان تعلم ابنائها سواء في مصر او فيها وان تسعى في نشر ثقافتها في ارجائها وان تعاون على توحيد البرامج لانها مركز من اهم مراكز التعاون الفكري . ويختم المؤلف كتابه بقوله « فان مصر التي انتصرت على الخطوب وثبتت للاحداث ، وظفرت بحققها من اعظم قوة في الأرض في هدوء وأناة وثقة بالنفس وایمان بالحق ، خليفة ان تنتصر على قسها وتظهر على ما يعترض طريقها من العقبات وترد الى نفسها مجدداً قديماً عظيماً لم تنسه ولن تنساه »

كتاب كله جرأة واقدام لا يعرف التردد ولا المراوغة سيفض ناساً ويحفظ فئة من قادة الرأي في مصر . غير انه سيقع عند المستعيرين والتواقين الى المضي قُدماً موقعاً جليلاً . ومهما يُقال في هذا الكتاب الزاخر فانه يقرر حقائق ويدفع اوهاماً ويدافع عن الثقافة ويطالب بالتعليم العام للفقير والغني ويعلي من شأن الأديب والعالم والمفكر ثم يجري الى تعزيز مكانة مصر وثبت خطى اهليها

رجمة أبي العلاء

للاستاذ عباس محمود العقاد — ٢٧٤ صفحة من القطع المتوسط

طبع - مطبعة حجازي بالقاهرة

ناحية طريفة تلك التي اتجه اليها الاستاذ عباس محمود العقاد في دراسة فلسفة أبي العلاء وتطبيقها على مشكلات العصر الحديث وتياراته الفكرية أو تطبيق هذه المشكلات والتيارات على هذه الفلسفة بمعنى أدق

ولا شك — كما يقول الاستاذ العقاد — ان أحوالاً كاحوال العصر الحاضر قد كانت مشهودة معهودة في أيام أبي العلاء ، ولا شك أننا واجدون في كلامه حكماً مكشوفاً أو ملفوفاً

على جميع تلك الأحوال فأما ما يختلف من شؤون زماننا وزمانه فهل يستطيع قياسه والنفاذ الى رأي أبي العلاء فيه وفقاً لذلك القياس ؟ وهل في مقدورنا نحن أبناء هذا الزمن أن ندعو الحكم الى الجهر برأيه فيه ؟ ذلك ما أراده الاستاذ العقاد

وليس موضوع كهذا بالسهل الهين ، فان التصدي له يحتاج الى احاطة شاملة بفلسفة أبي العلاء مع تقليب مختلف الآراء التي تناولت هذه الفلسفة وتدقيق في الاغراض التي رمى اليها الشاعر أو ظن أنه رمى اليها واستخراج الايات التي يمكن الاستشهاد بها من مختلف قصائده في ذلك . كما انه يحتاج الى أن يكون القائم بهذا بصيراً بالتيارات الفكرية الحديثة واتجاهات كل منها ومزاياها وعيوبها . والاستاذ العقاد خير من يمثل كل هذا

فقد بعث الاستاذ المؤلف حكيم معرّة النعمان من مرقدّه وردّه الى هذه الحياة وطوّف به في هذا العالم شريقه وغريبه وأطلعه على مشاعر العصر وتخرعاته ومظاهر تقدّمه وتيارات فكره وادبه وأنطقه بما يراه في كل منها بالتطبيق على شعره وبالتفسير الذي رآه الاستاذ العقاد في البعض منها كما أوضحه في تفسير قول أبي العلاء :

لو كان لي أو لغيري قدر أتملة
من البسيطة خلت الامر مشتركاً
أنه إنما يعني به التوحيد الإلهي ويريد به ان الناس أغنياءهم وفقراءهم على حد سواء لا يملكون في جانب الله أرضاً ولا يستعبدون أحداً ... فمن أين — يقول المؤلف — تسربت الاشتراكية الى معناه ؟ فما أراد إلا الرفق بالناس بل ما أراد إلا الرفق بجميع الاحياء . راجعاً في ذلك الى كثير من أقوال أبي العلاء

وقد وضع الاستاذ العقاد عن لسان المعري ، هذا الحكيم موضعه بين أبي نواس وعمر الخيام فأعطانا رأيه في فلسفة هذا وفلسفة ذاك

ومن فصوله النفيسة فصل له في المقارنة والمشابهة بين فلسفة أبي العلاء وفلسفة شوبنهور مؤبداً ذلك بأقوالها انتهى به — عن لسان المعري — الى « ان هذه قرابة في الطباع لاقاربة في الرأي والاطلاع ، فان تشابه الطباع هو الذي يوحى بالقول الواحد الى أفواه الكثيرين ، أما المتشابهون في العقول فقلما يتفقون ، وقد يتنابدون لأنهم متشابهون »

وفي الكتاب فصل عن دانزيو رسم فيه الاستاذ العقاد صورة للشاعر الايطالي فيها تحليل رائع وسخرية لاذعة

واذا شئنا أن نستطرد الى كل فصل من فصول الكتاب استغرق ذلك منا الحيز والوقت فهو معرض حافل لآثار الذهن العربي حين ينظر الى حقائق العالم في زماننا الحديث

ديوان ابن الساعاتي

الجزء الاول — قام بتحقيقه ونشره الاستاذ أنيس المقدسي — ٣١٠ صفحة من القطع الكبير — طبع بالمطبعة الاميركانية — بيروت

يعرف أدباء العربية عامة وقراء المقتطف خاصة العلامة أنيس المقدسي أستاذ الأدب العربي بجامعة بيروت الاميركية من مؤلفاته النفيسة وبحوثه القيمة . فقد أخرج كتابه « أمراء الشعر العربي في العصر العباسي » و « تطوّر الأساليب النثرية » فلقيا من أندية الأدب تقديراً سامياً . وقد تناول المقتطف الكتابة عن الكتّابين وقت إخراجها . ثم طلع الاستاذ المقدسي في العام الماضي على قراء هذه المجلة بالبحث الرائع « العوامل الفعالة في الأدب العربي الحديث » الذي نشر في أعداد متتالية فلمس القراء في فصوله دقة في البحث واحاطة شاملة لنواحي الأدب العربي الحديث في مختلف أقطاره ونفوذ الى أعماق التيارات السياسية التي مرّت بالعالم العربي ، وكان لها أثر في خلق ناحية قوية في الادب كما كان لهذا الادب أثره القوي في بعث الروح الوطنية في أبناء العروبة

وان جهد الاستاذ المقدسي الذي تشغله مهام الدرس أبي عليه إلا ان يخرج للناس ديوان بهاء الدين أبي الحسن علي بن رستم بن هردوز الخراساني المعروف بابن الساعاتي وهو الشاعر الوصّاف المعاصر لابن الفارض والذي اتصل بكثير من ملوك الامويين وامراءهم وعظاء هذا العصر ونظم الكثير من المدائح فيهم . وقد بذل الاستاذ المقدسي جهداً بعيد الغاية في تحقيق شعر هذا الديوان الضخم بعد مراجعات عديدة على نسخ مختلفة لعبت بكلماتها تحريف السامخ فرد كل بيت الى حقيقته بعد طول الموازنة والروية وقدم لهذا الديوان بمقدمة رائعة في أربع وأربعين صفحة — سينشر في عدد ابريل القادم من المقتطف ملخص لها — تناول فيها نشأة الشاعر وشخصيته وشعره بما عرف فيه من دقة البحث والاستقصاء

ولعلّ الاستاذ — بعد أن يخرج الجزء الثاني من هذا الديوان — يخدم الآداب العربية بعث دواوين فحول الشعراء بالدقة التامة التي حظى بها ديوان ابن الساعاتي — الصيرفي —

« مكارم الاخلاق الاسلامية »

للككتور بشر فارس

اهدى الينا صديقنا الدكتور بشر فارس بحثاً جديداً له عنوانه « مكارم الأخلاق الاسلامية » نشرته له باللغة الفرنسية « مجلة الجمع الوطني للعلوم » Rindiconti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei. Vol. XIII, 1937 في مدينة روما وهي من ارفع المجالات الأدبية قدراً وقد كان الدكتور بشر التي هذا البحث محاضرة في مؤتمر المستشرقين المنعقد في روما سنة ١٩٣٥

فرأى المغفور له الأستاذ نلينو ان ينشره في تلك المجلة . والبحث قائم على الفحص عن عدة مخطوطات مجهولة والتنقيب عن نصوص مطبوعة لم تستثمر قبل اليوم وهو مسوق على طريقة علمية بدقة وتحقيق وخرج صاحبه بنتائج تتصل بالاخلاقيات الاسلامية نزدان بالجدّة والاستقامة وكان في نيتنا ان نلخص هذا البحث للقراء ، ولكنه بلغنا ان الدكتور بشر فارس سينشره باللغة العربية مع زيادات في كتاب سيصدره بعد اسابيع عنوانه « مباحث عربية » وسيضم هذا الكتاب غير « مكارم الاخلاق الاسلامية » مما سبق للمقتطف ان يصفه وينقده لقرائه ومالم ينشر من قبل سواء بالعربية ام باللغات الاجنبية

حياة الطفل

تأليف الدكتور مصطفى الديواني — ١٧٦ قطع وسط — مطبعة فتح الله الياس نوري بمصر
لسنا نغالي اذا قلنا ان هذا الكتاب يجب ان تقتنيه كل ربة عائلة في الشرق العربي . فن رعاية الطفل — على ما يقول المؤلف في مقدمته — اصبح « موضع اهتمام وعناية جميع حكومات العالم الراقية ، اذ به تكفل لاجيال النشء القادمة صحة جيدة كاملة تمكها وتؤهلها في المستقبل لخدمة الوطن العزيز » والمؤلف عالم عامل وطبيب ممارس مختص بامراض الاطفال وحائز لاعلى الشهادات في هذا العلم من كليات الطب الكبرى في بلاد الانكليز . وطريقة معالجته للموضوع قائمة على قاعدتين من السهولة وتوخي الفائدة العملية وذلك بأسلوب عربي يجمع بين السلامة والسلاسة هنا نجد ربة البيت اهم ما تهتمها معرفته مما يتعلق بها وهي حامل ثم اهم ما تهتمها معرفته عن تغذية الطفل ونظافته وملابسه ورياضته ونظامه واسنانه وشهيته . والبحث في هذه الموضوعات متدرج تدرجاً وفقاً لنمو الجنين فنمو الطفل ، يبتدىء بالحامل وينتهي بتمريض الطفل واذا كان القارئ في حاجة اقامة الدليل على ما تقدم فلسبق اليه فقرات خاصة بالرضاعة من الفصل الذي وقفه المؤلف الفاضل على هذا الموضوع . قال على طريقة السؤال والجواب

— كيف تحمل الأم طفلها أثناء الرضاعة ؟

هناك وضعان . الوضع الأفقي وفيه تضع الأم طفلها في حجرها أفقياً بحيث تكون رأسه أعلى قليلاً من بقية جسمه وقد يمنع هذا الوضع حركة ابتلاع اللبن والتنفس ، أما في الوضع العمودي فان الأم تجلس وتضع الطفل عمودياً على فخذيها ، وبذلك يرضع وهو جالس ، وهذا هو الوضع الأصح فهو يسهل حركة الامتصاص والابتلاع والتنفس

— ما هي المدة التي يجب أن يرضعها الطفل كل مرة ؟

مدة الرضاعة لا يمكن تحديدها بالضبط لأنها تختلف حسب قوة امتصاص الطفل . فالطفل

القوي اذا ما رضع ثدياً يحتوي على كمية وافرة من اللبن تكفيه خمس دقائق . أما اذا كان ضعيفاً هزياً أو كانت كمية اللبن غير كافية فانه يستمر في الرضاعة عشرين دقيقة أو أكثر يترك في خلالها الثدي مراراً ليستريح

وعلى العموم فان متوسط الرضعة هي ١٥ دقيقة تقسم على الثديين . ويجب أن لا يزيد على عشرين دقيقة لأن الطفل يحصل على أكبر كمية من اللبن الموجود بالثدي في الخمس الى العشر دقائق الأولى . فاذا لوحظ أن الطفل بعد الخمسة عشر دقيقة الأولى لا يزال يمتص الثدي بقوة فهذا دليل على أن لبن الأم غير كاف

— هل يجب اعطاء الطفل الثديين في كل مرة ؟

اذا كان افراز اللبن غزيراً وكافياً فيكفي ارضاعه من ثدي واحد في كل مرة . وإلا فيجب أن يرضع الثديين ليحصل على كفايته من اللبن واذا ابتدئ بأحد الثديين في رضاعة ما يبتدأ بالثدي الآخر في الرضاعة التالية

مصطفى كامل

تأليف عبد الرحمن الرافعي بك — ٥٣٠ صفحة قطع المقتطف — ثمنه ١٥ قرشاً

ليس ثمة ريب في ان دراسة مصطفى كامل وما يدور حول اسمه من الحوادث السياسية في تاريخ مصر الحديث ، امر لا يستغني عنه من يريد ان يفهم الارتقاء السياسي الوطني في مصر من اواخر القرن الماضي الى مستهل الحرب الكبرى . فهو الذي عزز الشعور الوطني ، بخطبه ومقالاته النارية ، وبمساعيهِ التي بذلها في مختلف بلدان اوربا ، لبسط المشكلة المصرية امام الرأي العام الدولي وذلك في مقالات نشرها في الصحف الغربية ورسائل تبادلها مع الحكام والوزراء . وقد خدمته الظروف في حادثة دنشواي فكان في فرنسا عند وقوعها وصدور الحكم فيها ، فكتب مقاله الرنان فيها فنشرته جريدة الفيغارو في صدرها ، وذهب الى انكلترا فتحدث مع ممثلي صحافتها ، فأبلغ الى العالم شعور مصر المتألمة المنطوية على ألها . واذا لم يكن لمصطفى كامل من أثر باق الاّ تنبيه الشعور بالوطنية والكرامة الوطنية ، في وقت قضى فيه الاحتلال على هذا الشعور على أثر هزيمة التل الكبير ، فذلك حسبه . ولكن للرجل ما ر اخرى زاهاهي وآثاره السياسية الوطنية مفصلة احسن تفصيل في كتاب عبد الرحمن الرافعي بك . هنا نشأته الاولى ودراسته وفتح قلبه على حب مصر وخدمة قضيتها — فقد دوّن اسمه بعد تخرجه من مدرسة الحقوق في سجل الحامين ولكنه لم يمارس المحاماة لانه كان محامياً عن قضية مصر . ولما عاد من رحلته الاولى الى اورباً عاد ومعه صناديق حافلة بالكتب عن المسألة

المصرية فأكتب على دراستها وفقاً لبرنامج منظم ، وذلك لأنه أدرك ان المحامي القوي الحجة هو المحامي الذي يتوفر على دراسة قضيته . وحذا الحال لو فاز هذا الكتاب من عناية الطابع والناشر بقسط اوفر من القسط الذي فاز به فان ما يحتوي عليه من دراسة مفصلة لحياة مصطفى كامل وعمله ، وما تطوي عليه صفحاته من مقالات ومختارات ورسائل لم تنشر قبلاً ، دمجها جميعاً يراعى ذلك الزعيم الوطني ، لجديرة بكتاب اخر ورقاً وغلافاً وأتقن طبعاً من هذا الكتاب . وان كنا نعلم ان قيمة الكتاب ليست في مظهره المادي

مجلة الثقافة

من دلائل إقبال الجمهور العربي على القراءة المفيدة السهلة في آن واحد أن « لجنة التأليف والترجمة والنشر » رأت ان تخرج مجلة اسبوعية وسمتها بالثقافة . وقد برز منها حتى اليوم أربعة اعداد وهي سلعة نافقة لما هي عليه من تغاير الابواب ولما تضمه من المقالات النفيسة على الغالب . أما الابواب فالأدب الصرف ونقد الادب والقصص والرحلة والعلم الخالص والفن على ألوانه . وأما المقالات فما نذكره « مع أدبائنا المعاصرين » للدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب وهي سلسلة نظرات بعيدة المرمى في مؤلفات المحدثين من الكتّاب والشعراء و « مباحث تهديبة في الفن » للدكتور زكي محمد حسن أمين دار الآثار العربية و « تحت مصباحي الأخضر » للقصصي الاستاذ توفيق الحكيم و « على هامش العلوم » للدكتور أحمد زكي بك . ثم مقالات آخر لا مثال الأستاذة شفيق جبري ومحمد كرد علي وأحمد ضيف وإبراهيم عبد القادر المازني ثم اليك بعض ما جاء في تصدر المجلة بقلم رئيس تحريرها الاستاذ احمد امين « أصبح الشرق مرتبطاً بالغرب ارتباطاً وثيقاً في كل مرفق من مرافق الحياة : في الحركات السياسية ، في الحركة العلمية والأدبية والفنية ... ومن الخير للشرق أن يقف على هذه الحركات فيتصرف فيها عن خبرة ويحكم فيها عن علم ... » ثم « لا نريد حرباً إلا حرب الآراء ، فهي حرب خير من سلم ، وصراع خير من مهادنة ... أما حرب شخص لشخص في شخصيته وجامعة لجامعة في ذاتها لاني آرائها ، فسخافة زباً بأنفسنا عنها ... » . فهذان أمران : الأول العناية بما يجري في الغرب والثاني نبذ البواعث الشخصية والتشبث بالآراء لذاتها . وللامرين جلالتهما بقي ان مجلة « الثقافة » ضاربة الى بذل الأدب والعلم وقد أراد أصحابها ان تكون كذلك رغبة في التهذيب . وها هم أولاء يشاركون غيرهم من المخلصين للآداب العربية في خدمة مصر وأخواتها من ناحية الفكر

مقابر الفجر

صاحب هذا الديوان محمد رشاد راضي شاعر برم بالحياة ضيق الصدر فيها كما يقول هو في آخر الديوان عن نفسه . وهذا التبرم قد اعطى لشعره طابعاً خاصاً يلوح الحزن والضجر في كل سطر من سطورهِ ولا ادري سر هذه النظرة القائمة الى الحياة مع ان الشاعر لا يزال على غبة الصبا وفي شرح الشباب . واذا كان يضيق بهذه الحياة وهو لا يزال طرياً العود فما باله اذا نفاقت عليه السنون واصطلحت عليه الايام وهي قاسية لارحم ، شديدة لاثلين ؟

وهو يبكي كما يقول النهاية التي وصل اليها في صباه . ولا ادري هذا الشر الذي تحمله هذه النهاية . فامامه السنون تستقبله وتنتظر ما يعد لها من نضال . وما يحب لشاعر ان يستخذى في الحياة او يلقي السلاح او يشعر الناس بأنه شقي . ففي استطاعته ان يخلق لنفسه اجواء من السعادة يحلق فيها . اسمعه وهو يقول في قصيدة الهاتف

ايها الشاعر يا عصفور قد جاء الخريف
الربيع انسل كالمسكين خلف المهرجان
ما التقت من بعده في قبلات شفتان
لا ولم يسمع لهمس الريح في الغصن حفيف
عجائز الليالات في اُرد الغابات جلسن ندابات صبا ربيع مات
واهاً على ما فات

فهو هنا يبكي الربيع الفائت او ربيعهِ هو . وهذه الايات على شيوع الحزن فيها هي تصوير جميل للجمال العابر . وهي ككل شعر الديوان رقيق جميل

وتعبر الشاعر في شعره صادق رقيق لولا غلبة الاحزان عليه ولهذا الحزن الشائع في نفسه اختار للديوان اسم مقابر الفجر « كأنما دفن فيها املاً ضائعاً . فهو يقول في قصيدته اُكفان الذكرى

لما فقدت عزيزتي وحييت في الدنيا وحيدا
عفت الوجود لانها كانت لدي هي الوجودا

والديوان مجموعة من السهرات والاماسي الحزينة . وقد لا يميل كثير من الناس الى الأدب الحزين لأنه يضيف الى هموم الحياة هموماً . ولكن من يقرأ هذا الديوان يجد في قراءة الحزن لذة لأنه يصور النفس المتألدة اصدق تصوير . رجوان تبسم الحياة للشاعر الفتى . فيظهر أثر ذلك في شعره المقبل . فان حراماً أن يقضى على هذه النفس الشاعرة وهذا القلم القان بالآلم العميق . ورجو منه أن يحاول تحطيم نايه الحزين ويصنع لنفسه ناياً جديداً تشيع الفرحة والابتسامة في ألحانه واذا كنا نحن لا نستطيع أن نسعده فنرجو أن تهب له الايام السعادة التي ينشدها

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الرابع والتسعين

النوم والارق بحث علمي عملي جديد	١٣٣
المستشرق نلينو حياته وآثاره : للعلامة المستشرق البروفسور ليمان	١٤١
دمعة الحسنة (قصيدة) : لحسن كامل الصيرفي	١٥٢
خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادهم	١٥٤
الاخلاق والحضارة : لعبد الرحمن شكري	١٦٥
توافق الخواطر بين العلماء والمخترعين : لمحمد عاطف البرقوقي	١٦٩
صقر قریش : بحث نفيس في احدى هديتي المقتطف السنويين	١٧٦
ثقافة الغرب وثقافة الشرق الادنى : للدكتور ستوارت ضد د. ف.	١٨١
دراسات في آثار الاقدمين الروحية : لناشد سيفين	١٨٨
تاريخ قصر الاخضر : لتوفيق الفكيكي	١٩٣
ارض شكسير (قصيدة) : لمحمد عبد الغني حسن	٢٠٠
العمي يصرون : لعوض جندي	٢٠١
التصوير الفني في القرآن الكريم : لسيد قطب	٢٠٦
سر البقعة الحمراء على سطح المشتري	٢١٢
بكر (قصيدة) لعمر ابو ريشه	٢١٦
عالم الروح والعلم الحديث : لاحمد فهمي ابو الخير	٢١٧
حديقة المقتطف * الحركة الادبية في سورية ولبنان : لايلاس ابي شبكة . الأدب	٢٢١
الفارسي وخدمة الوثنيين له في الهند : للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي	
مرحبي ظل الغمامة : من قصيد لكثير	
سير الزمان * السياسة الدولية في البحر المتوسط : لمحمد رفعت بك	٢٣٥
باب المراسلة والمناظرة * بين النقد والتقدير حول «اعترافات في العصر» و«هكذا تكلم زرادشت»	٢٤٧
لفليكس فارس . كيف تدور الارض حول الشمس لمحمود متولي علي	
مكتبة المقتطف * مستقبل الثقافة في مصر . رجعة أبي الملاء . دبوات ابن الساعاني . مكارم	٢٥٢
الاخلاق الاسلامية . حياة الطفل . مصطفى كامل . الثقافة . مقابر الفجر	